

الحوار مع الغرب

الآليات والخطط

عبد محمد بركو



الحوار مع الغرب
الآليّات والخطط

عبد محمد بركو

الكويت

2010

تدقيق لغوي ومراجعة الطباعة

ريـــم محمــود معــروف

الصـف والتـفيذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

الإخـــراج وتصميم الغلاف

محمد العـــلي



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 - فاكس: 22455039 (965+)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصديـر

نواصل بالمؤسسة مشروعنا في إقامة ندوات لحوار الثقافات والحضارات، وإغناءً لهذا النهج فلقد كلّفنا الباحث الدكتور عبد محمد بركو بإعداد هذا البحث القيم ليطلع القارئ على مجموعة من الآليات والتقنيات والاستراتيجيات المتعلقة بالحوار الخلّاق الهادف مع الغرب، من خلال ما تضمنه من شرحٍ وافٍ لمفهوم الحوار وأهميته وأسسه وفلسفته وعناصره، هذا بالإضافة إلى العوائق والإشكاليات التي تواجه الحوار مع الغرب سواء من خلال تأكيد الصورة السلبية عن العرب في الذهن الغربي أو من خلال تداعيات الأزمة الثقافية العربية وتحديات العولمة.

وقد أنهى الباحث هذا العرض الشيّق بالدعوة إلى الحوار الثقافي والإعلامي الشامل، إذ إننا اليوم أحوج ما نكون إلى الحوار من أي وقت مضى سعيًا لوضع أسس التعايش السلمي والحضاري بغية الوصول إلى مستقبل أفضل للوطن العربي.

فالهدف المرجو من هذا التوجه، أن نبحث عن النقاط المشتركة مع الآخر، وأن نؤمن بضرورة التسامح في ما نختلف فيه، دون أن يصل هذا الاختلاف إلى حدود الصراع، فالتنوع الثقافي يساعد على إغناء الحضارة وتطويرها، وهو احترام للخصوصية القومية لكل أمة، بينما تؤدي الهيمنة الثقافية إلى تجميد وإفقار الثقافة، وخلق بؤر من الصراع وردود الفعل العدائية من الأطراف تجاه المركز المسيطر.

إن الحوار بين مختلف الأطراف هو سبيلنا الوحيد إلى توفير الأمن والرفاه لجميع الشعوب، وهو ضرورة ماسة في عالم لا يزال صوت الهوس والتعصب أقوى من صوت العقل والاعتدال.

وإذ أشكر الباحث الدكتور عبد محمد بركو على ما بذله من جهد طيب وإضاءة وافية لموضوع لا يزال راهنًا، فكلي أمل أن يتحول ما يتضمنه من آراء إلى برنامج للتأمل والعمل لا لمجرد أخذ العلم.

والله ولـــي التوفيــق،،

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ١٧ من صفر ١٤٣١هـ

الموافق الأول من فبراير ٢٠١٠م

****

الإهـداء

إلى سعادة الأستاذ الشاعر عبد العزيز سعود البابطين
الذي يعتبر أحـد أبـرز الرُّعاة العـرب للحوار مـع الغرب
والذي أعاد فتح الأندلس ثقافيّاً مرة ثانية بإدخاله اللغة
العربية إليه
أرفع هذا البحث تقديراً لجهوده الكبيرة
التي بذل فيها الغالي والنفيس من وقته وفكره وماله
من أجل عالم يسوده الحب والسلام.

مُقدّمة

الحوار هو البديل الحضاري للصِّدام بين طرفين، ومفهومه هو القبول بأحقّية الآخر في الاختلاف، وأحقيته في أن يكون له رأيه المستقل الذي لا يُفرض عليه من طرف آخر.

ولعلّ اللّبنة الأولى من لبنات بناء ثقافة الحوار هي الاقتناع التام بالقاعدة القائلة: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب».

إنّ الحوار طبيعة بشرية بامتياز، وحاجة إنسانية واجتماعية وثقافية وروحية، ولذلك لم يتوقف الحوار مع الآخر في يوم من الأيام في القرون الماضية، وسيستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فالحوار حقيقة أساسية من حقائق الوجود الإنساني وضروراته الملحّة، لأنّ البشرية ليست على جنس أو ثقافة أو دين واحد .

إنّ تنامي الدعوات إلى الحوار في وقتنا الراهن يدل على صحة توجه العقل البشري في انتهاج الحوار طريقاً للوصول إلى نتائج مثمرة تقلل من الخلافات والصدامات وتفسح المجال لصنع التفاهم والتعاون والسلام.

وقد نشأت الحاجة العربية إلى الرأي العام الغربي منذ نكسة يونيو١٩٦٧م، عندما تنبّه العرب إلى أهمية الرأي العام الغربي وضرورة مخاطبته ومحاورته لشرح عدالة قضايانا، وذلك لتأثيره البالغ على مجريات الأحداث السياسية.

وقد اقتصر حوارنا مع الغرب لفترة زمنية طويلة على نخبه السياسية عن طريق الجهود الدبلوماسية في غالب الأحيان بغية التأثير على مراكز القرار الغربية أو الحدّ من هيمنة اللوبي الصهيوني، دون الاكتراث بالسياقات الحوارية الثقافية والإعلامية مع الشعوب الغربية ونخبها الفكرية والثقافية والإعلامية والشّعبية.

وشكّلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر٢٠٠١ م نقطة تاريخية فاصلة في تاريخ العلاقات بين العرب والعالم الغربي، واستدعت مراجعة شاملة لهذه العلاقات من كافة النواحي.

وتبعتها صيحات من مؤسسات ثقافية وإعلامية عربية تدعو للحوار مع الغرب رأباً للصدع أسفرت عن ندوات ومؤتمرات وإصدارات وبرامج حوارية كثيرة.

وعلى الرغم من أنّ ما تحقق في هذا المجال يشكل جهداً لا بأس به فإن الأمل في إنجاز المزيد من اللقاءات الحوارية والإصدارات والبرامج الإعلامية يشكل رهاناً مستقبلياً لصنع التفاهم والتعاون والسلام بين العرب والعالم الغربي، وقد آنَ الأوان أن يتخذَ الحوار العربي مع العالم الغربي طابعاً شاملاً لمختلف النواحي الثقافية والإعلامية، ومتناولاً كافة فئات المجتمع الغربي، ولا سيما نخبه الفكرية والثقافية والإعلامية والسياسية والاجتماعية، فضلاً عن قطاعاته الشّعبية المختلفة.

ولكن ماذا يجب علينا فعله قبل ذلك؟ قبل الحوار مع الغرب: «الحوار الداخلي وأسئلة أخرى.

يقول الدكتور سليمان العسكري رئيس تحرير مجلة «العربي» الكويتية: «الحوار مع الآخر لا يمكن أن يتحقق، بل وقد يصبح مستحيلاً، كما قد تبدو الدعوة إليه نوعاً من الترف واللاواقعية، إذا لم يسبقه حوار داخلي، بين أطراف هذه الحضارة العربية ذاتها.

فليس من طبائع الأمور أن نطالب بالحوار مع الآخر، بينما نحن في الداخل العربي نفتقد أدنى قواعد وأسس الحوار الداخلي بيننا في أجواء يغلب عليها غياب كامل لمعنى الحوار ذاته، أو تقدير قيمته، كلون من تبادل الآراء، ينصت خلاله كل طرف للآخر، عن رغبة حقيقية، وبموضوعية، بحيث يتحقق الهدف الأساسي والجوهري وهو التعايش، والتواصل مع الأفكار والقيم المختلفة عبر تقدير كل طرف للآخر، مهما اختلفت اقتناعاتهم»[1].

---

١ - العسكري، د. سليمان: قبل الحوار مع الآخر، مجلة «العربي» الكويتية، العدد٦٠١ ، ديسمبر٢٠٠٩ م.

إنّ الحوار العربي الداخلي، وعلى كافة المستويات الطائفية والعرقية والسياسية، هو المقدمة الطبيعية لأي حوار هادف مع الآخر، إذ كيف بمن يعجز عن محاورة أفراد أسرته أن يحاور جيرانه؟!.

المشكلة الأخرى أن مفهوم «ثقافة الحوار» لم يتبلور بعد على مستوى الرأي العام العربي، فظلّ وقفاً على المثقفين والإعلاميين والكتّاب.

كما أن الحوار الهادف مع الغرب يتطلب منّا الإجابة عن أسئلة كثيرة، منها:

- **هل نحن في الوطن العربي مهيؤون لهذا الحوار وقادرون على ممارسته؟**
- **هل نحن راغبون في حوار الغرب من منطلق الاحترام والتسامح والاستعداد لفهمه؟**
- **هل استحدثنا الهيئات والمؤسسات الحوارية اللازمة لذلك؟**
- **هل وضعنا استراتيجيات مستقبلية شاملة لممارسة الحوار؟**

وعلى الرغم من كل ما تم عمله في الوطن العربي بخصوص «حوار الثقافات» والحوار مع الغرب من ندوات ومؤتمرات وبرامج حوارية وكتب، فإننا لا نستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة بـ «نعم» إذا كنا موضوعيين وصادقين مع أنفسنا.

لأنّ الحوار مع الآخر يرتبط ارتباطاً موجباً بحوار الذات، فمن لا يستطيع ممارسة حوار الذات لن يتمكن من حوار الآخر، لأن الحوار ثقافة وسلوك وممارسة.

كما أنّ الحوار لا يكون مثمراً وهادفاً بلا منطلقات فكرية واستعدادات وخطط وبرامج واستراتيجيات ثقافية وإعلامية شاملة.

وهذا ما يسعى البحث إلى تأسيسه وتعميقه وترسيخه.

إشكالية المصطلح

يتداول العديد من الباحثين مصطلح «حوار الحضارات» في أبحاثهم ومحاضراتهم، ولكننا نميل لاستخدام مصطلح «حوار الثقافات» بدلاً منه، لأننا نعتقد بوجود حضارة إنسانية واحدة تتألف من ثقافات وأديان مختلفة، وبالتالي فالحوار يكون بين الثقافات المكوّنة للحضارة الإنسانية.

وأدعو كافة الباحثين في مجال الدراسات المستقبلية والحوارية لاستخدام مصطلح «حوار الثقافات» لأن مصطلح «حوار الحضارات» موضع مساءلة حقيقية للأسباب التالية:

١ - إنّ معظم الدراسات والأبحاث الفكرية والتاريخية والأنثروبولوجية المقارنة للحضارات لم تستعمل مصطلح «حِوار الحضارات»، بل استعملت مصطلحات أخرى كتعاون الثقافات عند «شتراوس» وتفاعلها عند «قسطنطين زريق»[١].

٢ - إنّ الحضارة الإنسانية هي نتاج تفاعل دائم ومستمر بين الثقافات الإنسانية المتنوعة.

٣ - إنّ مصطلح «حِوار الحضارات» - كما يرى الباحث زكي الميلاد [٢] - بحاجة إلى المراجعة والتقييم لأنّ الدول هي التي تتحاور، ولأنّ مفهوم الدولة هو السائد في مجال العلاقات الدولية وليس مفهوم الحضارة.

وهكذا يكون مصطلح «حِوار الثقافات» هو الحل الصحيح في الدّراسات الحِوارية لأنّ الثقافات العالمية تحاورت سابقاً عبر آلاف السنين من خلال تبادل التأثير والتأثّر، وبشكل عفوي بفعل الصيرورة التاريخية مما ساهم في بلورة الحضارة الإنسانية.

وانطلاقاً من هذه الرؤية العلمية يمكن للثقافات الإنسانية المتنوعة أن تتحاور وفق أنساق ومجالات عديدة لدفع عجلة التفاهم والتعارف والسلام فيما بينها إلى الأمام.

وأحاول في بحثي هذا «آليّات وتقنيّات واستراتيجيّات الحِوار مع الغَرب: رؤى ثقافيّة وإعلاميّة عمليّة مستقبليّة استشرافيّة شاملة»، أن أقدّم دراسة جديدة لهذا الموضوع الهام الذي يعتبره أحد رعاة الحِوار مع الغَرب في عصرنا الراهن الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين: «ابن الساعة الأكثر أهمية في وقتنا الراهن»[٣].

---

١ - الميلاد، زكي: تعارف الحضارات، دار الفكر، دمشق٢٠٠٦ م، ص٥٣.

٢ - المصدر السابق، ص٥٢.

٣ - انظر مقدّمة كتاب «صورة الغرب في الشّعر العربي الحديث»، د. إيهاب النجدي، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨ م.

وحرصت أن أقدمَ مجموعة من الآليات والتقنيات والاستراتيجيات للحِوار الفاعل والهادف مع الغَرب وفقَ رؤى ثقافية وإعلامية مستقبلية عملية، لأنّ الثقافة يجب أن تخَدم الحِوار وتكون حامله الأول، ولأنّ الحِوار هو الرهان الرابح لمستقبل الإنسانية جمعاء.

ووظّفت في بحثي عدة مناهج علمية كالمنهج: التاريخي والثقافي والنّقدي والسيكولوجي والتحليلي والاستقرائي والاستنتاجي.

ونَهَجتُ مَنهجَ الايجاز والإحاطة والشمول بكافة الموضوعات المتعلقة بالحِوار الثقافي والإعلامي معَ الغَرب دون إطالة مملّة أو اختصار مبتور.

مع مراعاة الابتعاد عن اللغة الخشبية الجامدة، والاقتراب ما أمكن من لغةٍ مرنة تتميز بالوضوح والإيحاء والدلالة والعمق.

ويتألف البحث من مقدّمة ومدخل تاريخي عن التواصل الثقافي القديم بين العرب والغرب، وثلاثة أبواب رئيسة، يتضمن الباب الأول منها: الحِوار مع الغَرب: تعريفه وأهميته وفلسفته وأسسه وعناصره.

ويتضمن الباب الثاني: إشكاليات وعَوائق الحِوار، ويتوزع على أربعة فصول هي:

- **الفصل الأول: الصّورة النّمطية السّلبية عن العرب في الذّهن الغربي.**
- **الفصل الثاني: أزمة الثقافة العربية.**
- **الفصل الثالث: تحديات العولمة.**
- **الفصل الرابع: عوائق الحِوار.**

ويتألف الباب الثالث: آليّات وتقنيّات واستراتيجيّات الحِوار مع الغَرب من أربعة فصول هي:

- **الفصل الأول: سيكولوجية الحِوار مع الغَرب .**
- **الفصل الثاني: آليّات وتقنيّات واستراتيجيّات الحِوار الثقافي مع الغَرب.**
- **الفصل الثالث : آليّات وتقنيّات واستراتيجيّات الحِوار الإعلامي مع الغَرب.**
- **الفصل الرابع : آليّات وتقنيّات واستراتيجيّات الحِوار الشّامل مع الغَرب.**

وتلي هذه الأبواب الثلاثة خاتمة وثبتاً بالمراجع والمحتوى.

لقد أردتُ لبحثي أن يُقدّم خطةً علمية وعملية وواقعية شاملة ومتكاملة ذات آفاق مستقبلية للحِوار الثقافي والإعلامي مع الغرب، وبهذا المعنى آملُ أن يفيد كل المعنيين بقضايا الحِوار مع الغرب: مفكرين وقادة فكر وقادة دول وكتّاب ومؤسسات حوارية وطلاب وقرّاء.

وأن يكون بمثابة ورقة عمل على طاولة مؤتمرات الحِوار القادمة التي عانت من الارتجالية وغلبة البحوث الفكرية النظرية، التي لم تلامس الجوانب التقنية والواقعية والمستقبلية والاستراتيجية والعملية الديناميكية لآليات الحوار مع الغرب.

وغاية ما أتمناه أن يكون بحثي بمثابة شَمعة في طَريق الحِوار الطويل وصولاً إلى حلم الإنسانية الأجمل في التواصل والتفاهم والتعاون والسلام.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

عبد محمد بركو

٢٠٠٩/١/٤

****

مدخل تاريخي
التواصل الثقافي القديم بين العرب والغرب

أولاً - مدخل في العلاقات الثقافيّة بين العرب والغرب

بدأت العلاقة الثقافية بين العرب والغرب بعد قيام الدولة الإسلامية وتوسع فتوحاتها في كل مكان، حينذاك أخذت الحياة الثقافية والفكرية العربية بالنمو المطّرد، وفي المقابل كان العالم الغربي يعيش ركوداً ثقافيّاً مزمناً .

وقد أثبت المسلمون قدرتهم في شتى مظاهر الحياة الفكرية وتفوقهم على الأوروبيين الذين لازموا البقاء على الأخذ من الأمم الأخرى .

لقد أخذ العرب من علوم اليونان الشيء الكبير، حتى عدّوا بحق «ورثة اليونان بلا واسطة، بينما لم يستق الغرب من علوم اليونان إلاّ عن طريق العرب»[1] .

لقد شيّد المسلمون القدامى مجداً علميّاً في شتى الميادين الطبية والصناعية والفكرية والزراعية والصيدلانية ما زال يُؤخذ به في الغَرب إلى يومنا هذا .

«وقد شهد بذلك بعض علماء الغرب الذين تعمقوا في دراسة الحضارات القديمة، وقالوا: بأن الحضارة الأوروبية لم تكن إلاّ عربية وليس كما اعتقد البعض بأنها يونانية ورومانية .

ويخلص هؤلاء العلماء إلى أن الحضارة التي نشاهدها اليوم ليست من صنع الغرب وحده أو وليدة عصر واحد كما اعتقد البعض، وإنما هي ثمرة جهود ثقافات متلاحقة لعصور متتالية»[2].

---

١ - زكريا، زكريا هاشم : فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة ١٩٧٠م ، ص٥٤ .
٢ المرجع السابق: ص ٥٥.

ثانياً - لمحة تاريخية عن الحِوار العربي مع الغَرب

شجّع الدين الإسلامي الحنيف على الحوار وقَبِلَ به مبدأً من مبادئه في التعامل مع الآخر ، ودعا الناس إليه لأنّه وحي الله المنزّل على قلب النّبي محمّد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى : ﴿**وقولوا للنّاسِ حسناً**﴾ [البقرة ٨٣]

﴿**ولا تجادلوا أهلَ الكتابِ إلاّ بالتي هي أحسنُ**﴾ [العنكبوت ٤٦].

وكذلك لم يجبر الإسلام أحداً من أبناء الشرائع الأخرى على اعتناقه قهراً وعنوةً .

قال تعالى: ﴿ **لا إكراه في الدّين قد تبيّنَ الرشدُ من الغي**﴾ [البقرة ٢٥٦]

﴿**وقُل الحقُ من ربكم فمنْ شاءَ فليْؤمنْ ومنْ شاءَ فليكفر**﴾ [الكهف ٢٩]

وانطلاقاً من هذه التوجيهات الإلهية بأهمية الحِوار، لم ينقطع حِوار العرب والمسلمين مع أصحاب الديانات الأخرى في يوم من الأيام.

ومن أدلة (الحِوار) في القرن الثامن الميلادي، ما كتبه القديس «يوحنا الدمشقي» من الكتب التي ألّفها في الجدل والتي قدمت لنا لمحات عن الحِوار الذي دارَ في عصره بين أتباع الشرائع المختلفة.

وكذلك ما كتبه تلميذ القديس يوحنا الدمشقي الأب الأُسقف «تيودور أبو قرة»[1].

أما في العصر العباسي فكانت تُعْقد المناظرات الحِوارية الإسلامية المسيحية العلنية، ومنها مناظرات البطريق «النسطوري طيماثاوس» مع هارون الرشيد وعلماء المسلمين وكذلك حدثت محاورات رائعة في عهد المأمون[2].

وفي الطرف المقابل فقد كان علماء المسيحية في القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطيين يستقبلون علماء الإسلام، ومنهم ابن الطيب الباقلاني، ويجرون معهم مناظرات علنية في حضرة الإمبراطور في غالب الأحيان .

---

١ - الدعوة إلى الإسلام : السير توماس أرنولد، ص ١٠٣.

٢ - المرجع السابق، ص ١٠٤.

ثالثاً - صور من التواصل الثقافي بين العـرب والغـرب

لم ينقطع التواصل بين العرب والغرب في يوم من الأيام، وسنقف عند أهم المحطات المضيئة في تاريخ التواصل.

١ - مدرسة الإسكندرية

في مصر تم أول لقاء بين المسلمين والفكر اليوناني، عندما فتح المسلمون مصر، لأن «مدرسة الإسكندرية» كانت قائمة، ولعلها المدرسة الوحيدة التي كان يجري فيها التعلّم باللغة اليونانية في البلاد التي فتحها المسلمون في طلائعهم الأولى، وقامت بدور مهم في نقل العلوم اليونانية إلى المسلمين .

٢ - بيت الحكمة

أنشأ الخليفة المأمون عام٢١٥ هـ/٨٣٠ م مدرسة للترجمة في بغداد ، سُميت «بيت الحكمة» ووضع على رأسها يوحنا بن ماسويه، وبدأت الترجمة إلى السريانية ثم إلى العربية، وأخذت في إصلاح الترجمات القديمة .

٣ - «مختار الحكم ومحاسن الكلم» أول كتاب عربي في «حوار الثقافات»

ألّف مبشر بن فاتك الشامي المولد المصري المنشأ في القرن الخامس الهجري كتباً كثيرة في المنطق والطب والوصايا والأمثال والتاريخ، وقد ضاعت كلها، ولم يصلنا منها إلّا كتابه (مختار الحكم ومحاسن الكلم) الذي يعد أول كتاب عربي في حوار الثقافات، وفيه استقصى أقوال الفلاسفة والحكماء اليونانيين، ومنهم: أفلاطون وأرسطو، وهوميروس، وأبقراط، وفيثاغورس، وسقراط، وجالينوس، وسواهم .

٤ - سفارة الشّاعر يحيى الغزال إلـى شمالي أوروبا

«كان يحيى بن الحكم الملقّب «بالغزال» ت.٢٥٠هـ/٨٦٤ م شاباً ذكيّاً ملازماً لحلقات المؤدّبين والعلماء في قرطبة، وكان شاعراً محسناً ومحدّثاً بارعاً، وبسبب هذه الصفات التي كان يتحلى بها أرسله الأمير عبد الرحمن الأوسط ٢٠٦ – ٢٣٨هـ رابع الأمراء

الأمويين في الأندلس في سفارتين على الأقل، إحداهما إلى القسطنطينية والأخرى إلى شمالي أوروبا: بلاد الدانمارك أو جزيرة ايرلندا إحدى الجزر البريطانية»[1] .

وقد ساهمت سفارة الشاعر يحيى الغزالي إلى شمالي أوروبا بتأسيس مفهوم حوار الثقافات في القرون الوسطى .

٥ - دور فيلسوف قرطبة «ابن رشد» في «حِوار الثقافات»

ترك ابن رشد أثراً كبيراً على التفكير الغربي الأوروبي فطيلة أربعة قرون متوالية تبنّت أوروبا فلسفة ابن رشد، وما زلنا نتبين إلى اليوم ملامح من فلسفة: ابن رشد في الفكر الأوروبي.

لقد سبق ابن رشد عصره بكافة المقاييس إذ كان يرى أن الفلسفة شيء، وأن الدّين شيء آخر.

٦ - دور «ابن طفيل» في «حِوار الثقافات»

«كان ابن طفيل من جبابرة الفكر في العصور الوسطى، في الشّرق وفي الغرب، وفي الإسلام وفي النصرانية.

وقد ترك الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا منه - وهو قصة حي بن يقظان - أثراً بالغاً في الفكر الإسلامي، وفي الفكر المسيحي»[2].

وقد ظهر أثر قصة حي بن يقظان على الآداب الغربية، ولا سيما كتاب «إميل» لجان جاك روسو، وقصة «روبنسن كروز» لدانيال ديفو، وسواهما من الأدباء الغربيين

٧ - التواصل زمن الحروب الصّليبية

«وعلى الرغم من أن الحروب الصليبية مثّلت لقاءً دامياً بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، فأنها مثّلت في الوقت نفسه - اتصالاً وثيقاً انطوى على تبادل ثقافي هام بين الفريقين، حيث نفذ الشرق الإسلامي بقيمه وعلومه وأطبائه وفلاسفته وأشغاله وفنونه وآدابه إلى الغرب»[3]

---

١ - بوفلاقة، د. سعد: الغرب الإسلامي وحوار الثقافات، مجلة العربي (الكويتية)، العدد٥٥٩ ، يونيو ٢٠٠٥ م، ص ٢٢.

٢ - المصدر السابق.

٣ - ابو شبكة، إلياس : روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة، منشورات دار المكشوف، ط٢. بيروت بلا تاريخ، ص١٨ .

٨ - الرِّحلات المتبادلة

ساهمت الرحلات المتبادلة بين الشّرق العربي الإسلامي والغرب المسيحي التي ازدهرت منذ القرن السابع عشر الميلادي بزيادة التعارف والتواصل الحضاري بين الفريقين، ففي ظل التواصل نضج التعارف المتبادل في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وقد أسفرت الرحلات المتبادلة عن عشرات الكتب التي ساهمت في تعميق التواصل والتعارف المتبادلين .

أ - كتب رحلات غربية:[1]

- **رحلة إلى مصر وسوريا، مؤلفه «فولني» عام١٧٨٧ م، ترجمة «إدوارد البتساني».**
- **رسائل عن مصر، مؤلفه «سفاري» عام١٧٧٩ م .**
- **رحلات إلى مصر العليا والسفلى، مؤلفه «سونيتي» عام١٧٩٩ م .**
- **خطابات من مصر، مؤلفته «الليدي دف جوردون» عام١٨٦٥ م .**

ب - كتب رحلات عربية[2] :

- **رحلة أحمد بن قاسم الحجري ، «رحلة أفوقاي إلى باريس ولاهاي ١٦١٣ - ١٦٤١م».**
- **رحلة إلياس الموصلي إلى أميركا الذهب والعاصفة ١٦٦٨ - ١٦٨٣ نشرت عام ١٩٠٥م.**
- **رحلة محمد الغساني إلى بلاد الإسبان، «رحلة الوزير في افتكاك الأسير ١٦٩٠- ١٦٩١م».**
- **رحلة محمد سعيد باشا إلى باريس ١٧٢٠- ١٧٢١م، أخرجها الأب لويس شيخو.**
- **رحلة خضر الكلداني إلى أوروبا - من الموصل إلى رومية ١٧٢٤م.**
- **رحلة بولس بن مكاريوس، بطريرك حلب «رحلة مكاريوس إلى بلاد الروس» ١٧٦٥م .**
- **رحلة باريس، فتح الله مراش ١٨٦٧م .**
- **رحلة إلى أوروبا ، محمد شريف سالم ١٨٨٨م.**

٩ - البعثات العلمية إلى الغرب

ازدادت قنوات التواصل بين العرب والغرب بعد الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) على مصر، حيث أدرك حاكم مصر «محمد علي باشا» أهمية الغرب، فأرسل الكثير من البعثات العلمية إلى الغرب، فمدت جسور التواصل الحضاري بين العرب والغرب.

---

١ - النجدي : د. إيهاب: صورة الغرب في الشعر العربي، مؤسسة البابطين، الكويت ٢٠٠٨ ، ص٣٥ .

٢ - قائمة المشروع الجغرافي العربي (ارتياد الآفاق) تأسس عام٢٠٠١ ، دار السويدي، أبو ظبي .

وقد أثمر هذا التواصل معرفة عميقة بالحياة الغربية وترجمة لأهم الكتب العلمية والأدبية، فضلاً عن العودة بعلم حديث وخبرات جديدة.

١٠ - لقاء الشِّعر

«الغرب كان موجوداً بصورة أو بأخرى في الشّعر العربي القديم، وكانت كتب الرحلات محفلاً لفنون الأدب، ومنها الشِّعر [١]» .

وكذلك كان الشّرق العربي حاضراً بصورة أو بأخرى في الشّعر الغربي القديم، ويمكننا أن ندلل على ذلك بدلالة الشّعر الأندلسي الذي أثّر تأثيراً كبيراً في شعر التروبادور، وفي الأغاني الشّعبية الفرنسية.

وهكذا كان الشّعر عنصراً هاماً من عناصر التواصل الثقافي بين العرب والغرب، وهذا يؤكد أن العالم مكوّن من ثقافات متعددة تشكل بمجملها حضارة إنسانية واحدة بنيت بالتواصل والتفاعل والتلاحم والتكامل.

****

١ - النجدي، د. إيهاب : صورة الغرب في الشّعر العربي الحديث، مؤسسة البابطين، الكويت ٢٠٠٨ م، ص٤٢ .

الباب الأول

الحوار مع الغرب

تعريفه وأهميته وفلسفته وأسسه وعناصره

الباب الأول

الحوار مع الغرب

تعريفه وأهميته وفلسفته وأسسه وعناصره

أولاً - الحوار والغرب: المفهوم والتعريفات

١ - مفهوم الحوار وتعريفه

يعدّ (الحِوار الثقافي) من أهم الأساليب المستخدمة في أي خطاب إنساني، كما يعدّ من المفاهيم والمعاني المستحدثة، التي ظهرت في المواثيق الدولية منذ منتصف القرن الماضي.

وسوف نتأمل معاً مفهوم الحوار في المعجمات العربية القديمة وفي التعريفات المعاصرة.

أ الحِوار في المعجمات العربية القديمة

الحوار لفظ لغوي شائع الاستعمال في اللغة العربية منذ الجاهلية بمصدريه اللغويين وهما: الحِوار (بكسر الحاء) والمحاورة، وما اشتق منهما من ألفاظ. فنجد في الشِّعر الجاهلي قول عنترة مثلاً يصف فرسه في معلَّقته:

لـو كـان يـدري مـا المحـاورةُ اشتكى

ولـكـان لـو عَـلِـمَ الـكـلام، مُـكـلِّـمـي

وأصل معنى «الحِوار»: الرجوع عن الشيء وكذلك الرجوع إلى الشيء. ومن هنا فسّروا الحِوار والمحاورة بأنهما المنطق والكلام في المخاطبة.

وقالوا في معنى «يتحاورون» أي يتراجعون الكلام.

والمقصود بالتراجع هنا تبادل الكلام بين شخصين أو جماعتين.

ويتردد مفهوم الحوار في المعجمات العربية بين مجموعة من المعاني، ولتوضيح ذلك دعونا نورد مقتطفات من بعضها ونبدأ من أشهرها، وهو «لسان العرب» حيث نجد:«... وكلمته فما رجع إليَّ حَواراً وحِواراً ومحاورة وحَويراً ومحُورَة. بضم الحاء بوزن مَشُورَة. أي: جواباً. وأحار عليه جوابه : ردّه. وأحرت له جواباً وما أحار بكلمة والاسم من المُحاوَرَة الحَويرُ، تقول: سمعت حَويرهما وحِوارهما. والمُحاوَرَةُ: المجاوبة والتَّحاوُر: التجاوب ، وتقول: كلّمته فما أحار جواباً، وما رجع إليَّ حويراً ولا حويرة ولا محُوَرةً ولا حَواراً أي ما رَدَّ جواباً. واستحاره أي استنطقه. وفي حديث سطيح: فلم يُحِر جواباً، أي: لم يرجع ولم يردّ، وهم يتحاورون، أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره، والمحورَةُ: من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة كالمحوَرَة»[1].

وأما في معجم مختار الصحاح فنقرأ: «لمحاورة المجاوبة ، والتحاور التجاوب»[2].

ب - الحِوار في التعريفات المعاصرة

تنطوي التعريفات المعاصرة للحوار على المعاني اللغوية والمعرفية، ومن هذه التعريفات: تعريف الباحث أنس الغبيسي الذي يقول: «الحوار أن يتبادل الحديث طرفان أو أكثر عن طريق المناقشة، وعن طريق السؤال والجواب، شريطة وحدة الموضوع والهدف حتى يكون الحوار والنقاش متبادلاً ومجدياً. وقد يصل المتحاورون فيما بينهم إلى نتيجة مقنعة، وقد لا يصلون إلى ذلك»[3].

وتعريف الباحث محمد بوجه: «الحِوار صيغة تواصلية بين طرفين / أطراف من شأنها أن توقظ الانتباه عند كل منهم ، وتحثه على استغلال إطاره اللغوي والمعرفي من أجل المواجهة، وهذا ما يجعل الحوار يقوم على ثلاث وظائف أساسية: التبليغ والتدليل والمواجهة»[4].

---

١ - ابن منظور، محمَّد بن مكرم: لسان العرب، الموسوعة الإلكترونية، مركز التراث، الأردن ١٩٩٩م، ج٤، ص ٢١٨، ٢١٩ .

٢ - الرازي، محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح الموسوعة الإلكترونية، مركز التراث، ج ٤، الأردن ١٩٩٩م، ص٦٧ .

٣- الغبيسي، انس: تقنيات التواصل في السِّيرة النبوية، جريدة النبأ (المغربية)، العدد ٣١، ص٥ .

٤ - بوجه، محمد : منهجية تدريس القراءة، منشورات ديداكتيكا، ط١، ١٩٩٥م، ص٥٨ .

ويشير مالكورزاتا باوليز في تعريفه للحِوار إلى أن مصطلح الحِوار يعني محادثة بين شخصين أو طرفين على الأقل.

ويحدّد ميكولاج ونيارسكي الحقيقة كهدف للحوار إذ يقول: «يهدف الحِوار إلى المحادثة والفهم المتبادل لوجهات النظر كوسيلة للتعاون من أجل البحث عن الحقيقة وحماية القيم الإنسانية العامة والعمل من أجل تحقيق العدالة والسلام»[1].

وهكذا تعني عملية الحِوار تبادل الأفكار والمعلومات بين فردين أو أكثر حول موضوعات معينة بغية الوصول إلى قناعات مشتركة في الموضوعات التي تم التحاور بشأنها .

وسوف نستخدم مصطلح «حِوار الثقافات» بدلاً من «حِوار الحضارات» للأسباب التي بيّنّاها في مقدمة البحث.

٢ - مفهوم الغرب

يتشعب مفهوم الغرب حسب العوامل الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية، ولذا يصعب الحصول على تعريف جامع متكامل.

وتعتبر «موسوعة العلوم السياسية» أنَّ أوروبا والجماعة الأوروبية تمثلان أضخم وأهم التجارب الاندماجية في العالم المعاصر[2].

أمّا نورمان ديفز فقد وضع في كتاب حديث له عن أوروبا أكثر من عشرة تعريفات عن أوروبا والغرب[3].

ومهما يكن من أمر، فإنَّ «مفهوم الغرب» الذي نقصده في بحثنا، هو الغرب بشقيه الأوروبي والأمريكي. رغم تفريقنا الجليّ بين الغرب الأمريكي والغرب الأوروبي من الناحية السياسية، حيث يبدي الغرب الأوروبي تفهماً أكبر للواقع العربي بخلاف الغرب الأمريكي.

---

١ - الجسمي، د. عبد الله: منطلقات أساسية لتعميق حوار الحضارات، أبحاث الدورة الحادية عشرة لمعجم البابطين، مجموعة مؤلفين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٨م، ص٢٢٩ .

٢ - ربيع، محمد محمود / مقلد، إسماعيل صبري: موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت ١٩٩٣ - ١٩٩٤، المجلد (١)، ص ١٠٣٦ .

٣ - الببلاوي، د. حازم : نحن والغرب : عصر المواجهة أم التلاقي، دار الشروق، القاهرة ط١، ١٩٩٩م، ص١٠ .

ثانياً - التعارف كَمَدخَل للحِوار الثقافي

إنَّ تعارف الثقافات هو المدخل الطبيعي للحِوار الثقافي والإعلامي الفاعل بين الشعوب، لأنَّه يتجاوز مرحلة الاعتراف بالآخر إلى مرحلة التعارف المثمر التي ترتكز على ضرورة بناء وتقدم وتكامل الحضارة الإنسانية انطلاقاً من تكامل وتنوع وتمازج وتلاقح الثقافات الإنسانية.

يقول الباحث الدكتور حسن عزوزي: «يعتبر عنصر التلاقي والتلاقح بين الثقافات أمراً طبيعيّاً في مسيرة الفكر الحضاري الإنساني. ويشكل التفاهم والتعايش أبرز المبادئ التي تحكمت في التقاء الثقافات وتلاقحها عبر التاريخ.

إنَّ على أبناء الثقافات أن يتعاملوا في ما بينهم على أساس الانتماء إلى أسرة إنسانية مشتركة، تتفاعل في إطارها مختلف الروابط الثقافية بين الأمم والشعوب، وهذا الأمر كفيل بنزع فتيل الأحقاد والكراهيات والعصبيات التي طالما أنهكت الإنسانية برمتها، بفعل الحروب المدمرة، والصراعات المُنهِكة، التي أثَّرت بشكل كبير على مستوى التقارب بين الثقافات والشعوب حتى أمست متنافرة متباعدة.

فالتعارف بوصفه مبدأً إنسانيّاً سامياً له أكبر الدَّور في منعِ النزاعات والصِّراعات، فهو يقرِّب الأفكار والمسافات، وينسج أواصر التعاون والتفاهم، ويهدف إلى بناء أسس حِوار حضاري مثمر وبنّاء»[1].

إنَّه المبدأ القرآني في الدعوة إلى التعارف بين الشعوب والثقافات، حيث تجلّت عالمية الحِوار القرآني في الكثير من الآيات التي خاطبت النّاس كافة تأكيداً على الطابع الإنساني والوحدة الإنسانية للدين الإسلامي لأنَّ الخلق كلهم عيال الله.

قال تعالى: **﴿ يا أيُّها النّاسُ إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكُم﴾** [الحجرات: ١٣].

---

١ - عزوزي، د. حسن: من اجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٤٠٦، الكويت، سبتمبر، اكتوبر ١٩٩٩م .

هذه هي عالميّة الحِوار القرآني الذي يصل بإنسانية دعوته إلى درجة عظيمة من التأكيد على مبدأ إنسانية البشر جميعاً.

«فالخطاب موجّه في الآية الكريمة إلى النّاس كافة، وأية كلمة أوسع شمولاً في مدلولها الإنساني من كلمة الناس التي تشمل البشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وقومياتهم وأديانهم وطبقاتهم»[1].

ويشير مفهوم التعارف الوارد في الآية الكريمة إلى الحِوار لأنّه لا تعارف دون حِوار، فالتعارف يعني الاعتراف المتبادل بين الأطراف المختلفة بالمشتركات التي يمكن التلاقي حولها استناداً إلى طبيعة الإنسان الواحدة.

لقد باءت بعض اللقاءات والندوات الحِوارية بالفشل الذريع، لأنّ المتحاورين افتقدوا التعارف المسبق. ولا يخفى ما للتعارف من دور بارز في الحيلولة دون وقوع النزاعات المسلحة، فضلاً عن كونه عاملاً هاماً من عوامل نجاح الحِوار.

إنّ من أهم أسباب معاداة الغرب وسوء فهمه للعرب، هو جهل أهله بالثقافة الإسلامية وقيمها الأخلاقية والإنسانية ومقاصدها السامية ودعوتها إلى الحق والعدل والخير والمحبة والسلام للبشرية جمعاء، فلا قيمة للحِوار مع الغَرب، إذا لم يتعرف علينا ونتعرف عليه باستيعاب واحترام تام للمكونات الثقافية والقيم الاجتماعية والمثل الأخلاقية لكل منّا.

ثالثاً - أهمية الحِوار ومبرراته

يعتبر الحِوار الوسيلة المثلى للتعارف وإضاءة النقاط المظلمة في العلاقات بين البشر. وقد أكّد القرآن الكريم على قيمة الحِوار، واعتبر أن التعدد والاختلاف الموجود بين البشر ليس من أجل الاستعلاء والاستكبار والانزواء، وإنما من أجل التعارف والتفاهم، قال تعالى: **﴿يا أيُها الناسُ إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شُعُوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** [الحجرات: ١٣].

---

١ - المبارك، هاني/ أبو خليل، د. شوقي: الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦، ص ١٨ .

الحِوار إذاً يقوي خيارات التواصل والتعارف بين الأمم والشعوب، ويعتبر الوسيلة الحضارية المثلى لتعرّف الإنسان على بني جنسه ومحاصرة سوء الفهم الذي نشأ منذ حقب طويلة بين العرب وأبناء الغرب.

يوصّف الشيخ محمّد علي أهمية الحِوار بقوله: «إنَّ الحِوار أداة الكشف عن الحقائق والأشياء الخفية، ومن خلاله تتم الإجابة عن كثير من علامات الاستفهام والإشكاليات العالقة في الذِّهن، أو تزيد من القناعات الذاتية، ، وبشكل مجمل فإنَّ الحِوار ينضج الأفكار والقرارات، ففي الجانب الفكري والثقافي مثلاً ينمِّي حِوار الأفكار ويعمّقها ويشذّبها، ويحرّك العقل»[1].

ومن أهم مبررات الحِوار الثقافي والإعلامي معَ الغَرب:

١ - الحِوار العربي الغربي يصبح ضرورة لمواجهة التحديات المستقبلية المتعددة، وخاصة في ضوء الظروف الراهنة التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط، وفي ظل التحولات التي تجري في القارة الأوروبية، وانطلاقاً من حقيقة أن تحديات القرن الحادي والعشرين المعلنة لن تطال العرب وحدهم بل ستطال الغربيين أيضاً[2].

٢ - الحِوار وسيلة هامة لتبادل الآراء والخبرات والتجارب التي تعود على البشرية جمعاء بالخير والفائدة.

٣ - تطور وسائل النقل والاتصالات، حيث أصبح العالم قرية واحدة يتأثر فيها الشرق بما يحدث في الغرب، كما يتأثر الغرب بما يحدث في الشرق ، وهذا يعزز أهمية ومكانة دور الحِوار في التفاهم بين البشر جميعاً.

٤ - المصالح المشتركة، فمعظم المال العربي مخزون في الدول الغربية، والشطر الأعظم من تجارة العرب هي مع الغرب، ولذلك لا بد من الحِوار لبناء سياسة مشتركة لهذه المصالح المشتركة.

---

١ - علي، الشيخ محمد: قيم الحوار والتعايش، العدد٩٦، دمشق تشرين أول ٢٠٠٤م، ص١٥ .

٢ - خضور، د.أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي، ص٥٦ .

٥ - عجز الدول والأمم عن حل مشاكلها بمفردها، وخير مثال على ذلك الأزمة المالية الأخيرة التي عصفت باقتصاديات الكثير من دول العالم، فضلاً عن مشاكل عالمية أخرى كالإيدز، المجاعة ، التصحر، أنفلونزا الطيور، تلوث البيئة، حيث تتطلب هذه المشاكل جهوداً عالمية متكافلة لحلها.

يقول الباحث العفيف الأخضر : «منذ الآن المشاكل القومية الأساسية غدت مشاكل عالمية متكافلة، حيث لم يعد بإمكان أية أمة أن تحل بمفردها مشاكلها الكبيرة التي يتطلب حلها حِواراً عالمياً لتنظيم وضبط الاعتماد المتبادل والتعاون بين كافة الأمم»[1].

٦ - ضرورة الحِوار الثقافي والإعلامي لحل الخلافات السياسية، حيث يمكن لهذا الحِوار أن يقلل من الخلافات السياسية ويحد من نتائجها السَّلبية ويجنِّب المجتمعات النزاعات والحروب، فيكون وسيلة هامة للتفاهم والسلام.

٧ - الحِوار مدخل الوعي الموضوعي إلى التغيير المدروس والمنطق السليم للوصول إلى أحكام موضوعية بعيداً عن الأحكام المسبقة[2].

٨ - إنَّ انفتاح الثقافات العالمية على بعضها وتلاقحها وتكاملها هو الذي ساهم على الدوام في بلورة الحضارة الإنسانية.

٩ - إنَّ الحِوار مع الغَرب يساهم بقراءة الفكر الغربي وتحليله بمنهجية علمية موضوعية تمكِّن العرب من معرفة الوجه الحقيقي لثقافة الغرب.

١٠ - إنَّ التغيرات التي يمر بها المجتمع العربي تَفْتَرِضُ تأملاً عميقاً للذات ونقدها، وتحليل علاقات العرب مع غيرهم، لأن هذه العلاقات تنعكس مباشرة على أوضاعهم الداخلية .

---

١ - الأخضر، العفيف: لنراهن على ضبط تلاقح الثقافات والحوار، مركز البحوث الاجتماعية، جامعة القاهرة ٢٠٠٣م، ص٣٩٤ .

٢ عرسان، د. علي عقلة: الثقافة العربية والتحديات المعاصرة، مجلة المعلم العربي، العدد الثاني، السنة السابعة والخمسون، دمشق ٢٠٠٤م، ص١٣٧ .

رابعاً - فلسفة الحوار

يُعتبر المفكر الألماني المعاصر «يورغن هابرماس» أول من حوّل «مفهوم التواصل» إلى فلسفة أطلق عليها «فلسفة الفاعلية التواصلية».

ومما لا شك فيه أن مفهوم الحِـوار يلتقي مع مفهوم التواصل في نسق فكري ومعرفي مشترك ، فكلاهما يتضمن بناء الجسور والوصول إلى الآخر وتجاوز الذات، فلا تعارف دون تواصل.

إنَّ الحِوار بين الثقافات هو موقف وجودي وخيار جماعي، وهو مقولة كونية كبرى تستدعي النظر بمنظور كوني لواقع العالم واستحضار الكون بأسره لا الانزواء داخل ذاتيات متضخمة تحجب التعرف إلى خارطة العالم البشرية وتعيق فهم الذات على حقيقتها[1].

ويُقدِّم «هنري جيمس» في إحدى نظرياته في فلسفة الاجتماع رؤية فلسفية مركبة لعملية الحِوار، يقول:

إذا التقى شخصان (ألف وباء)، فإنَّ عددهما يكون ستة:

- الشخص (أ):

١ - كما يرى نفسه. ٢ - كما يراه الآخر. ٣ - كما هو حقيقةً وواقعاً.

وكذلك الآخر بالنسبة للشخص (ب):

يجري الحِوار بين هذه الشخصيات الست في وقت واحد:
١ - يكون حِوار طرشان عندما يجري بين الشخصين كما يرى كل منهما الآخر.
٢ - يكون صِدامياً عندما يجري بين الشخصين كما يرى أحدهما الآخر.
٣ - يكون صادقاً وحقيقيّاً ومخلصاً عندما يجري بين الشخصين الحقيقيين[2].

وهكذا لا بد للحِوار الثقافي الهادف والفاعل أن يتسم برؤية فلسفية عميقة ومتعددة الأبعاد والآفاق.

---

١ - قانصوه، وجيه: من مداخلته «حِوار الحضارات» التي ألقاها في دمشق يوم الإثنين ٢٠٠٢/١/٢١م ضمن فعاليات مؤتمر «كيف تواصل مشروع حوار الحضارات» الذي أقيم بالتعاون بين مركز الدراسات الاستراتيجية في جامعة دمشق والمركز الدولي لحوار الحضارات في طهران، انظر موقع حِوار الحضارات.

٢ - السَّمّاك ، د. محمّد : حوار الحضارات والمشهد الثقافي، مجموعة مؤلفين ، ص ٧٠ .

خامساً - محاذير يجب تفاديها

تنطوي عملية الحِوار على محاذير يجب على المتحاورين تفاديها لإنجاح عملية الحِوار، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - تحريف الفكرة، أي تعديل الرأي المضاد لنقده، فلا يؤخذ القول كما هو، إنما يجري تعديل هيئته وصورته. وهناك أدوات كثيرة تستخدم في أعمال هذا الأسلوب، منها نزع القول من سياقه ووضعه في سياق آخر، وكذلك استخدام التفسير والتأويل في تكوين المعاني، الأمر الذي يفضي إلى سوء الفهم، وبهذا الأسلوب لا تقوم علاقة حِوار[١].

٢ - المجاملات، أي قد يقع أطراف الحِوار في المجاملات التي تعيق الحوار الحقيقي.

٣ - تشتت الأفكار والمفاهيم وضبابية رؤية الواقع.

٤ - أحادية التفكير والتكفير، والتخوين المتبادلين[٢]

٥ - النسبية الثقافية، أي قد يفتح الحِوار الباب للنسبية الثقافية التي تتناقض وإطلاقية الحقيقة لدى كل ثقافة[٣].

٦ - قد يؤدي الحِوار إلى نوع من توفيقية غير لائقة تتنافى مع حقيقة الحِوار ومقاصده السامية.

٧ - انقطاع العلاقة بين الفكر وموضوعه، الشيء الذي يجعل الخطاب المعبَّر عنه خطاب تضمين وليس مضمون[٤].

٨ - يرى بعض المتحاورين عدم وجود قيمة للحِوار بزعم أنه مبادرة سريعة عابرة لا يعقبها متابعة وتعزيز.

٩ - الحِوار الزائف، وهو الحِوار الذي يعتمد على الصّورة الشكلية أكثر من المضمون أو الجوهر.

---

١ - ابو الفضل، د. منى / عبود، د. أميمة / الخطيب، د. سليمان: الحوار مع الغرب، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٨، ص١٢٠ .

٢ - حنفي، حسن / الجابري، عابد : حوار المشرق والمغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٠م، ص٢٣ .

٣ - النيفر، د. احميدة/ بورمانس، موريس: مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٥م، ص ١٣٥ .

٤ - الجابري، عابد: الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢م، ص١٨٢ .

سادساً - أُسس الحوار وشروطه

إنّ التعرّف على ثقافة الآخر وإدراك منطلقاتها ومقوماتها وعناصرها يمثل أول شرط من شروط الحِوار الموضوعي بين الثقافات.

يقول الباحث أحمد ثابت في كتابه العرب بين الحِوار الثقافي والانعزال: «إذا كان العرب والمسلمون يقومون فعلاً بمحاولة الحِوار والتي تتسم بالحرص على الموضوعية وطلب الفهم السليم، فحريٌّ بمفكري الغرب وباحثيه وساسته أن يبادروا بشجاعة إلى محاولة التعرّف المنفتح والموضوعي على الحضارة العربية الإسلامية، وذلك يتطلب التحرّر من رؤى متحيِّزة تصوِّر العرب والمسلمين كمجتمعات تميل إلى الجمود والعزلة والعنف تجاه الغرب، ولا سيما بعد الهجوم الإرهابي على الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م»[1].

إنَّ العالم الغربي يجب أن يدرك أنَّ ظاهرة التعصب القومي أو الديني موجودة في كل المجتمعات والديانات، بما فيها المجتمعات الغربية، وهي في مجملها لا تمثل سوى قلة قليلة من البشر، في مقابل تيار عريض يمثل الأكثرية المطلقة يتسم بالنزعة الإنسانية وينشد الحِوار والتسامح والسلام.

وفي هذا المعنى يقول المفكر الألماني غونتر مولاك: «يحتاج الحِوار إلى شركاء مخلصين يمثلون جميع مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية للتغلب على الظنّ وخلق جو من الثقة والتعاون لردم الهوّة المتنامية بين الغرب والعالم العربي، وتحليل جذور الكراهية والعنف والعداء بين الثقافات»[2].

ولكي ينجح الحِوار لا بد أن يستند إلى مجموعة من الأسس والشروط ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الحرية في تبادل الرأي ووجهات النظر بين المتحاورين، واعتراف كل متحاور بالطرف الآخر كونه عنصراً هاماً وفاعلاً في عملية الحوار، والحوار معه

---

١ - ثابت، أحمد: العرب بين الحوار الثقافي والانعزال، الدار الوطنية الجديدة، دمشق ٢٠٠٤م، ص٧١ .

٢ - مولاك، غونتر: اهمية الحوار مع العالم الإسلامي، مجلة الفيصل «السعودية»، العدد ٣٣١، مارس ٢٠٠٤، ص٤٩ .

على أساس المساواة والاحترام . ويقول المفكر أمين الريس: «إنَّ الحوار بين الثقافات يجب أن يكون مبنيّاً على أساس المساواة بين كافة الأجناس البشرية»[1]. وهكذا يجب أن يفترض الحِوار احترام الآخر، ووعياً للذات واحترامها في آنٍ واحد.

٢ - الحِوار بالحكمة والموعظة، قال تعالى: ﴿ادعُ إلى سبيل ربِّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة﴾ [سورة النحل : ١٢٥]. فينبغي أن يتصف المحاور بالروية، والأناة، وبعد النظر، ووضع الأمور في نصابها، وتوقيت الأشياء بأوقاتها.

٣ - وضع أسس للحِوار متفق عليها، يقول الباحث زين العابدين الركابي: «لا يصح ولا يصلح حِوار قط بلا أُسس: يبتدئ أو ينطلق منها، ويصطحبها في مساره، وتكون هذه الأسس بمثابة - مرجعية - متفق عليها لرد الحِوار أو المتحاورين إليها عند النزاع أو عندما يشذ الحِوار عن مساره»[2].

٤ - طبيعة الفريق المحاور، ليس جميع الناس يصلحون للحِوار، لذلك يجب أن يتوافر في الفريق المحاور مجموعة من السِّمات الأساسية، منها: الكفاءة العالية والثقافة الواسعة وسرعة البديهة والعلم الصحيح بالإسلام والأديان العالمية الأخرى، فضلاً عن معرفة التاريخ الحضاري الإنساني، ومعرفة أساليب الحِوار.

٥ - اعتماد الحِوار العقلي والعلمي، يهدف الحِوار الحقيقي إلى إبراز الحجَّة والبرهان والمنطق العلمي والعقلي والتزام التسلسل المنطقي الذي يستميل القلوب والعقول، ويفتح الأبصار والبصائر على الحقيقة.

٦ - التجرد عن الأحكام المسبقة، يقوم هذا الأسلوب على تفريغ الحِوار من الأفكار المسبقة التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة.

---

١ - الريس، أمين: الإسلام والحضارات الأخرى، ، مجلة العالم، السعودية، العدد ١٣، يونيو ٢٠٠٠م، ص٥٧ .

٢ - الركابي، زين العابدين: ضمانات لحوار الأديان حتى ينجح، المجلة العربية (السعودية)، العدد ٣٧٦، مايو ٢٠٠٨م، ص٩.

٧ - الاستعداد الفكري والنفسي للحِوار الثقافي مع الغرب، وهضم وتمثّل إنجازاته وقيمه الأساسية في العمل والمعرفة دون الانصهار في الثقافة الغربية والاستسلام لمفاهيمها الفلسفية الكلية[1].

٨ - أن يكون لدى المتحاورين قدرة فكرية تحليلية على فهم تحولات العالم المعاصر، وطاقة إبداعية في مجالات الفكر والعلوم والآداب للمشاركة في النهضة العالمية المعاصرة.

٩ - الانتقال من مستوى الدعاية والإعلام إلى مستوى الحِوار الحقيقي الذي يتضمن أفكاراً يطرحها جانبان متعارضان من أجل استجلاء الحقائق، وكشف الوقائع من الأوهام.

١٠ - أن يقوم حِوار الثقافات على الاتصال المباشر بين أبناء الدول العربية والغربية كأفضل سبيل لتحقيق التفاهم المشترك والاحترام الشامل للعلاقات التي يجب أن تُبنى على الحقائق والتفاهم وليس على العرق أو الدّين.

ويمكن للعرب الذين يعيشون في الغرب بشكل دائم أو مؤقت (وعددهم يتجاوز ٣٥ مليون نسمة) أن يحاوروا الإنسان الغربي في كل موقع ولا سيما في مواقع صناعة السياسة والقرار، فضلاً عن مواقع الثقافة والإعلام.

١١ - القدرة على توليد الأفكار التي تحرِّك الحِوار وتفَعل آلياته.

١٢ - عدم إثارة الطرف الآخر، كيلا ينحرف الحِوار عن منهجه فيؤدي ذلك إلى قطع كل الوشائج والعُرا التي تُقرّب بين وجهات نظر الطرفين.

١٣ - قيام الحِوار على مبدأ عدم العنف، واعتماد الرفق واللين والمحبة، فتنفتح القلوب وتتلاقى الأفكار ويزهرُ الحِوار.

١٤ - رسم خرائط معرفية لكلٍّ من أطراف الحِوار تحدِّد الاتجاهات الفكرية والأيديولوجية الفاعلة وتقيم الوزن النسبي لكل تيار واتجاه، وتتأتى أهمية هذه الخرائط من أنها

---

١ - فتاح، عرفان عبد الحميد: إسلامية المعرفة ومنهجية التثاقف الحضاري مع الغرب، مجلة المعرفة، السنة الثانية، العدد٢، يوليو ١٩٩٦م.

تمنع صياغة التعميمات الجارفة عن أطراف الحِوار، تلك التي تؤدي إلى تشويه صورة كل طرف وتقديم صورة مختزلة عن الثقافات المتفاعلة[١].

١٥ - عدم تعالي كل طرف على الآخر خلال عملية الحِوار.

١٦ - ليس من اللازم أن يكون الهدف من الحِوار انتقال أحد الطرفين المتحاورين إلى موقع الطرف الآخر، بالتسليم له بكل منطلقاته، بل لعلَّ الأسلم في كثير من الأحيان أن يكون هدف الحِوار التقاء الأطراف المتحاورة على ما يكشفه الحِوار الصادق من النقاط المشتركة بين هذه الأطراف[٢].

١٧ - القبول بمبدأ الاختلاف، ولعلَّ الاختلاف يكون بداية لحوار مثمر يوفر فرصاً للتلاقي والاتفاق.

١٨ - تعتبر البداية الجيدة من شروط الحِوار المثمر، حيث تقوم على الاتفاق على قواعد الحِوار ومسلماته فالبدايات الصحيحة تعطي نتائج صحيحة.

١٩ - الصِّدق والصراحة والمكاشفة، والاهتمام المتبادل بموضوع الحِوار.

٢٠ - احترام ثقافة الآخر واعتبار الحِوار هو المدخل الطبيعي لتحقيق السلم العالمي.

٢١ - التزام الموضوعية وإزاحة العقبات من طريق الحِوار.

٢٢ - تجزئة الحِوار على مراحل، فكلما اتفقنا على نقطة تلاقي وذللنا عقبة خلاف انتقلنا إلى مرحلة أخرى، بما يضمن استمرار الحِوار للوصول إلى النتائج المرجوة.

٢٣ - ضرورة تجاوز الأزمة الثقافية العربية لتوفير الشرط الضروري للحِوار وهو - برأي الدكتور عبده عبود - تجاوز حالة الضعف والتخلف والتشتت التي تعاني منها الأمة العربية، وبناء مجتمع عربي قوي مزدهر[٣].

---

١ - ياسين، السيد: الإعلام والتواصل العربي- الأوروبي، جريدة الأهرام، القاهرة ٨ أبريل ٢٠٠٤م.

٢ جواد، إبراهيم محمد: الإسلام وفرص الحوار مع الغرب، انظر موقع حوار الحضارات.

٣ - عبود، د. عبده: مستقبل حوار الثقافات، «مجلة المعرفة» السورية، العدد ٤٨٩، حزيران ٢٠٠٤م، ص٣٧ .

٢٤ – ضرورة نشر ثقافة الحِوار المنطلقة من مبادئ الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والتنوع الثقافي.

٢٥ – ضرورة أن يقوم الحِوار على أساس النقد المزدوج، نقد الذات وتفكيك خطاب الآخر.

٢٦ – يفترض الحِوار حدّاً أدنى من المرجعية المشتركة، ولا يقوم إلّا على الدفاع عن قيم جماعية، حيث يجب عليه أن يُبرز القيم والأفكار التي من شأنها توفير مناخات المحبة والصداقة والسلام، وأن يستبعد جميع مظاهر العداء والكراهية والتعصب بما يعود على البشرية جمعاء بالخير والسلام.

٢٧ – إنَّ الحِوار الثقافي يعني إدخال كل تجارب الحياة داخل النظر والتأمل، وإشراك الرؤى التي جسدتها ثقافات الشعوب بغية الوصول إلى المشتركات الإنسانية الأساسية.

٢٨ – حصر كافة المشكلات التي تعوق الحِوار الثقافي الإيجابي، ومناقشة كافة المشكلات الإنسانية العالمية.

٢٩ – لا بد أن يكون الحِوار الثقافي بين العرب والغرب شاملاً وليس انتقائيّاً، وعلى كافة المستويات، في الجامعات، وفي النوادي الفكرية، ومراكز الأبحاث، وبين كافة المنظمات الحكومية وغير الحكومية، ومؤسسات المجتمع المدني، وبين الناس في مواقعهم اليومية.

٣٠ – ضرورة فهم ثقافة الغرب، وفهم طريقة التفكير التي تتحكم في هذه الثقافة، وفهم الأفكار السائدة فيها.

٣١ – البحث عن الحقيقة بموضوعية ومنهج علمي سليم وعقلانية رشيدة وحسّ نقدي بنّاء مع توفير كل الوسائل والطاقات والإمكانات اللازمة لذلك، وتمحيص الوقائع والوثائق والمعطيات التاريخية لتنقية الذاكرة من كل الشوائب التي ألحقتها بها ظروف وأهواء وأشكال من الجهل والتجاهل والعداء، بعيداً عن التحيّز ومحاولة التعالي بقوة المنطق والعلم والحكمة[1].

---

١ – عرسان، د. علي عقلة: الثقافة العربية والتحديات المعاصرة، مجلة المعلم العربي، السورية،، العدد الثاني، السنة السابعة والخمسون، دمشق ٢٠٠٤م، ص١٣٧ .

سابعًا - عناصر الحوار

١ - مُسلَمات الحوار وبديهياته

تدخل الأطراف عملية الحِوار باتفاق واضح على مسلمات وبديهيات تحدّد ماهيّة الحِوار وتوضح طبيعة علاقاتهم معاً أثناء الحِوار، وتبين آفاق الحِوار ورؤاه ومنطلقاته الفكرية والمعرفية والأخلاقية.

ومن هذه المسلمات والبديهيات على سبيل المثال لا الحصر:

- الحديث مع الذات ومكاشفتها قبل الحديث مع الآخر.
- الحفاظ على مجموعة الأفكار الإنسانية في تحقيق الحِوار.
- الحفاظ على التنوع والاعتراف به كظاهرة إنسانية حتى يصبح الحِوار ضرورة.
- دفع الناس لبناء حضارة إنسانية متكاملة.
- قراءة الآخر وفهمه واحترامه دون الاستناد إلى المصادر الإعلامية بل قراءته قراءة موضوعية.
- تحقيق شروط حرية الحِوار عن طريق استخدام قوة الحجة كوسيلة حضارية لفض النزاعات.
- ضرورة معرفة مَنْ نحن ومَنْ نُحاور ومعرفة هويته.
- إدانة العنف والإرهاب والاحتلال والإساءة إلى كافة الرموز الدينية.
- الاعتراف بأن المحاور لا يعرف كل الحقيقة، ولذلك يجب أن يعترف بالآخر، ويسعى لاستنطاقه بغية الحصول على الحقائق الصحيحة، والسعي إلى التوصل إلى مرحلة متقدّمة من التعارف والفهم.
- المساواة بين المتحاورين لتأمين جو صحي بعيد عن السيطرة والتسلط.

- الحقيقة ليست ملكاً لأحد: على شعوب المعمورة الإقرار بأن الحقيقة ليست ملكاً أو حكراً على شعب من الشعوب .
- الحقائق التي تتعلق بالأمور الثقافية نسبية: فكل ثقافة ترى الحقيقة من خلال التصورات والمفاهيم والمعتقدات السائدة فيها في نظرتها للعالم والواقع المعاش وعلاقة أفرادها بعضهم بعضًا .
- الحقيقة يجب ألا تفهم بشكل مفرد، بل من خلال سياقها الثقافي.
- لا بد من فهم الطريقة أو الطُرق التي تسود ثقافة ما، للوصول لليقين فيها حتى يتم معرفة الأساس الذي تقوم عليه حقائقها .
- طريقة الوصول إلى اليقين مسألة تفصيلية للتمييز بين الثقافات.
- اكتشاف الحقائق: قد يكون الادِّعاء باكتشاف الحقائق أمراً غير مألوف في حِوار الثقافات الذي يتميز بالجوانب الذاتية. لكن هناك مجال أن ينتج عن الحِوار حقائق جديدة يمكن اكتشافها من خلاله
- ليس هناك غرب مطلق وشرق مطلق، لأنَّ الحضارة الإنسانية تشكلت بفعل تفاعل وتداخل وتواصل الثقافات الإنسانية كافة.

٢ - منهج الحوار

المنهج هو النظام الذي يسلكه الحِوار وفقاً لمجموعة من القواعد العامة، والطرق المتسقة غير المتناقضة، وهو أداة هامة للحِوار إذ يمكن من خلاله أن تُطرح الأفكار والمفاهيم للنقاش بطريقة منهجية، حيث تُطرح الأفكار بصورة متسلسلة تترتب من خلالها الأفكار من حيث الأهمية والتحليل.

كما يُعتبر المنهج أداة للربط بين الأفكار وتسلسلها المنطقي، ويجعل المعرفة مسألة مستقلة عن الإنسان لها كيانها الخاص وأسسها المنطقية التي تُبنى عليها .

وتعتبر المناهج التجريبية والعقلية هي التي يمكن التعويل عليها في الحِوار. كونها تقود المتحاورين إلى الحقائق الواضحة.

ويرى الدكتور عقيل إبراهيم القين «أن مَنهج الحِوار يجب أن يستند إلى الأساليب العلمية التي تكفل أكبر قدر من مناقشة المناهج والأساليب العلمية والموضوعية ورسم الأسس وتحديد الأبعاد»[1].

ومن أهم أساسيات منهج الحوار:

- أنْ يعرف كلُّ طرفٍ الطرفَ الآخر[2].
- أن يبذل كلُّ فريق جهده كاملاً ليصغي الآخر إليه ويتلمس الوسائل لمعرفته على حقيقته أيضاً. ولا يستطيع المحاور أن يصل إلى مراكز الإفهام والإقناع عند محاوره إلَّا إذا فهمه أولاً وعرف كيف يخاطبه ويتعامل معه.
- تحرّي الحقّ في الحِوار مع الآخر والتجرُّد عن شهوة الغلبة والإفحام ولو بالباطل.
- أن يقوم الحِوار على النِّديّة والتكافؤ بين الفريقين، فلا يحسّ أحد الطرفين بالدونية والطرف الآخر بالاستعلاء.

ويرى الشيخ محمّد علي «أن أهم معايير مَنهج الحِوار العلمي في إطار الرؤية الثقافية الإسلامية هي: التعارف والتوعية، والوضوح، والموضوعية، واعتماد المشتركات»[3].

ويعتبر مَنهج الحِوار الإسلامي الرشيد الذي أكّده القرآن الكريم: **﴿وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلالٍ مُّبين﴾** [سبأ: ٢٤]. أهم مَنهج إنساني في الحِوار على الإطلاق، لأنّه يعتمد على القاعدة التالية : قد أكون على صواب ١٠٠٪ وقد أكون على خطأ ١٠٠٪

١ - القين، د. عقيل إبراهيم: مؤتمر الإعلام العربي رؤية شاملة، ص٨٢ .

٢ - الأسد، د. ناصر الدين: حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، مجموعة مؤلفين، المؤسسة العربية، عمان ٢٠٠٤م، ص٣١ .

٣ - علي، الشيخ محمّد: قيم الحوار والتعايش، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد ٩٦، تشرين أول ٢٠٠٤م، ص١٣ .

وقد تكون أنتَ على صواب ١٠٠٪ وقد تكون على خطأ ١٠٠٪ هناك حقيقة ضائعة بيننا فلنتحاور معاً من أجل اكتشاف هذه الحقيقة، فأي مَنهج للحِوار أكثر إنسانية وديناميةوعملية من هذا المنهج القرآني السديد.

٣ - أسلوب الحِوار

يُقصد بأسلوب الحِوار ديناميات سلوك المتحاورين ومؤهلاتهم الثقافية والفكرية والسلوكية التي يُعتمد عليها في عملية الحِوار، كاللين واللباقة وضبط النفس والانفتاح المدروس على الآخر، واحترام مشاعره، ومحاورته بالمنطق العلمي والحكمة والموعظة الحسنة.

إنَّ هذه الأساليب كافية لتترك في نفس الطرف الآخر انطباعاً جيداً عن شخصية المحاور وثقافته ورؤاه وأهدافه.

وفي مقابل هذه الأساليب الحِوارية الايجابية ثمة أساليب سلبية تعوق عملية الحِوار، مثل: التعصب والتشنج، وغياب الرؤية الثقافية، واستخدام أسلوب المغالطات، والاستهزاء، والتهرب، وفقدان الأداء الحِواري الناجح.

ويقوم الأسلوب الناجح للحِوار على تبادل الحُجَج والآراء والمعاني، إنَّه تجربة معاشة بالكلمات.

«وهو بناء لنصٍّ معين، أساس هذا البناء النَّصيّ هو المحادثة، ويتكون أي حِوار بين مُتَحَدِّث ومُخاطب من أرضية مشتركة هي بمنزلة نسيج من الأفكار التبادلية يذوب فيه المُرسِل والمُرسَل إليه ليصبحا شخصاً واحداً متعايشين معاً في العالم نفسه. ومن ثم فإنَّ التواصل أو الاتصال الحواري هو نسيج من المعطيات والأفكار التي يتولد عنها معطيات وأفكار أخرى إلى ما لا نهاية، فكلٌّ من المتخاطبين هو منتج لأفكاره ومستهلك لأفكار الآخرين.

ومن ثم فالحِوار هو تفكير فيما هو معقول وليس فيما هو عقلاني فقط، لأنَّ الحِوار ذا الحجج والبراهين المتبادلة هو نوع من اختبار للشيء وضده أو نقيضه من خلال آليات

توحيد البشر من الحكمة والصداقة والإخاء، فالحِوار هو وسيلة تعلّم ما هو اجتماعي ومدني وثقافي لإدارة المجال الاجتماعي كله، بمفرداته المختلفة: الفكر واللغة، الحقيقة والاتصال، التسامح والمشكلات الواقعية»[١].

ويعتبر التحليل المنطقي من أهم أساليب الحِوار، كونه الأساس الذي يرتكز عليه مَنهَج الحِوار الذي يقوم على أُسس منطقية تربط بين أجزائه.

ويلعب التحليل المنطقي دوراً هاماً في الإقناع وإيجاد التبريرات المنطقية لما يدّعيه المتحاورون وما يقدّمونه من حُجج لتعزيز أفكارهم وموقفهم الفكري من القضايا مَوضِع الحِوار.

وتتجلى أهمية التحليل المنطقي في معظم الحِوارات المتعلقة بالقضايا الأيديولوجية والفكرية والثقافية.

٤ - مُحَدِّدات الحِوار

تعكس محددات حِوار الثقافات رغبة متبادلة في التعايش والتفاهم والتعاون انطلاقاً من اقتناع مؤداه أنَّ العالم يواجه مشكلات وأزمات أكبر من أن تدّعي حضارة ما أنها تملك المفتاح السحري لحلها كالأزمة المالية التي تعصف باقتصاديات معظم دول العالم في وقتنا الراهن (أواخر عام ٢٠٠٨م).

كذلك لا تستطيع أيُّ أيديولوجية أن تدّعي بأنها تحتكر الحقيقة وحدها، وإنما يستلزم الأمر إقرار كل طرف بأنه يملك جزءاً من الحقيقة ولا ينكر على الأطراف الأخرى امتلاك أجزاء أخرى منها، والإقرار أيضاً بقدرة الجميع على المساهمة بشكل أو بآخر في تقديم الحلول لتلك المشكلات وضمان توازن تقدُّم مسيرة الحضارات الإنسانية دون إخلال بأحد مكوناتها قد يؤدي إلى حالة عدم توازن تُدخل البشر بمرحلة جديدة من الاضطرابات والفوضى والحروب العرقية والقومية والدينية تفضي إلى الدمار والخراب[٢].

---

١ - ابو الفضل، د. منى / عبود، د. اميمة: الحوار مع الغرب، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٨م، ص٧٢-٧٣ .

٢ عبد الناصر، د. وليد: ما هي موضوعات حوار الحضارات ومحدداته، www.balagh.com.

٥ - أهداف الحوار

تُحَقق عملية الحوار مجموعة من الأهداف الهامة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- الوصول إلى الحقائق الموضوعية، فالأطراف المختلفة تدخل الحِوار وفي ذهن كل طرف منها تصوره الخاص به للحقيقة انطلاقاً من ثقافته، وبنتيجة الحِوار يتم التفاهم حول الحقائق المقنعة لدى طرف عندما يأخذها الطرف الآخر بعين الاعتبار. «فالحقائق التي يتم التوصل إليها والتي يمكن أن تُعتمد من قبل الكثيرين هي القائمة على الجوانب التجريبية والعقلية، أما الأنماط الأخرى مثل الحقائق الحدسية أو الذاتية فلا يمكن أن يعول عليها كثيرًا»[١].

- إيجاد حل مثالي لسوء الفهم وعدم الاتفاق حول المشكلات والقضايا الإنسانية بين أطراف الحِوار، من خلال الانفتاح على الآخر واحترامه بعيداً عن أساليب الخداع والتضليل.

- إيجاد الجامع الحضاري المشترك بين الثقافتين العربية والغربية، والاتفاق على الحدّ الأدنى من المشتركات القيمية والأخلاقية والثقافية والالتفاف حولها مع الاعتراف بتمايز كل ثقافة فيما يتعلق بقيم الحرية و الديمقراطية.

- الوقوف على إيجابيات الحِوار وإخفاقاتها، والانطلاق من رؤى موحدة للنهوض بمستقبل الحِوار وتطويره.

- ترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة والممارسات الاجتماعية السامية، والتصدي للإباحية والانحلال والرذائل المختلفة والتفكّك الأسري.

- دراسة كافة معوقات الحِوار التي تحول دون بلوغه النتائج المرجوة منه.

---

١ - الجسمي، د. عبد الله : منطلقات اساسية لتعميق حوار الحضارات، ابحاث الدورة الحادية عشرة لمعجم البابطين، مجموعة مؤلفين، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨ م، ص٢٣١ .

- مواجهة دعوات الصراع التي تدعو إلى الصِّدام بين الأمم والشعوب.
- توضيح مدلولات المصطلحات، حيث ينبغي على المحاور العربي أن يوضح لنظيره الغربي المدلولات المختلفة لبعض المصطلحات الخِلافية مثل:

- الفرق بين الديمقراطية الحقيقة النابعة من الداخل وبين الديمقراطية الأمريكية المفروضة بالقوة من الخارج.

- الفرق بين حرية الرأي والمسؤولية الأخلاقية تجاه الأديان والرموز الدينية.

- الفرق بين الصهيونية كحركة إرهابية عنصرية، وبين اليهود كشعب واليهودية كدين سماوي ينطوي على قيم أخلاقية رفيعة كالإسلام والمسيحية تماماً.

- الفرق بين المقاومة الوطنية المشروعة ضد الاحتلال وبين الإرهاب...إلخ.

- السعي لإيجاد بيئة دولية سلمية ومستقرة تقوم على أساس الاحترام المتبادل والمساواة فيما بين الثقافات المختلفة، وعدم ازدراء الآخر والحط من شأنه، والاعتراف بوجود تباينات واختلافات فيما بين الثقافات المختلفة.
- إزالة سوء الفهم المتبادل من خلال معرفة أفضل وأكثر عمقاً واتساعاً وشمولاً بالآخر.
- النظر إلى الآخر نظرة واقعية ومحايدة: لفكره وعاداته وتقاليده وسلوكه.
- التعريف بالعرب وأصولهم وحضارتهم، وذلك لأنَّ معظم أبناء الغرب يجهلون من هم العرب، وبماذا يعتقدون، وكيف يفكرون.
- ويرى الدكتور جيمس زغبي: «أنَّ العرب عندما أرادوا تنشيط أرائهم وتقديمها للغرب وخصوصاً أمريكا ركّزوا على توضيح الآراء السياسية فأخطؤوا الهدف، فقد أفادت استطلاعات للرأي في الولايات المتحدة بأن الأمريكان لا تنقصهم معرفة موقف العرب السياسي وإنما أرادوا معرفة من هم العرب»[1].

١ - زغبي، د. جيمس: بماذا يفكر العرب، مؤسسة الفكر العربي، لندن ٢٠٠٣م.

- التعريف الصحيح بالإسلام وقيمه ومبادئه السّامية، وأهميته للشعوب العربية والإسلامية، وموقفه من الحِوار والسلام وحقوق الإنسان والمرأة.
- التعريف الصحيح بقضايا العرب السياسية فلسطين و العراق وغيرهما.
- تعريف الغَرب بمفهوم التضامن العربي والوحدة العربية وأهميتها للعرب.
- التعريف بالرؤية العربية من قضايا العولمة.
- يدعو الحِوار كل ثقافة إلى إعادة تعريف مفردات معجمها المعرفي حتى تتناسب ومفردات الثقافات الأخرى.
- يؤدي الحِوار إلى تضامن الشعوب باتجاه حاجات مجتمعاتهم وتحديات العالم المعاصر، كي يخدموا معاً قيم الخير والسلم والعدل، ويتعاونوا في مجال العلم والتكنولوجيا والمعلومات.
- يؤدي الحِوار إلى تجديد التفكير بالذات والآخر وتعزيز ثقافة الحِوار وأنسنة الثقافة.
- يؤدي الحِوار إلى النَّقد الذاتي الذي يزيل كل العقبات من طريقه، فنحن العرب مدعوون إلى تطوير خطابنا الحِواري مع الغرب، ولا يتم ذلك إلا عبر مراجعة شاملة لبرامجنا الدينية خاصة والإعلامية عامة، وتنقيتها من كراهية الغَرب وتكفيره.
- تنمية علاقات التعارف والصداقة بين الشعوب وتحقيق الخير والعدل والسلام للناس كافة.

٦ - مكان الحِوار وزمانه

ينبغي في تحديد زمان الحِوار ومكانه مراعاة ظروف أطراف الحِوار من النواحي النفسية والاجتماعية وتوافر الاستعداد الكافي.

٧ - آداب الحِوار

يتطلبُ الحِوار آداباً يتحلَّى بها المحاور في حواره مع الآخر لكي يصبح حواراً مثمراً، ومن هذه الآداب الحوارية:

- مخاطبة المحاور بما يليقُ به من العبارات الرَّاقية دون الانحطاط إلى المجاملات والمداهنات المذمومة والتملّق الذي يقطع طريق الحِوار الصحيح.

- حسن الاستماع والإصغاء، والإقبال على المحاور، وعدم مقاطعته، لأنَّ المقاطعة أثناء الحِوار تُخرِجُ الحِوار عن مَقاصده وغاياته.
- ومن الآداب الأُخرى التي يجب أن يتحلّى بها المحاور: عدم رفع الصوت، والصراخ، و(التخبيط) على الطاولة ... إلخ.
- عدم استغلال الأمور الشخصية لأنها تُخرِجُ الحِوار عن مساره الصحيح.
- الدبلوماسية وسعة الصَّدر واحترام الآخر وإعطاء فرص متساوية في الحديث لكلا الطرفين، وعدم الاستفزاز.
- يجب على أطراف الحِوار أن تتحلّى بالنزاهة والابتعاد عن المغالطات المقصودة، وعدم استثمار فرص الحِوار لإفحام الطرف الآخر والهجوم عليه.
- التواضع للحقيقة وقبولها، وعدم التمادي في الباطل.

٨ - العَوامل المساعدة عَلى الحِوار مع الغرب

يُجمل الدكتور عبدالله الجسمي العوامل المساعدة على الحِوار مَعَ الغَرب بالعوامل التالية[١]:

- القضايا المشتركة بين شعوب العالم المختلفة، فالمشكلات التي تعاني منها الشعوب أصبحت مشكلات عالمية ولم تعد تقتصر على دولة أو أمة أو قارة.
- انتشار الأنظمة الديمقراطية في معظم أنحاء المعمورة وانتشار القيم الإنسانية المشتركة مثل حقوق الإنسان والثقافة والحِوار.
- دفعت التطورات التي حدثت في المجتمعات إلى النزوع نحو الواقعية في التفكير وقبول مبدأ الحِوار.
- غياب التنوع الحضاري في عالم اليوم، وتشابه النمط الحضاري العالمي.
- تطور وسائل النقل وتقنيات الاتصالات حيث أضحى العالم قرية صغيرة.
- القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية للديانتين المسيحية والإسلامية.

١ - الجسمي، د. عبد الله: منطلقات أساسية لتعميق حوار الحضارات، أبحاث الدورة الحادية عشرة لمعجم البابطين، مجموعة مؤلفين، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م، ص٢٢٧ .

٩ - نتائج الحوار

وهي ما يترتب على الحِوار بعد انتهائه من حقائق وأرقام جديدة تعلن عن تفوق وجهة نظر أحد أطراف الحِوار، وتؤدي بالطرف الآخر إلى التحول في الرأي كليّاً أو جزئياً، أو تدفعه لمراجعة ذاتية لآرائه، وكذلك مراجعة أخرى لأساليبه ومنهجه وخطابه.

«وقد ينتهي الحِوار بتفاهم الطرفين، أو اتفاقهما على حالة وسط جديدة، والمهم هنا قبول كل أطراف الحِوار بالنتائج مهما كانت، وعدم التعصب والاعتزاز بالخطأ»[1].

وترتبط النتائج المثمرة للحِوار ارتباطاً موجباً وثيقاً بوجود هيئات ومؤسسات ومنظمات تدعو للحِوار وتشجع عليه وتتابع ما أسفر عنه من نتائج وتوصيات.

****

---

١ - علي، الشيخ محمد: قيم الحوار والتعايش، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد ٩٦، رمضان ١٤٢٥ هـ، ص٢٤ .

الباب الثاني

الحوار مع الغرب
إشكالياته وعوائقه

الفصل الأول

الصُورة النَّمطية السلبية عن العرب في الذِّهن الغربي

أولاً - لمحة تاريخية

جاء ردُّ الفعل المسيحي الأول سلبيّاً ضد المسلمين العرب: «فهؤلاء المسيحيين لم يرحبوا على الإطلاق بالإسلام، رغم التسامح الإسلامي نحوهم، ونحو الأقليات الأخرى»[1].

لقد اعتبر هذا الموقف السَّلبي المسلمين أعداء سياسيين وعسكريين، يُقاتلون أو يُحالفون كما تسمح به الظروف، نتيجة لجهل المسيحيين بالإسلام والمسلمين الذين يتصورونهم (كالكفار)، ووثنيين يعبدون ديناً زائفاً، ويتصورون نبيَّهم محمّد صلى الله عليه وسلم كساحر[2].

وهكذا امتزج الخوف بالجهل في موقف المسيحيين الأول من الإسلام.

وحول هذا الموضوع يقول المفكر ريتشارد وليم[3]: «إنَّ الذي انصقل كثيراً وازداد تعقيداً هو الجهل الغربي، وليس المعرفة الصحيحة بالإسلام وقد كان من أبرز نتائج هذه النظرة المسيحية الخاطئة والسَّلبية إلى المسلمين الغزو الصَّليبي».

وقد نقل هؤلاء الغزاة إلى الغرب معلومات خاطئة غير حقيقية عن المسلمين.

وقد ساهمت هذه المعلومات الخاطئة، فضلاً عن كتابات التُّجار والرَّحالة ومنهم «سانت جون ماندفيل»[4] بترسيخ وتكريس مفهوم الصورة السّلبية عن المسلمين.

١ - ساري، د. حلمي خضر: صورة العرب في الصحافة البريطانية، ص٢٥ .

٢ - المرجع السابق: ص٢٦ .

٣ - المرجع السابق: ص٢٦ .

٤ - يصف ماندفيل في كتابه (الرحلات) شعب المشرق بأنّه (شرير، خبيث)، لكنه شعب يتمتع بقيم إنسانية نبيلة، المرجع السابق ص٢٧ .

وهكذا تراكمت الصُّور النَّمطية السَّلبية الخاطئة عن العرب عبر القرون، وتبدَّت على نحو شديد الوضوح في عصرنا الراهن كما سيتضح ذلك في سياقات هذا الفصل.

ولذلك كان لا بدَّ من تصحيح هذه الصُّورة السَّلبية الخاطئة كمدخل طبيعي إلى حِوار هادف سوف يستكمل بدوره تصحيح كل الصُّور والمفاهيم والتصورات السَّلبية والخاطئة لدى الطرفين.

ثانياً - تعريف الصّورة النّمطية

يعرِّف الدكتور أديب خضور أستاذ الصحافة بجامعة دمشق الصُّورة النَّمطية الذِّهنية بقوله: «هي مجموعة الأحكام والتصورات والانطباعات القديمة المتوارثة والجديدة المستحدثة، الإيجابية منها والسَّلبية، التي يأخذها شخص أو جماعة أو مجتمع عن آخر، ويستخدمها منطلقاً وأساساً لتقييمه لهذا الشخص، ولتحديد موقفه وسلوكه إزاءه»[١] .

ثالثاً - الأسباب الكامنة وراء تشويه صورة العرب

تقوم عملية تشويه صُورة العَرب على ثلاث دعائم، هي: العَداء للإسلام في المرحلة الأولى بسبب عجز أوروبا عن فهم الدِّين الإسلامي، والمصالح الاقتصادية والسياسية في مرحلة ثانية. ويضاف إلى هاتين الدَّعامتين، ودون أن تستبعدهما إطلاقاً، الدَّعامة الثالثة وهي القضية الفلسطينية وموقف الغرب المعادي للعرب والمؤيد للصهيونية وإسرائيل، ويمكن إضافة دعامة رابعة تكاد تستكمل مقوماتها وأدواتها، ويمكن اعتبارها، بمنظور ما، نسخة منقَّحة من دعامة المرحلة الأولى وعودة إلى العَداء الدِّيني، ونقصد بها مقولة «صراع الحضارات»، وتصوير الحضارة الإسلامية كعدوَّة للحضارة الغَربية[٢].

وتوصَّل الباحث الدكتور بسيوني إبراهيم حمادة في بحثه الهام «صورة العرب في أذهان صانعي الصُّور الغَربيين» - الذي أنجزه في أواخر عام ٢٠٠٠ على عيِّنة من الصَّحفيين الغربيين - إلى نتائج هامة، ولا سيما ما تعلق منها بالأسباب الكامنة وراء تشويه صورة العرب في الإعلام الغربي، حيث جاءت الأسباب كما يلي[٣]:

---

١ - خضور، د. أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي، ص١١ .

٢ - المصدر السابق: ص٧ .

٣ - حمادة، بسيوني إبراهيم: المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، عدد ٣، تموز / أيلول ٢٠٠٠م.

- ترى نسبة ٨٧,٥ بالمائة من أفراد العينة أن السبب يعود إلى الافتقار بالمعلومات المتعلقة بالشؤون العربية.

- ترى نسبة ٨٥,٧ بالمائة من أفراد العينة أن السبب يعود إلى عدم دقة المعلومات المتعلقة بالقضايا العربية.

- ترى نسبة ٨١ بالمائة أن السبب يعود إلى الصّراعات العربية الغربية العسكرية التاريخية.

- ترى نسبة ٧٩,٢ بالمائة أن السبب يعود إلى تحيّز التغطية التي تقدمها وسائل الإعلام الغربية للقضايا العربية.

- ترى نسبة ٧٤,٤ بالمائة أن السبب يعود إلى الحساسيات الدِّينية العربية والغربية.

- ترى نسبة ٦٥,٥ بالمائة أن السبب يعود إلى موقف الشعوب الأوروبية التي تمتلك صورة مشوَّهة عن العرب.

- ترى نسبة ٥٨,٣ بالمائة أن السبب يعود إلى سلوك العرب.

- ترى نسبة ٥٧,١ بالمائة أن السبب يعود إلى الدِّعاية المعادية للعرب.

- ترى نسبة ٥٤,٨ بالمائة أن السبب يعود إلى سوء فهم أزمة الطاقة العالمية.

- ترى نسبة ٣٩,٩ بالمائة أن السبب يعود إلى عدم فهم العرب لآليات عمل وسائل الإعلام الغربية.

أما من وجهة نَظَر عَربية فيمكننا إجمال عوامل تشويه صورة العربي والمسلم على النحو التالي:

١ - كتابات الرَّحالة والمستشرقين غير المنصفة.

٢ - الأيديولوجية الدِّينية التي تنطلق من العَداء والكراهية للإسلام من منطلق ديني.

٣ - الصّراع العربي الإسرائيلي.

٤ - ظهور النفط في الوطن العربي.

٥ - الاستعمار الغَربي القائم على الاستغلال والهيمنة.

٦ - عدم التفريق الصَّحيح بين المقاومة المشروعة ضد المحتل و بين الإرهاب.

٧ - رواسب حكايات ألف ليلة وليلة في الذِّهن الغربي ... إلخ.

رابعاً - الدَّور السَّلبي للاستشراق والرَّحالة

الاستشراق مؤسسة سياسية ثقافية راسخة ذات طابع تاريخي، اجتماعي، سياسي. وهو نظام المعرفة الغَربية بالشرق.

وقد عكس الاستشراق التفوق الأوروبي والعنصرية العرقية والإمبريالية وأفكاراً مذهبية جامدة عن الشَّرق بوصفه تجريداً مثاليّاً لا متغيراً.

وقد ورثَ الغَرب النظرة السَّلبية عن القبائل العَربية منذ الحضارة البيزنطية.

كما كان «الحدث المهم الذي وضع العرب في مجال التاريخ العام هو ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية عند بداية القرن السابع الميلادي، عندها بدأ في أوروبا العداء للمسلمين ككفار. واستعيد الموروث الكلاسيكي عن العرب، وتحوَّل الجهل المعرفي إلى عَداء ديني ثم سياسي، انتهى بالحروب الصُّليبية. وأمام انتشار الإسلام لم تستطع أوروبا (القروسطية) أن تقدم استجابة سوى الخوف والشعور بالرهبة»[١].

لقد ساهم الاستشراق على مدى خمسة قرون بتكريس المئات من الأوهام والخرافات والأكاذيب والتصورات السّلبية الخاطئة عن العرب والمسلمين حتى أصبحت رأياً عاماً غربيّاً سلبيّاً يصعب تغييره أو تعديله.

١ - من هم المستشرقون؟ وما هو الاستشراق؟ ومن هم الرَّحالة ؟

«المستشرقون هم الكتَّاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر العربي الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية»[٢].

«والمستشرق أيضاً هو كل من يقوم بتدريس الشّرق أو دراسته أو الكتابة عنه أو بحثه في جوانبه المحددة والعامة، سواء أكان ذلك الذي يقوم بالدرس أو الكتابة

١ - سمعان، د. ميخائيل: صورة العرب في عقول الأمريكيين : ص٨٩ .

٢ - خراط، د. محمد يحيى : الاستشراق والمستشرقون، مجلة المعرفة، العدد ٥٠٧، دمشق كانون الأول ٢٠٠٥، ص٢٦ .

أو البحث مختصاً بعلم الإنسان (انثروبولوجي) أو بمختلف العلوم أو مؤرِّخاً أو فقيه لغة (فيلولوجي) في جوانبه المحددة والعامة على حدٍّ سواء، هو مستشرق، وما يفعله المستشرق في هذا المجال هو استشراق»[١].

إنَّ الاستشراق هو أسلوب غربي للسيطرة على الشّرق وإعادة صياغته والتحكم فيه[٢].

أما الرَّحالة الأوروبيون الذين جالوا بكثافة في الشّرق المسلم طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فقد بنوا ملاحظاتهم وآراءهم وتقييماتهم للشّرق المسلم على النظرة الموروثة عن العرب والمسلمين، وساهموا في ترسيخ ونشر صورة سلبية عن العرب والمسلمين.

وعلى العموم فقد جرى تصوير العرب في كتابات هؤلاء الرَّحالة والتُّجار على أنهم شعب خطر، متوحش، صفيق، عدائي.

لقد دخل هؤلاء الرَّحالة والتُّجار إلى بلاد العرب وهم يحملون صوراً سلبية، وعادوا إلى بلادهم يحملون هذه الصُّور السَّلبية، رغم مخالفتها لحقيقة طبيعة الإنسان العربي الذي عايشوه خلال رحلاتهم، فكان الدّليل لهم في أسفارهم والمضيف لهم، والمدافع عنهم من قطاع الطرق واللصوص.

لقد ظلَّ هؤلاء الرَّحالة والتُّجار في غالبيتهم العظمى أمناء لتصوراتهم السَّلبية السَّابقة، لا بل إنَّ بعضهم قد ألَّف الكثير من الأكاذيب والخرافات من نسج خيالهم وتصوراتهم السابقة.

لقد نظر الرَّحالة هؤلاء باستعلاء كبير إلى العرب والأفارقة والهنود، ولم يحاولوا فهم عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم.

ومن أبرز المستشرقين والرَّحالة الذين ساهموا بترويج صور سلبية كاذبة عن شخصية الإنسان العربي وحضارته وقيمه نذكر على سبيل المثال لا الحصر[٣]:

---

١ - خراط، د. محمد يحيى: الاستشراق والمستشرقون، مجلة المعرفة، العدد ٥٠٧، دمشق كانون الأول ٢٠٠٥م، ص٢٧.

٢ - المرجع السابق: ص٢٧.

٣ - ساري، د. حلمي خضر: صورة العرب في الصحافة البريطانية، ص ٣١- ٤٢ باختصار.

«وليام بدويل و جوزيف بتر و وليام لثغو و الكسندر كينغليك و تشارلز دورتي و تي. لورنس ورفائيل بتاي»[1] وسواهم.

وقد ساهمت كتابات هؤلاء الرَّحالة بتشكيل الصُورة النمطية السَّلبية عن العرب والمسلمين وغذَّت المواقف الغَربية العدائية ضدهم، وأعاقت الفهم الحقيقي لرسالة الإسلام السَّامية والحضارة العربية اللتين ملأتا الأرض عِلماً وهداية في القرون الوسطى عندما كان الغرب يغطُّ في سباتٍ طويل من الجهل والتخلف والعَماء.

٢ - الصُّور النَّمطية السَّلبية التي رسَّخها الاستشراق عـن العـرب والمسلمين

رسَّخَ الاستشراق صُوراً نمطية سلبية ثابتة عن الدِّين الإسلامي والعرب والحضارة العربية والإسلامية ما زالت ماثلة في الذِّهن الغربي وتشكل عقبة كأداء في طريق الحِوار والتفاهم:

أ - **الدِّين الإسلامي**: «تم رفض الإسلام كدين، والاعتراف بمحمَّد كنبي ورسول، وَوُصِفَ المسلمون بأنهم كفار، ووقف الغَرب موقف العَداء منهم. وتُرجم هذا الموقف في حروب حققت إنجازات مؤقتة ثم انكفأت. واستمر وصف الدِّين الإسلامي بأنه دين متخلف وعقيم واستبدادي، يشل الفكر والإبداع، ويكرِّس الجمود والتراخي والكسل»[2].

ب - **العرب**: «تجسَّدتِ النظرةُ العرقيةُ والعنصرية للاستشراق في وصف العرب بأنهم: برابرة متوحشون وبدوٌ رُحَل يركبون الجِمال، ومتخلفون خاملون وكسالى، وبدون قيم وأخلاق، وغدَّارون أنذال ليسوا أهلاً للثقة، وجبناء متعصبون، ولديهم نزعة قوية للخضوع والانصياع، وهم فاسدون لا يُرجى لهم صلاح، وضعفاء»[3].

١ - سعيد، إدوارد: الاستشراق، ص٢٨٧ .

٢ - خضور، د. أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي، ص ٢٢ .

٣ - المرجع السابق، ص ٢٢ .

وكتبت المستشرقة الأمريكية تيرل في مجلة «هاربر»: إنَّ العرب أساساً قتلة، وإنَّ العنف والخديعة محمولان في الموروثات. الفكر الغيبي يسيطر على العرب، والمرأة عندهم مجرد أداة للمتعة في مناخ الحريم، والآخر هو عدو[1] .

ومما لا شكَ فيه أنَّ المستشرق القديم والجديد يشتركان في نفس النظرة السَّلبية إلى العرب، وقد استمرت هذه الصُّور السَّلبية النَّمطية بعد انهيار النظام الشيوعي وتصوير الإسلام كخطر قادم، وتعزَّزت هذه الصُّور السَّلبية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م.

ت - الحضارة العربية والإسلامية:

نظرَ أغلب الرَّحالة والكتّاب والمستشرقون الغربيون إلى الحضارة العربية والإسلامية نظرة سلبية متعسفة غير منصفة.

فالعرب - كما يقول رينان - ليس لديهم حضارة، ولم يبدعوا في أي مجال، ولم يساهموا في تطوير الحضارة الإنسانية، وليس عندهم علماء ومفكرون وفلاسفة[2].

وقد تم ترسيخ هذه الصُّورة السَّلبية المنافية للحقيقة عبر مرحلة زمنية طويلة لدوافع دينية ومصالح سياسية واقتصادية.

لقد تم تجاهل الإنجازات العلمية والفلسفية والثقافية، كما تم تجاهل حقيقة معاملة العرب للمسيحيين واليهود في الأندلس. وطمست حقيقة أنهم هم الذين حفظوا الفلسفة اليونانية وطوّروها ونقلوها إلى أوروبا، وأنهم أبدعوا في المدنيّة، وهم الذين بنوا مدينة قرطبة التي كان عدد سكانها ٥٠٠ ألف نسمة في القرن العاشر، حين كان عدد سكان باريس ٣٨ ألفاً. قرطبة التي شهدت أول شارع مُنار بالعالم الغربي.

خامساً - صورة العرب في الإعلام الغربي

عمدَ الإعلام الغربي ، وما زال - بقصد وبدون قصد - وبكافة وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية إلى تشويه صورة العرب والدِّين الإسلامي الحنيف لاعتماده على

---

١ - سعيد، د. إدوارد: الاستشراق ، ص٢٨٧.

٢ - خضور، د. أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي، ص ٢٥ .

ذخيرة من المفاهيم والتصورات والمصالح البراغماتية والقوالب النَّمطية السَّلبية الجاهزة المحدَّدة مسبقاً بجملة من العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية.

١ - صورة العرب في الصحف والمجلات:

تُظهر الصحف والمجلات الغربية على وجه العموم، العرب بصورة مشوَّهة تجانب الحقيقة وتنافي الواقع. و«أكثر الصُّور شيوعاً وانتشاراً عن العرب في هذه المجلات: عدم الوحدة، والبداوة، وعدم الأمانة، وعدم التعديل، والجبن، والإرهاب، وعدم الكفاءة. وعلى الضدّ من ذلك ، جرى تصوير الإسرائيليين في فترة حرب ١٩٦٧ بصفتهم أَكْفَاء وبطوليين ويعتمدون على أنفسهم»[١].

ولعلَّ من أسباب النَّظرة السَّلبية إلى العرب، النظر إلى إسرائيل كامتداد للحضارة والثقافة الغربيتين، ففي كافة الحروب العربية - الإسرائيلية، وكافة فصول العدوان الإسرائيلي المتواصل على الشَّعبين الفلسطيني واللبناني، كانت الصحافة الغربية - ولا تزال - تَتبنَّى وجهة النظر الإسرائيلية وتقف موقف المدافع عنها، إنَّ الصَّحافة الغربيّة التي تدّعي الديمقراطية والمهنية، لا تخجل من تصوير إسرائيل على أنها «واحة الديمقراطية التي جعلت صحراء فلسطين غير المأهولة تزهر!!»[٢].

وعلى العكس من هذه الصُّورة الوردية للشخصية الإسرائيلية، تُظهر الصَّحافة الغربية العرب كـ (متخلفون)، (متعصبون)، (شبقون) ، (كسالى)، و (إرهابيون متعطشون للدِّماء)[٣].

«ويقوم الإعلام الألماني الرَّاهن والسواد الأعظم من الاستشراق الألماني الحديث بتكريس الصُّورة السّلبية عن العرب والمسلمين الموروثة من الاستشراق القديم، ويأخذان موقف العَداء للعرب والإسلام والتأييد لإسرائيل والصهيونية»[٤].

---

١ - ساري، د . حلمي خضر : صورة العرب في الصحافة البريطانية، ص١٠٢ .

٢ - المرجع السابق، ص١٠٤ .

٣ - المرجع السابق، ص ١٠٤ .

٤ المرجع السابق، ص١٠٢ .

وتعكس الصَّحافة الألمانية، كسائر أنواع الإعلام الأوروبي، مقولات الاستشراق القديم والحديث عن العرب والمسلمين، الذي يُصوِّر العرب رعاة وراكبي جِمال وبرابرة وحمقى وخاملين كسالى وشهوانيين، وأثرياء تمثل ثروتهم إهانة للحضارة . وفي مقابل هذه الصورة السَّلبية عن العربي، وكما هو الحال في الدول الغربية الأخرى، تُقدم الصحافة الألمانية صورة إسرائيل الايجابية[1].

٢ - صورة العرب في فنّ الكاريكاتور

يُعتبر فن الكاريكاتور من الفنون التي استخدمتها الصَّحافة الغربية ولا تزال لتشويه صورة العرب بصور هزلية شتىً تروج القوالب الذِّهنية العنصرية المشينة. «فغالباً ما تُعَرضُ شخصية العربي في الكاريكاتور بسماتٍ جثمانية (أي الشارب أو اللحية مع أنف مقوس) وعباءة مهفهفة وكوفية رأس، وتحمل هذه الشَّخصية أحياناً خنجراً، وهي تحمل الآن كلاشنكوف، وتكون حافيةَ القدمين أو تحتذي خُّفاً في الصَّحراء ومن خلفها آبار النفط»[2].

«لقد شملت الدراسة المسْحِيَّةُ التي قام بها جورج دمون للكاريكاتور السياسي الذي يتناول العرب والشرق الأوسط أربع مراحل شديدة التوتر في نزاع الشرق الأوسط: ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧ - ١٩٧٣ .

وأظهرت الدراسة المسْحِيَّةُ أن الرسوم تُثبت الاتجاه العدائي، العنصري ذاته ضد العرب وتشويه سمعتهم. كما هو الحال في الأبواب الصَّحفية الأخرى»[3].

ومن المواضيع الأخرى المهيمنة على الرسوم الكاريكاتورية منذ عام ١٩٦٧ موضوع العرب كإرهابيين ينوون تدمير إسرائيل.

ومن الصُّور الكاريكاتورية الجديدة الحريم، و النفط، و الأوبك... إلخ.

---

١ - ساري، د . حلمي خضر : صورة العرب في الصحافة البريطانية، ص١٠٤ .

٢ - المرجع السابق، ص١٠٩ .

٣ - المرجع السابق: ص١٠٩ .

ويجري تقديم العرب في الرسوم الكاريكاتورية، وهم بملابس بدائية وعليهم سمات الأوغاد الشريرين الكريهين والمنفّرين، بخلاف صورة الإسرائيليين فهي على العكس من هذا تماماً.

يقول الباحث وليد خدوري في دراسته «النفط ووسائل الإعلام الغربية»:

«وسائل الإعلام الغربية تحاول ببراعة أن تَحُطّ من شأن العرب في نظر العالم، وذلك بإظهارهم وزعماءَهم أوغاداً مسؤولين عن الضيق والفوضى والأزمات»[١].

وقد نشرت «نيويورك ديلي نيوز» كاريكاتوراً يُروّج هذه الصورة، هناك في الرسم عربيان يجلسان معاً في الصحراء ليلاً وجِمالهما من خلفهما، يقول أحدهما: «ألا ترى كم يطلبون الآن بسيارة لنكولن مصفحة؟ يا ساتر! فيجيبه الآخر: نعم، وهذا سبب آخر يدعونا لرفع أسعار النفط مرة أخرى»[٢].

يقول الصُّحفي فرانك غايلز نائب محرر «صنداي تايمز»: «الاشمئزاز الحديث في المجتمع البريطاني من العرب قد أمسى ازدرائيّاً، معادياً بل وحتى عنصريّاً وبصراحة أكثر مما مضى، وهذا الاشمئزاز ينبع من انحطاط بريطاني في الشّرق الأوسط وتفجُّر الرخاء والاستقلال في العالم العربي»[٣].

ويدلل على الاتجاه العدائي الكثير من الرسوم الكاريكاتورية التي تسخر من العرب، ففي صحيفة «صنداي تايمز» نرى رسماً يمثل شرذمة من أعراب الشوارع يركضون خلف إنجليزي متغطرس وهو يرتدي خوذة ونظارات ويصيحون (الصُّدقة حبّاً لله) ومجموعة من الإنجليز وعلى سيمائهم ملامح الضيق وهم يرتدون البدلات الغامقة والقبعات العالية، ويتبعون أميراً أو شيخاً عربيّاً بديناً مترفعاً ويصيحون (النفط حبّاً لله !)[٤].

---

١ - خدوري، وليد: النفط ووسائل الإعلام الغربية، ندوة الصحافة الدولية، لندن ١٩٧٩م، ص٧٢ .

٢ صحيفة نيويورك ديلي نيوز، عدد يوم ١٦ نوفمبر ١٩٧٦م / نقلاً عن ندوة الصحافة الدولية لندن ١٩٧٩ م.

٣ - ندوة الصحافة الدولية، لندن ١٩٧٩م، ص٢٠٣ .

٤ - صحيفة صنداي تايمز، ٣٠ نوفمبر ١٩٧٣م .. نقلاً عن المرجع السابق.

ومما يؤسف له حقّاً أنَّ تشويه صورة العرب في الصحافة الغربية قد تجاوزت كل الحدود المهنية والأخلاقية والإنسانية عندما أقدمت صحيفة دانماركية في فبراير ٢٠٠٦م على نشر رسم كاريكاتوري يسخر من شخص رسول المحبة والسلام المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم تبعتها صحف هولندية ونرويجية وفرنسية وإسبانية عدة. ورغم كل مظاهر الرفض والاحتجاج وحتى المقاطعة الاقتصادية في العالم الإسلامي للبضائع الدانماركية أعادت خمس عشرة صحيفة دانماركية أخرى نشر الرسم المشين نفسه في فبراير ٢٠٠٨م في تحدٍّ سافر وصفيق لمشاعر مليار ونصف مليار مسلم.

وهذا يدلُّ علىٰ أن تشويه صورة العرب والمسلمين في الصَّحافة الغربية بدأ يتخذ منحى تصاعديّاً استفزازيّاً شديد الخطورة باستهداف شخص الرَّسول صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله رحمةً مهداة للبشرية جمعاء.

٣ - صورة العرب في السينما والتلفزيون:

تعتبر السينما وكذلك التلفزيون من أكثر وسائل الإعلام تأثيراً في تكوين الرأي العام وتشكيله.

لقد أثَّرَت السينما الغربية منذ بدايتها في أوائل القرن العشرين الماضي، تأثيراً كبيراً في الصُّورة العربية في الغرب، وذلك بنشر صور جديدة وتثبيت أو ترويج الصُّور والقوالب الذِّهنية القائمة أصلاً. والصُّور الرئيسة التي حاولت السينما ترويجها شعبيّاً في العشرينيات عن العرب، هي رقص هز البطن والسَّرقة والقرصنة والصورة الرومانسية[١].

ومن أكثر الأفلام الغَربية تشويهاً لصُورة الإنسان العربي على سبيل المثال لا الحصر:

- **فيلم الشيخ (١٩٢١): يُظهر الإنسان العربي كشهواني يختطف النساء.**
- **فيلم الصَّليبيون (١٩٣٥): يصوِّر العرب وهم يقاتلون المسيحيين في القدس.**
- **فيلم الريشات الأربع (١٩٣٩): يصوِّر العرب كأوغاد وغدارين ومتعطشين للدماء.**

---

١ - ساري، د. حلمي خضر: صورة العرب في الصحافة البريطانية، ص ١٢٠ .

- **فيلم لص بغداد (١٩٤١).**
- **فيلم علي بابا والأربعين حرامي (١٩٤٤) .**
- **فيلم الليالي العربية (١٩٤٢).**
- **فيلم الف ليلة وليلة (١٩٤٥).**
- **فيلم السندباد البحري (١٩٤٧)، (الأفلام الخمسة السابقة تصوِّر الإنسان العربي كإنسان يعيش ضمن إطارٍ من المكائد والمطاردات والحكايات الخيالية).**
- **فيلم سيف في الصحراء (١٩٤٩): يصّور العرب (كمتخلفين) و(إرهابيين).**
- **فيلم الخروج (١٩٦٠) : يُظهر شخصيات يهودية وهي (تقاتل) من أجل القضية اليهودية وضد (الإرهابيين) العرب[1].**

وقد تمَّ عرض معظم هذه الأفلام على شاشة التلفزيون مما أتاح لكثيرين في الغرب فرصة مشاهدتها وتكوين صُور سلبية في أذهانهم عن العرب.

وقد بلغت السينما الغربية أوج كراهيتها للعرب بعرضها الفيلم التسجيلي للنائب الهولندي اليميني المتطرف المسيء للقرآن الكريم والدِّين الإسلامي الحنيف في شهر مارس ٢٠٠٨م.

أما في التلفزيون «فتظهر أسوأ الصُّور عن العرب: منها صورة البدوي الآخذ بالثأر، القاسي، الجبان، المنحط، المهووس، إلى صورة المبتز بواسطة النفط»[2].

ففي معظم المسلسلات التي تعرضت للعرب تظهر الصُّور المعادية، ومن هذه المسلسلات على سبيل المثال: كانون، والمرأة الإلكترونية، وملائكة تشارلي، ورجل الستة ملايين دولار، ويوم واحد في كل مرة، والفتاة الأمريكية، والقرصان ، والمحترفون .. إلخ

---

١ - ساري، د . حلمي خضر : صورة العرب في الصحافة البريطانية، ص١٢٠ - ١٣٠ باختصار.

٢ - المصدر السابق، ص ١٢٠ .

ويسود تشويه الصُّورة العربية في البرامج المُعَدّة للأطفال مثل (طرزان) و (الطبّال الصغير)، ففي (طرزان) يُصوَّر العرب كقَتَلة وتجار رقيق للرجال والنساء. ونجد في (الطبّال الصغير) النَّمط نفسه من نشر القوالب الذِّهنية السَّلبيَّة عند العرب[1].

وفي الكثير من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية والأعمال الدرامية والكوميدية والوثائقية يرتبط العرب إما بالفسق أو بالغدر أو بالخديعة المتعطشة للدم . كما يظهر مُتحللاً ذا طاقات جنسية مفرطة، وخؤوناً وغدّاراً وساديّاً، وتاجر رقيق، وراكب جِمال، ووغد إلخ"[2].

وقد حدثَ تحسن نسبي على صورة العرب في الصحافة الغَربية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولكن هذه الصُّورة ما لبثت أن عادت أكثر حدّة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

سادساً - صورة العَرب في المناهج التعليمية الأمريكية

أثَّرَ الاستشراق على المناهج المدرسية الغربية في النظرة السّلبية إلى العرب. ونستشهدُ هنا بدراسة الدكتور «إياد القزّاز»، أستاذ علم الاجتماع في جامعة ولاية كاليفورنيا في سكرمنتو، الذي قام بتحليل محتويات ستة وثلاثين كتاباً مدرسيّاً للعلوم الاجتماعية مقررة للتدريس في المدارس الابتدائية والمتوسطة في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة، وفي غيرها من الولايات خلال السنة الدراسية ١٩٧٤ - ١٩٧٥، حيث وَجَدَ في تمحيصه لصورة الإسلام كما رُسمت في هذه الكتب أنها صورة مُشَوَّهة للعقيدة الإسلامية تُفرط في تأكيدها على طبيعة الإسلام العنيفة والمولعة بالقتال.

والصُّور المهيمنة الأخرى التي تسود في هذه الكتب هي صورة الرِّق ومركز المرأة، والخلط بين القرآن الكريم والحديث النّبوي، وتصوير العرب كشعب بدوي مولع بالغزو والنهب والسَّلب[3].

---

١ ساري، د . حلمي خضر : صورة العرب في الصحافة البريطانية: ص١٢٤ - ١٢٥ .

٢ سعيد، د . إدوارد: الاستشراق، ص٢٨٧ .

٣ - ساري، د . حلمي خضر: صورة العرب في الصحافة البريطانية، ص ٨٧-٨٩ .

ومن الدراسات الجادة في هذا المجال دراسة شارون أبولبن، وغلين بري، وإل . إم . كني[1].

ويُقَدَّم العرب والإسلام في المناهج الأمريكية - موضوع تلك الدراسات - على النحو التالي:

١ - يُقَدَّمُ الإسلام أحياناً، وبدرجات غير متفاوتة، على أنه ديانة غير متسامحة.

٢ - يُقَدَّمُ العربي، غالباً، على أنَّه خصم بدوي ومعتدٍ يتطفل على أراضي الآخرين «إسرائيل»[2].

٣ - يُقَدَّمُ الفلسطيني المقاوم للاحتلال الصهيوني كإرهابي !.

٤ - التأكيد على انتشار الإسلام بالسيف ..إلخ.

وتوصلت عشرات الأبحاث العلمية والدراسات الميدانية التي حلّلت مضامين الكتب الأمريكية والغربية إلى نفس النتائج السّابقة وبدرجات مختلفة متفاوتة.

سابعاً - صُورة العَرب في الآدَاب الغَربية

هَيمَنَ الفكر الاستشراقي على الآداب الغربية القديمة والحديثة، سواء أكان ذلك في الشِّعر أو المسرح أو الرواية أو القصة، وساهم بدوره في تكريس مفاهيم الاستشراق وصوره السَّلبية عن العرب والمسلمين في فكر الإنسان الغربي.

«لقد نظر لامارتين على سبيل المثال، إلى فلسطين تماماً كما نظر إليها الصَّهاينة الأوائل، صحراء خالية تنتظر الازدهار ، القليل من السكان الذين كانوا فيها هم بدو رحل لا وزن لهم.

أما دانتي فقد وضع النَّبي محمَّد صلى الله عليه وسلم في المرتبة قبل الأخيرة من الأشرار، ووضع أيضاً ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين الأيوبي في نفس الموضع»[3].

أما معظم النتاجات الأدبية الغربية المعاصرة فهي حافلة بالكثير من الصور السَّلبية والنماذج النمطية المتحيِّزة ضد العرب والمسلمين، خلا بعض الكتابات المنصِفة التي سنقدِّمُ بعضها فيما يلي.

---

١ - ساري، د . حلمي خضر : صورة العرب في الصحافة البريطانية، ص٩٤ .

٢ - المرجع السابق: ص٩٣ .

٣ - خضور، د. أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي: ص٣١ .

ثامناً - دَور الكِتابات الغربية المنصِفة في تصحيح الصُورة النَّمطية عن العرب

لا يمكن لبحث يدّعي الموضوعية والتوازن أن يتجاهل الكثير من الكِتابات الغَربية التي أنصفت العرب، سواء أكانوا رحالة أو كتّاباً أو أُدباء

ويمكن لهذه الكِتابات المنصفة أن تلعب دوراً هاماً في تصحيح الصُورة النّمطية السّلبية عن العرب في الذِّهن الغربي وتساهم بفاعلية في دعم مسيرة الحِوار العربي – الغربي في مختلف المجالات الثقافية والدينية والسياسية والإعلامية.

لقد وُجِدَ في كل القرون ومن كل الثقافات شخصيات حرَّة لا تساوم على الحقيقة، ولا تتخلى عن الموضوعية، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ - **جورج سيل:** يعتبر جورج سيل (١٦٩٧ - ١٧٣٦) أول مستعرب إنجليزي متحرِّر نسبيّاً من الغرض الدِّيني، كان يوصف بأنه نصف مسلم، اشتهر بترجمته للقرآن الكريم التي نشرت عام ١٧٣٤ . واتخذ سيل مواقف منصفة في كتاباته من العرب ودينهم وحضارتهم[١].

٢ - **رتشارد برتون:** من أكثر الرَّحالة الأجانب – الذين زاروا الوطن العربي في منتصف القرن التاسع عشر – نشاطاً وكتابة، تميَّزت كتاباته بدقتها المنهجية وصدقها وواقعيتها ودفاعها عن شخصية الإنسان العربي[٢].

٣ - **ولفريد. إس. بلنت:** دافع الرَّحالة ولفريد إس. بلنت (١٨٤٠ - ١٩٢٢) عن العرب والإسلام، إذ كان خلافاً لأغلب المستشرقين والرَّحالة متحرِّراً من الأهواء الدِّينيّة. كان الإسلام برأيه قوة إيجابية أسهمت بمعرفة قيِّمة للإنسانية[٣].

٤ - **الكاتب المسرحي "جورج برناردشو":** أعجب برناردشو بالحضارة العربية الإسلامية وبالنَّبي الكريم محمَّد صلى الله عليه وسلم، وممّا قاله في هذا

---

١ ساري، د. حلمي خضر: صورة الغرب في الصحافة البريطانية، ص٣٧ .

٢ - المرجع السابق، ص ٤٩.

٣ - المرجع السابق، ص٥٠.

الصدد : «قرأتُ حياة رسول الإسلام جيداً مرات ومرات، ولم أجد فيها إلَّا الخُلق كما يجب أن يكون، وأصبحت أضع محمَّداً في مصاف، بل على قمم المصاف من الرجال الذين يجب أن يُتَّبعوا، ولمَّا قرأت دين محمَّد صلى الله عليه وسلم أحسست أنَّه دين عظيم. لقد مضت على الغرب القرون وهو يقرأ كتباً وجرائد مليئة بالأكاذيب عن الإسلام والعرب. أمَّا اليوم ففطن رجال الغرب إلى أن الإسلام الحقيقي ليس الذي عرفوه من كتب قرؤوها من قبل»[1].

٥ - **المستشرق الألماني الدكتور «وايل»:** الدكتور وايل هو أستاذ اللغات الشرقية ومدرِّس العربية والسريانية في جامعة باريس. قال في كتابه «تاريخ الخلفاء»: «إنَّ أقوال المغرضين وآراء المتعصبين كانت وما زالت تتوجه إلى العرب والمسلمين، وأن الغرب الصَّليبي الاستعماري حرص منذ قرون على مواجهة الإسلام وتشويه صورته وتجريح نبيِّه محمَّد صلى الله عليه وسلم»[2].

٦ - **الكاتب البريطاني «دوانبورت»:** قال الكاتب البريطاني الكبير جان دوانبورت: أعتذر عن التصورات والأوهام التي كانت شائعة في الغرب عن العرب والمسلمين[3].

٧ - **الصحفي الأمريكي «نيكولاس هوفمان»:** كتبَ الصحفي الأمريكي (Nicholas Van Hoffman):من صحيفة واشنطن بوست. لم تُشوِّه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية أو يحط من قدرها بشكل مركَّز ومنتظم، كما حدثَ للعرب.

وفي السياق ذاته كتبت رئيسة تحرير صحيفة (the naw Republic): العرب ضحايا نمطية جذرية مسبقة. وعندما يكون الرأي منحازاً سلفاً ولا رجوع عنه، فإنَّه يصبح أكثر انتماءً وقرباً إلى – التوضيب – منه إلى التفكير[4].

---

١ عثمان، محمَّد عثمان: محمَّد ﷺ في الكتابات المنصفة، ص٣٣ .

٢ - المرجع السابق: ص ٥٩.

٣ - المرجع السابق، ص١١٧ .

٤ - مجموعة المؤلفين «إيناسيو رامونيه»: نظام التضليل العالمي، ص٨٣ .

٨ - **الكاتبة الأمريكية «نيغرين فيلد»: بيّنت الكاتبة الأمريكية (NegGreen Field):** المسؤولة عن صفحة الرأي في صحيفة الواشنطن بوست، آلية تكون الصورة المعادية للعرب بقولها : «نحن نسيء فهم العرب، الأمر الذي يؤدي إلى التقديم الكاريكاتيري لهم، وتشويههم والسّخرية منهم، ثمة عملية لنزع الصّفة الإنسانية عن العرب»[١] .

٩ - **الصحفي الإنجليزي «أرسكن تشيلدرز»[٢]:** الصّحفي والكاتب الإنجليزي أرسكن تشيلدرز من الصّحفيين والكتّاب الأوفياء للعرب الذين دافعوا عن قضاياهم في مؤلفات عدة، منها على سبيل المثال :«الطريق إلى السويس» و«بعض المنطق عن العرب».

قال في محاضرة ألقاها في هولندا في مطلع عام ١٩٦٧ بدعوة من جمعية الصّداقة الهولندية العربية بمناسبة عشر سنوات على تأسيسها: «لقد كانت صورة العرب والمغاربة والمسلمين في الغَرب تتسم بالقوة والحق في وقت سبق كثيراً ظهور الإمبراطوريات الغربية التي نشأت آسيا وأفريقية».

ويضيف تشيلدرز: «كثيراً ما راودتني فكرة وضع فيلم عن العرب، وأنا أقف في ميدان ترفلغر في لندن، لو قدر لي هذا، فإنني سأهز أوصال كل المتفرجين، بريطانيين وغربيين على السّواء، سأخبر الحاضرين بأن ميدان ترفلغر عربي الأصل «الطرف الأغر»، وأن الشيكات التي تتعامل بها البنوك الكبيرة الموجودة في ذلك الميدان استمدت تسميتها من كلمة عربية، وأن الأرقام التي تحملها من اكتشافات العرب، وأن المجاري تحت ذلك الميدان اقتبست من مجاري بغداد وقرطبة عندما كانت لندن وأية مدينة أخرى مجرد أكداس من الطين والأوساخ، وأن لقب «أدميرال» الذي عرف به نلسون كلمة عربية الأصل. وسأُدهش الحاضرين أكثر عندما أبلغهم أن الماء الصاعد من نوافير الميدان ماء صاف بفضل انتصارات العلماء العرب القُدامى في ميدان الكيمياء».

---

١ - مجموعة المؤلفين «إيناسيو رامونيه»: نظام التضليل العالمي، ص ٨ .

٢ - هاشم، عقيل: تخطيط الإعلام العربي، ص١٠٣ - ١٠٥ .

ويخلص شيلدرز إلى نتيجة هامة مفادها: «المؤسف أن صورة العرب الحالية في أذهاننا سلبية وغبية فنحن لم نصل إلى ما وصلنا إليه إلاّ بفضل العرب لأنَّ اتصالنا بهم كان أطول وأوثق من اتصالنا بالشعوب الأخرى».

١٠ - **الشّاعر الألماني «غوته»:** أراد الشّاعر الألماني الكبير يوهان وولفغانغ فون غوته ربط الروح الشرقية بالروح الغربية ولذا ألَّف كتابه «الهام ديوان الشرق والغرب» الذي أخذ شهرة عالمية وما زال رغم مرور (١٨٥) عاماً على وفاته.

١١ - **الفيلسوف الألماني «هردر»:** اتخذ الفيلسوف الألماني هردر موقفاً منصفاً من الحضارة العربية، حيث يرى أنَّ العرب كانوا مصدر نور وإشعاع في العصر الوسيط، وهم في الوقت نفسه باعثوا الحضارة الأوروبية.

١٢ - **المستشرقة الألمانية «أنّا ماري شيمل»:** عَملت المستشرقة الألمانية أنّا ماري شيمل (١٩٢٢ - ٢٠٠٣م) على تحويل حِوار الحضارات إلى شعار عالمي تبنته الدول والمؤسسات الدولية، حيث عملت وأنتجت وتحولت إلى سفيرة ثقافية في الحِوار بين حضارة الشّرق وحضارة الغرب[1].

ومن الكتّاب الغربيين الآخرين الذين أنصفوا العرب والمسلمين: مراد هوفمان، وتوماس كاريل، وتولستوي، واللورد هيدلي، وإميل درمنجم، والسِّير وليم موير، والفيزيائي ألبرت أينشتاين، والكسندر دوما، وجان جاك روسو، وسواهم.

تاسعاً - تغيير الصّورة النّمطية السَّلبية عن العرب وتصحيحها أولى مَهام الحِوار

الحديث عن كيفية مُحَاوَرة الغَرب إعلاميّاً وثقافيّاً وشروط هذا الحِوار وأهدافه وآلياته لا ينفصل عن دراسة صورة العَرب في الغَرب، وكيفية تغييرها وإعادة تشكيلها وتَصحيح قوالبها السّلبية الرَّاسخة لدى الإنسان الغربي.

---

١ العبادي، صالح : أنّا ماري شيمل : السفير الثقافي بين الشرق والغرب، مجلة الفيصل، العدد ٣٢٢، يونيو ٢٠٠٣م، ص ١١٨ .

شيمل، أنّا ماري: من كلمتها في حفل استلام جائزة الصلح للناشرين الألمان، مجلة كيهان، العدد ٢٨، طهران نوفمبر ١٩٩٥م .

فقد يتطلب النجاح في إزالة الصُورة النَّمطية التي رسخت عبر عقود طويلة في الفكر الشَّعبي الغَربي عن المسلمين والعرب المقدار نفسه من هذه العقود وهي مسؤولية مشتركة تقع على عاتق المسلمين والعرب بمقدار ما تقع على عاتق الغربيين أيضاً.

إنَّ عدم مواجهة المفاهيم الخاطئة والصُور النَّمطية السَّلبية عن المسلمين والعرب يرسّخها أكثر في ذهن الإنسان الغربي ويُعزِّز من نتائجها الكارثية المدمِّرة. وهذا يلقي بمسؤولية كبيرة على المسلمين والعرب أنفسهم حكومات ومؤسسات وأصحاب أقلام وفكر ليجدوا السُبل المُثلى لمحاورة الإنسان الغربي بالحكمة والموعظة الحسنة والمصالح المتبادلة.

عاشراً - وَاجبات الدُول الغَربية في تغيير الصُورة السَّلبية عن العَرب

تَستلزم عملية تغيير الصُورة الذِّهنية النَّمطية السَّلبية عن العرب ثلاثة متطلبات أساسية تشكل مجتمعة قاعدة ومنطلقاً لعملية تغيير شاملة تطال المجتمع الغَربي وحكوماته ومؤسساته[1]:

- **المطلب الأول:** أن توضح الدّول الغربية ما تسميه موقفها الجديد إزاء العرب والمسلمين وتبلوره في استراتيجيات وسياسات واضحة ومحدَّدة، تنطلق منها وسائل الإعلام أو تأخذها بعين الاعتبار في تغطيتها للقضايا العربية والإسلامية.

- **المطلب الثاني:** إقدام الغَرب على اتخاذ وقفة نقدية حاسمة إزاء الإرث الضخم من معظم الفكر الاستشراقي الذي يُشكِّل الأساس الذي قامت عليه الصُورة النَّمطية السَّلبية للعربي والمسلم في ذهن الإنسان الغربي.

- **المطلب الثالث:** تفعيل وتطوير التوجهات الغربية الإيجابية إزاء القضية الفلسطينية وسائر القضايا العربية الأخرى، وتبنِّي النظرة الموضوعية والواقعية للعرب والمسلمين.

وهكذا يكون تَصحيح الصُورة النَّمطية السَّلبية عن العرب والمسلمين في الذِّهن الغربي، هو البداية الطَّبيعية لتأسيس ثقة متبادلة تشكل مدخلاً موضوعيّاً لانطلاقِ حِوارٍ عربي - غربي فاعل ومؤثر وعميق ومتواصل.

****

---

1 خضور، د. اديب: صورة العرب في الإعلام الغربي، ص٧٧- ٧٨ .

الفصل الثاني

أزمة الثقافة العربية والحوار مع الغرب

أولاً - في مفهوم الثقافة

جاء اختيار الكلمة العربية (الثقافة) من كلمة تثقيف الرماح، القريبة من معنى الحذق، حيث إنها تستخدم في حذق الإنسان أو الفرد للمعارف والفنون، أي إجادة شتى أنواع المعرفة من الفنون أو العلوم أو الأدب وغيره[1]. أما الثقافة بالمعنى التقليدي فتعني النتاج الفكري والأدبي والفني.

ويتصل مفهوم الثقافة على نحوٍ وثيق بمفهوم الحضارة التي تمثل القيم الثقافية المحققة في هذه الحضارة، ولذلك استخدم العلماء لفظتي الثقافة والحضارة بمعنى أو مفهوم واحد منذ نهاية القرن الثامن عشر.

«وقد وقع بعض الدارسين في أخطاء التفرقة بين الجانبين المادي والمعنوي للحضارة، وكان قد لجأ إليها العلماء لأسباب نظرية وعلمية، فرأى بعضهم، خطأً أنَّ الثقافة هي الجانب المعنوي في الحضارة، كاللغة وما إليهما، بينما يمثل مفهوم الحضارة الجانب المادي الملموس منها كمظاهر العمران والصناعات والأدوات.

ومنهم من لجأ إلى تقسيم الثقافة، وهذا أكثر صحة، إلى جانبين: ثقافة مادية، وثقافة غير مادية»[2].

ويُعتبر تعريف الأنثروبولوجي الشهير (إدوارد تايلور) من أكثر التعاريف الشاملة التي تربط بين مفهومي الثقافة والحضارة، وبالتالي من أكثر التعاريف تمثيلاً لمضامين الحوار الثقافي الإعلامي.

---

١ - الحازمي، د. منصور: ندوة الثقافة ماهي، جريدة الجزيرة (السعودية)، العدد ٣٧٠٠، المحرم ١٤٠٣ هـ .

٢ - الملقي، هيام: ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري، ص ١٨ .

يقول تايلور : «إنَّ الثقافة أو الحضارة - بمفهومها الواسع - هي ذلك الكل المركّب، الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنّ والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان، بوصفه عضواً في مجتمع»[١].

وينطوي تعريف هيجل لمفهوم الثقافة على أهداف إنسانية يتسامى إليها البشر لاستيعاب روح العصر.

يرى هيجل «أن مفهوم الثقافة يحمل معنى واسعاً يمتد ليشمل كل ما ينتجه الإنسان، ابتداءً من التقنية حتى الشِّعر، بما في ذلك السياسة والدين والفلسفة»[٢].

ومما لا شك فيه أن مفهوم الثقافة الذي نقصده في بحثنا وثيق الصلة بمفهوم الحضارة من حيث هي نتاج لمجمل الثقافات الإنسانية.

ثانياً - الثقافة العربية الإسلامية

تعد الثقافة العربية مقوِّماً أساسيّاً من مقومات شخصية الأمة وهويتها وحضارتها، وتتميز بالانفتاح على الثقافات الأخرى والتمازج معها، حيث اغتنت وأغنت بتفاعلها مع سائر الثقافات العالمية الأخرى، وساهمت مساهمة فاعلة في تقدم الحضارة الإنسانية المعاصرة.

ولا يمكننا عزل الثقافة العربية بحالٍ من الأحوال عن الثقافة الإسلامية التي يُعرِّفها بعض العلماء بأنها «كل معرفة إسلامية تتصل بمصادر الإسلام وهي القرآن الكريم والسُّنة أو تتصل بقضايا المجتمع المسلم واهتماماته المتعددة، أو تتصل بأرضه أو تاريخه أو لغته وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، فهي تحمل طابع التراث العريق الذي ظلَّ قائماً على مسيرة المعرفة الإنسانية طيلة عدة قرون»[٣].

وتمثل الثقافة الإسلامية شخصية وهوية وحضارة الأمة العربية.

---

١ - إسماعيل، د. زكي محمد: الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي، شركة مكتبات عكاظ، الرياض، ص١٢٥ .

٢ - شتا، د. السيد علي: نظرية الاغتراب، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٤٨ .

٣ - المصدر السابق، ص ٤٨.

ثالثاً - أزمة الثقافة العربية

تعاني الثقافة العربية من أزمة ذاتية وتحديات خارجية تؤثر على ثقافة الحِوار وقضاياه، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ - الأزمة الذاتية للثقافة العربية: تعاني الثقافة العربية أزمة ذاتية قديمة وحديثة لها جوانبها المتعددة، ويرى المفكر الرَّاحل الدكتور عبدالله عبدالدايم أن أبرز هذه الجوانب هي[1]:

- **الثقافة العربية الإسلامية لم تنجح - منذ أكثر من قرن حتى اليوم - في صنع حداثتها لأسباب كثيرة أهمها عدم الإدراك الواضح للفرق بين التحديث والتغريب.**
- **الثقافة العربية من أعرق الثقافات في العالم، وهذه العراقة تمنحها القوة والقدرة على البقاء، ولكنها كثيراً ما تكون - حين لا يُفهم دورها فهماً حقيقيّاً - عبئاً ثقيلاً معرقلاً للتجديد والتجويد والتحديث.**
- **ازدهار الثقافة العربية الإسلامية ينتسب إلى ماضيها البعيد منذ ظهور الإسلام بوجه خاص، وأوج تفتحها وعطائها الحضاري انقضت عليه خمسة قرون على أقل تقدير، وهذه الحقيقة تخلق نوعاً من الانتماء الماضوي والنزعة الماضوية يصبح التجديد في إطارها أصعب منالاً.**
- **المشاركة الجماهيرية في بناء الثقافة العربية الحديثة المرجوة لا تزال محدودة جدّاً.**
- **محاولات تحديث الثقافة العربية الإسلامية لم تتم في معظم الأحيان من داخلها، بل تمت غالباً بحكم الاصطدام بالثقافة الغربية ومحاولة تقليدها حيناً ونبذه أحياناً أخرى.**
- **الكثيرون من المثقفين العرب حين يخططون لنهضة الثقافة العربية لا يخططون لها تخطيطهم لبديل يجب تشييده انطلاقاً من الحاضر في ضوء مكوناته وحاجاته، وإنما يخططون لها من نماذج جاهزة آخذة في الابتعاد عنهم باستمرار، وهي:**

---

١ عبد الدائم، د. عبد الله: العرب والعالم وحوار الحضارات، دار طلاس، ط١، دمشق ٢٠٠٢م، ص١١٥-١١٦ .

- النموذج الإسلامي في شكله الموغل في القدم.

- النموذج الغربي الذي يزداد مع الزمن بُعداً في المستقبل بصورة تجعل احتمالات اللحاق به تنعدم أمام اطّراد التطور اللامتكافئ.

٢ - **التحديات الخارجية المعاصرة:** فضلاً عن الأزمة الدّاخلية التي تعانيها الثقافة العربية، يفتُّ في عضد هذه الثقافة ويضاعف من أزمتها ما تواجهه من تحديات خارجية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- **تحديات العولمة التي كرّسنا لها الفصل القادم.**
- **معارضة الغرب قديماً وحديثاً لمظهر حقيقي من مظاهر تقدّم العرب وتطورهم.**
- **النظام العالمي الجديد - بعد الحرب الباردة - أخذ يوجس خيفة من الثقافة العربية الإسلامية وأخذ يتحداها تحدّياً سافراً ومباشراً، تحت ذرائع مختلفة، الأمر الذي كثيراً ما يولّد لدى أبناء هذه الثقافة ردود فعل مغالية تجنح إلى التقوقع والانكماش وإلى احتماء الذات العربية بجلدتها وإهابها التقليدي المألوف[1].**
- **نجاح الغزو الثقافي الغربي إلى حدٍّ بعيد في اختراق النسيج الاجتماعي والثقافي والاقتصادي العربي، ونجاحه أيضاً، إلى حدٍّ بعيد في اختراق النخب الثقافية العربية، الأمر الذي يرسخ مفهوم التفوق الثقافي الغربي على الثقافة العربية ويكرِّس التبعية والاستتباع الثقافي العربي لثقافة الغرب، وهذا يقلل فرص الإبداع، ويشوّه التراث، وينشر ثقافة الاستهلاك والتقليد.**
- **عدم إدراك العرب للارتباط المتبادل بين الثقافة والعلم الحديث، وعدم اندماج العلم في حياة المجتمع المادية و الفكرية والروحية[2].**
- **التغير السريع والمذهل في المعرفة في عصرنا، فالمعلومات كما تشير الإحصاءات - وكما بيّن تقرير نشرته جامعة (Mit) الأمريكية، تتضاعف الآن خلال فترة تتراوح بين ١٨ شهراً و٢٤ شهراً، غير أن هذه الفترة - كما تبيّن الإحصاءات**

---

١ - عبد الدائم، د. عبد الله: العرب والعالم وحوار الحضارات، ص١٢١ .

٢ - المصدر السابق، ص١٢٢ .

أيضاً - سوف تتضاءل في نهاية العقد الأول من القرن الحالي فتبلغ أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. وهكذا فالأميُّون سوف لن يكونوا أولئك الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، بل هم أولئك الذين لا يعرفون التعلُّم ثم نسيان ما تعلموه ثم التعلُّم من جديد.

رابعاً - أزمة الثقافة العربية والحوار مع الغرب

إنَّ الحِوار مع الغَرب ثقافيّاً يطرح مجموعة من الأسئلة، من أهمها:

كيف يُحاور الغَرب ثقافيّاً في ظل أزمة ثقافية عربية حادة، متعدِّدة الجوانب، في التعليم، والخطاب الاجتماعي والسياسي، ومحددات الإبداع والإنتاج البشري؟

وقد أدركت النُّخب الثقافية العربية عمق المأزق الكبير فتنادت منذ وقت مبكر من القرن الماضي إلى طرح تصوراتها لرسم مشروع ثقافي عربي يواجه المخاطر الكبيرة الناجمة عن أزمة الثقافة العربية، ومن ذلك مشروع المفكر الكبير طه حسين الذي حدده بشروط أربعة هي:

١ - أن تكون إنسانية لتكون طرفاً فاعلاً في ثقافة البشرية، دون تعصب أو تحيّز عرقي، مما يعني أن تكون ثقافة مؤمنة بالحِوار والتسامح والتفاعل مع ثقافة الآخر.

٢ - أن تكون عقلانية، أي تحتكم إلى العقل في الفهم والتقدير لأمور الدنيا معاشاً وسياسة، ومن ثم لا تخضع لجمود متعصب أو تسلط جامد، وهي في ذلك تتخذ من العلم والتفكير العلمي مناطاً للتطور الدنيوي في جوانبه المختلفة.

٣ - أن تعتمد الحرية أساساً لاختيار الفكرة الخلاّقة والفعل السياسي والاجتماعي النابذ للاستبداد دون وصاية من بشر على بشر، ودون خوف من الاختلاف أو حتى الخطأ حين الاجتهاد.

٤ - أن تتمسك بالعدالة شرطاً لنشر الثقافة، العدالة الاجتماعية التي لا تحرم عقلاً من الثقافة لرقّة الحال أو ضيق اليد[1].

---

١ - مجلة العربي (الكويتية)، العدد ٥٣٨، سبتمبر ٢٠٠٣م، ص١١ .

ورغم مرور أكثر من ستة عقود على مشروع الدكتور طه حسين لإنقاذ الثقافة العربية ما زالت الأزمة تتفاقم بشكل مستمر ؟!

ولذلك عقدت الكثير من المؤتمرات لمواجهة هذه الأزمة، ومنها مؤتمر «مستقبل الثقافة العربية» الذي عقد بالعاصمة المصرية في الفترة من ١١ - ١٤ مايو ١٩٩٧ برعاية وزارة الثقافة المصرية والمجلس الأعلى للثقافة بمصر، ومؤتمر الثقافة العربية: «نحو خطاب ثقافي جديد، من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل»، والذي عقد بالقاهرة في الفترة من ١ - ٣ يوليو ٢٠٠٣م ... إلخ.

وقد أكدت هذه المؤتمرات وسواها على أن الظروف التي تمر بها المنطقة العربية تفرض على المثقفين العرب وأصحاب الفكر والرؤى في الأمة أن يطرحوا من الحِوارات الجادة وأن يستخرجوا من الرؤى الموضوعية ما يعين على اكتشاف آفاق المستقبل ومُحاورة الآخر.

إنَّ الثقافة العربية مدعوة إلى التغيير الذي يعمّق التفهم والتفاهم بيننا وبين الآخرين ويقيم جسور الحِوار والتعاون بين أمتنا والأمم الأخرى، ويحقق التطور والتقدم والتنمية لمجتمعاتنا العربية والإنسانية جمعاء.

إنَّ أُسَّ الأسس في محاورتنا للغرب ثقافياً أن نستثمر التوجّه الإنساني للثقافة العربية كعنصر محاورة وتكامل في خارطة الثقافة العالمية، لا أن نتجه نحو الانغلاق على الذات خوفاً على هويتنا العربية، لأن الخوف الأكبر على هويتنا العربية ووجودنا الحضاري يكون في تقّلص ثقافة الحِوار والتفاعل مع العالم ثقافياً وإعلامياً وحضارياً.

إنَّ الثقافة العربية مدعوة اليوم لتجديد ذاتها وتحديث مضمونها وتطوير خطابها لتقوم بدورها المحوري في الحِوار الهادف والصادق مع الآخر.

فالثقافة تبني الحِوار وتَنبَني على تفاعل معطياته وتكامل عناصره.

خامساً - مُراجَعات وخطوات لا بدَّ منها للتوازن الثقافي مع الغَرب

لكي نتمكن من الحِوار الهادف والنِّدي مع الغَرب لا بدَّ من تحقيق التوازن الثقافي معه، ولا يتأتى ذلك إلّا عبر مراجعة شاملة لمنظومة الثقافة العربية تعقبها خطوات عملية منها:

١ – دراسة فكر الأمة منذ تأسيسها على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصادره وتطوره، ورصد مَواطن القوة والضعف في هذا الفكر، لتحديد بداية الأزمة الفكرية وتطورها، وتحديد وسائل ومناهج معالجتها.

٢ – إعادة بناء النَّسق الثقافي المعاصر لهذه الأمة بالقراءة الفاحصة المتأنية الدقيقة لمصادر ثقافتها (الكتاب والسُّنة، وتاريخ الصَّدر الأول) ثم قراءة التراث الإسلامي وتحليل قضاياه ورصد مناهجه ووسائله.

٣ – قراءة التراث الإنساني المعاصر: مصادر مكوناته، مقوماته، فلسفته، أهدافه، آثاره، نتائجه، ماله، وما عليه.

٤ – التوصُّل إلى منهجية إسلامية سليمة، قادرة على التعامل السليم مع كل هذا، وإعادة تشكيل العقل السليم[1].

٥ – الثقافة العربية الحقة لا تتم عن طريق القطيعة مع التراث، بل تتم من خلال استيعابه والانتظام فيه من أجل تجاوزه ومن أجل القفز منه إلى تدشين العمل من أجل بناء تراث جديد سيكون هو الحداثة نفسها[2].

٦ – بذل جهود كبيرة في مجال الثقافة بوجه عام وفي مجال التربية بوجه خاص بغية إعداد المواطن العربي إعداداً ثقافياً وتربوياً ليتكيف تكيّفاً إبداعياً مع مختلف متغيرات العلم والمعرفة المتسارعة والمتلاحقة.

٧ – تنمية روح النَّقد والبحث العلمي والقدرة على التفكير الفعّال.

٨ – التركيز على الجوانب العلمية والتقنية.

سادساً - النهضة الثقافية والحِوار

توفر الثقافة الحيّة شروطاً معرفية متجددة، تفتح آفاقاً واسعة للحِوار مع الآخر، وتعمل على تنوير العقول والقلوب.

---

١ - الملقي، هيام: ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري، ص٣٣٤ - ٣٣٥ .

٢ - الجابري، محمد عابد: المسألة الثقافية، سلسلة الثقافة القومية، ٢٥، قضايا الفكر العربي، ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٤م، ص٢٩٣ .

وتشكل النهضة الثقافية ركيزة أساسية ودعامة هامة من دعائم الحِوار، لأنها تعني إيجاد الحلول للتحديات المعاصرة على قاعدة الجانب الايجابي من التراث العقلاني. «فالنهضة الثقافية تتطلب فهماً علمياً دقيقاً للثقافة في علاقتها بالبنية الاجتماعية السائدة. فضرورة التغيير الثقافي الجذري تعني أن آفاق التقدم قد سُدَّت أمام الثقافة السائدة»[1].

إنَّ على الثقافة العربية – كما يرى المفكر الرَّاحل عبد الله عبد الدائم – أن تتحرر من صراع الاجتهادات والمذاهب وتتخلص من عقدة الغرب وتفصل بين التغريب والتحديث[2].

وبذلك تنبثق ثقافة عربية نهضوية تجمع بين الأصالة والحداثة، وتشكل إطاراً منتجاً وفعَّالاً للتفاعل الخلاَّق مع ثقافة العالم الغربي وسائر الثقافات السائدة في العالم.

وتعد النهضة الثقافية العربية بيئة خصبة لنجاح الحِوار مع الذات، ومن ثم الحِوار مع الآخر، فضلاً عن كونها قاعدة صلبة يستحيل اختراقها أو تجاوزها.

وهكذا فالعلاقة وثيقة بين النهضة الثقافية العربية وبين الحِوار الثقافي والإعلامي مع الغرب. ولعلَّ أحد أهم إشكالات الحِوار القائمة حالياً بيننا وبين الغرب تتعلق بغياب التوازن الثقافي والمعرفي.

فالفجوة الثقافية تترك أثرها على الحِوار وَتُصَدِّعه، فتتسع الهوّة بين الأفكار والمفاهيم والقيم والمواقف والرؤى، وتتباعد المشتركات وتنأى القواسم ويضمحل الناجم العملي للحِوار بين الطرفين.

****

---

1 ضاهر، د. مسعود: مجابهة الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني للمشرق العربي، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، المغرب 1989م، ص54 .

2 - عبد الدائم، د. عبد الله: العرب والعالم وحوار الثقافات، ص126 .

الفصل الثالث

الحوار مع الغرب وتحديات العولمة

أولاً: في تعريف العولمة

ظهر مصطلح العَولمة أولاً باللغة الإنجليزية ثم تُرجم إلى اللغات الأخرى، ومنها اللغة العربية، وإلى جانب العولمة جرى تداول كلمات أخرى في اللغة العربية ترجمة للفظ الإنجليزي الأصلي، منها : «الكَوكبة و الكونية و الكوننة»، وقد غلب عليها جميعاً لفظ «العولمة»[1].

ويختلف الباحثون حول تعريف نظرية العَولمة، ولعلَّ اختلافهم يعود إلى أن نظرية العَولمة، برغم أهميتها، فهي لا تزال في مرحلة البدء والتطور.

يقول الباحث جون توملنسون رئيس مركز أبحاث الاتصالات والثقافة العالمية بجامعة ترنت البريطانية، معرِّفاً العولمة: «تشير العولمة إلى الفعاليات المضطردة المتنامية التي تخص الاتصالات الاندماجية المعقَّدة بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على النطاق العالمي»[2].

أما الباحث السوسيولوجي أنثوني جيدينز فيقول : «إنَّ العولمة هي تكثيف العلاقات الاجتماعية الممتدة على نطاق العالم أجمع والتي تربط محليات متباعدة بحيث أن الأحداث المحلية تكيِّفها أحداث تصدر على بعد أميال عديدة وكذلك العكس»[3].

---

١ - عبد الحافظ، د. عبدالرشيد: الآثار السلبية للعولمة، مكتبة مدبولي، ص ٨.

٢ - التوم، د. عبدالله عثمان/ آدم، د. عبدالرؤوف محمد: العولمة، دار الوراق، لندن ١٩٩٩م، ص ١٩.

٣ - المرجع السابق، ص ٢٠.

ويشير هذا التعريف ضمنياً إلى وجود علاقات معينة ولكنها تكثّفت في عصر العولمة، حيث أدّى هذا التكثيف في أشكال الحِوار الإنساني والعلاقات الاجتماعية العالمية أو العولمية إلى ترابط القوى في العالم، ولهذا فإن ما يحدث في مدينة ما يكون متأثراً بما يحدث في الجانب الآخر البعيد من العالم، والعكس صحيح أيضاً.

ويعرِّف فيذرستون العولمة بقوله: «تتضمن العولمة الامتداد الخارجي للثقافة المحلية المعينة إلى أقصى حدودها، أي العالم أجمع، تصبح الثقافات المختلفة منخرطة في الثقافة الغالبة التي سوف تغطي، بعد حين، جميع العالم»[١].

وهكذا يشير فيذرستون إلى اتجاه حركة العولمة الثقافية، فهو يرى أن العولمة تخص امتداد الثقافات المحلية خارج حدودها بحيث يكون حيزها العالم بأكمله.

وبالتالي تؤول هذه الثقافات الممتدة خارجيًا إلى مزج ثقافي واحد يسود العالم أجمع.

ثانياً - عولمة الثقافة

إنَّ التنوع الثقافي ضرورة صحية تمليها الحاجة الروحية والحضارية لشعوب العالم، أما العولمة الأمريكية فتهدف إلى تشكيل صورة العالم وفق قِيَمها الثقافية ومصالحها بما يضمن لها هيمنة مطلقة على صناعة الثقافة العالمية.

«وبعد أن أصبحت أمريكا تحتل القطب الواحد وراح الإعلام الأمريكي يبشِّر بثقافة الإنترنت، وهي شبكة معقدة من النُّظم المبتكرة والحاسوب الآلي والفاكس والتلكس، وتبشِّر بالثقافة الأمريكية الممثلة بثقافة السوبرمان ومؤسسة والت ديزني متجاهلة القِيم الثقافية للقوميات والدول والتفاعل الحضاري والثقافي العالمي المبني على الاحترام الثقافي»[٢].

ونتيجة للتطور التكنولوجي في المعلومات والاتصالات والموجّه في جزئه الأكبر للوطن العربي، فإنَّ الثقافة العربية تعاني هجمة تحديات ثقافية ذات طابع إعلامي تستهدف قِيم الوجود والأصالة والانتماء من حيث المبدأ وتستهدف تذويب الثقافة وَصَهرها واغتيالها من

---

١ - التوم، د. عبدالله عثمان/ آدم، د. عبدالرؤوف محمد: العولمة، دار الوراق، لندن ١٩٩٩م، ص٢١ .

٢ عبد الدائم، د. عبد الله: العرب والعالم بين صدام الثقافات وحوار الثقافات، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠٣، ١٩٩٦.

حيث الغاية، والتي تؤثر على الإنسان العربي بحالة اغتراب ثقافية، اجتماعية وسيكولوجية، حالة من فقدان الإحساس بالانتماء إلى المستوى الثقافي وحالة من الضياع في مستوى العلاقات الاجتماعية، والتي أدّت إلى التفكك الوطني والقومي[1].

وبهذا يكون الأمن الثقافي للأمة العربية هشاً يسهلُ اختراقه، وبالتالي يؤثر ذلك على مختلف الجوانب الحضارية والفكرية والسياسية للأمة العربية.

ثالثاً - عولمة الإعلام

يمكن تعريفها إجرائيّاً «عملية تهدف إلى تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات ، بفضل تعاظم قدرات وسائل الإعلام والمعلومات ولها أهداف تعمل على توحيد أسواق العالم وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصال والمعلوماتية العملاقة، متعددة الجنسيات على حساب تقليص دور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي»[2] .

وتظهر في مجال عولمة الإعلام سيطرة واضحة للولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي إذ «تسيطر وحدها على ٦٥٪ من المادة الإعلامية، حيث تسيطر ١٥ شركة أمريكية في مجال الإلكترونيات على نسبة ٧٥ ٪ من الإنتاج الصناعي الإلكتروني العالمي في مجال الثقافة»[3].

وتتضمن المادة الإعلامية والثقافية الأمريكية نشر الثقافة الأمريكية عبر الحدود، ونشر نمط حضاري وثقافي يكرِّس العَولمة الأمريكية ويُفقد الأمم والشعوب هويتها وشخصيتها وثقافتها.

وتسيطر الدّول الغربية على الإعلام العالمي من خلال أربع وكالات أنباء دولية كبرى في العالم وهي:

- وكالة اسوشيتد بريس - الأمريكية.
- يونايتد بريس - الامريكية.

---

١ - وطفة، علي: الثقافة وازمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٩٢، ١٩٩٥م.

٢ - شومان، محمّد: عولمة الإعلام ومستقبل الإعلام العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرين، العدد الثاني، الكويت ١٩٩٩م.

٣ - خضر، محمّد: الإعلام العربي والتحديات التقنية، مجلة معلومات دولية، دمشق، عدد (٥٥) ١٩٩٧م، ص٤٤ .

- فرانس بريس - الفرنسية.

- رويتر - الإنجليزية.

وهكذا تعتمد الولايات المتحدة والدّول الغربية على الإعلام، فهو أداتها الأساسية لنقل الأفكار والأخبار والثقافات إلى الأمم الأخرى والتأثير عليها لجعلها تدور في فلكها.

رابعاً - الآثار الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية السَّلبية للعولمة

لظاهرة العولمة أبعادًا وتجليات غير محدودة، تشمل كل النشاطات الإنسانية تقريباً، ومن أهم هذه الأبعاد والآثار السَّلبية، البعد الاقتصادي الذي يُعتبر من أهم وأبرز مظاهر العولمة ونتائجها السَّلبية، وقد تجلَّى البُعد الاقتصادي في انهيار حلم التنمية الوطنية المستقلة، وتكريس التبعية الاقتصادية للغرب، والقضاء على الصناعة الوطنية، وهدر الثروة الوطنية وتدمير البيئة.

أما البُعد الثقافي كأثر سلبي للعولمة فيتجلَّى في هيمنة الثقافة الغربية، وزعزعة منظومة القِيم في المجتمعات العربية والإسلامية، وتهديد اللغة العربية والدِّين الإسلامي.

أما آثار العَولمة السَّلبية في المجالات الاجتماعية فحدِّث ولا حرج، ومنها: سيادة الطابع الاستهلاكي الفارغ كنمط للحياة، والترويج للنمط الغربي كأسلوب للحياة والسلوك، وتعميق التفاوت الاجتماعي، وتدمير الانتماءات الحقيقية إلى الوطن والدِّين وإيقاظ ولاءات ضيقة كالطائفية والمذهبية والقبلية لإضعاف الشعوب وجعلها تتناحر فيما بينها لتعبيد الطريق أمام عجلات العولمة التي ستأتي على الأخضر واليابس وتُحكِمُ سيطرتها على مُقدَّرات الشعوب.

وفي المجال السياسي تتجلَّى الآثار السَّلبية للعولمة في النواحي التالية[١]:

١ - إضعاف سلطة الدولة الوطنية.

٢ - محاولة فرض نظام سياسي معين على العالم.

٣ - محاولة إملاء سياسات معينة على العالم.

---

١ - عبدالحافظ، د. عبدالرشيد: الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي، ص ٢٩ - ٦٦ باختصار.

خامساً - الثقافة والإعلام في مواجهة تحديات العولمة

ستنعكس آثار العَولمة على الثقافة والإعلام والاجتماع والسياسة، لأنها «المآل الحقيقي لما يشهده العالم من ثورة تكنولوجية واتصالية وتحرير للاقتصاد والتجارة الدولية»[1].

والثقافة العربية في ظل هيمنة العولمة يجب أن تتجاوز الأطر التقليدية، وأن تقتحم المجالات التي يحتمها منطق التطور وتفرضها آليات العصر الحديث كوسائل الاتصال الحديثة وشبكاتها المتنوعة.

«وإذا أراد العرب تأسيس ثقافة عربية قادرة على الوقوف في وجه التحديات المتعددة الأشكال والألوان، فإنَّ هذا لن يكون بالعزوف عن الثقافات الأخرى والانطواء على الذات، بل يكون بمواصلة التفتح مع التمييز الجيد بين النافع فيه والضار، والملائم للثقافة القومية وحضارتنا وتوجهنا الاقتصادي والاجتماعي والفكري وبين ما هو غير ملائم لهذه المكونات»[2].

أما بالنسبة للإعلام العربي، فالمهام الملقاة على عاتقه جسيمة، ولذلك عليه مواكبة التقنيات الحديثة واستيعابها واستثمارها جيداً.

«إنَّ وسائل الإعلام في جوهرها أدوات ثقافية تؤدي دوراً أساسيّاً في نقل الثقافة ونشرها. ويتوجب على الإعلام العربي أن يحقق التكامل وتدارك ما يحدث من تعارض وتناقض بين ما تبثه وسائل الإعلام الغربية من قِيم وسلوكيات تهدِّد الهوية الثقافية العربية، وبين ما تحرص المؤسسات التعليمية على تأكيده، وخصوصاً أن الغرب يملك التقنية الأقوى بالإضافة إلى أنه يقدِّم حججاً على الرغم من عدم صحتها إلا أنها تكون مقنعة بالنسبة للغالبية العظمى من الشعب غير المثقف»[3].

---

١ - الجويلي، نصر: الثقافة العربية في مواجهة تحديات العصر، مجلة الهداية، العدد الأول والثاني، السنة ٢٥، ٢٠٠٠م، ص٨٤ .

٢ - المرجع السابق، ص٨٥ .

٣ - قدور، صفاء: الإعلام العربي وصناعة راي عام، مجلة « المعلم العربي »، دمشق، العدد٢، السنة٦، ٢٠٠٧م.

وهكذا لا بد من تكامل دَوْرَي الإعلام والثقافة وتفعيله وتطويره للوقوف في وجه تحديات العولمة التي أخذت رياحها العاتية تهبُّ على العالم مقتلعة في طريقها هويات وتراث وثقافات الشُعوب التي لا تصمد في المقاومة ولا تُفعّل أدوات المجابهة الإعلامية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

سادساً - من العولمة المؤمركة إلى عولمة التنوع من فلسفة السَيطرة والصِدام إلى ثقافة الحوار

«إنَّ العَولمة الآن بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية تسير بوتائر سريعة وشاملة وواسعة النطاق تفرض قواعدها وفلسفتها على الجميع»[1].

هذا ما قاله الكاتب الأمريكي توماس فريومان، وهو قول يبيِّن العولمة المؤمركة - مكشوفة على حقيقتها - المتطرفة والمتسلطة والعنيفة بآنٍ واحد.

وبهذا المعنى تسعى العولمة المؤمركة إلى أن تكون «اقتصادية» بامتياز، وتسعى لتعميم ثقافتها العالمية بثلاث سمات حدّدها البروفسور الروسي أليغ كولوبوف والأستاذ الدكتور سهيل فرح عضو أكاديمية التعليم الروسية بما يلي: «السِّمة الأولى تجعل من اللغة الإنجليزية ومن الدولار بمثابة - العجل الذَّهبي - الذي يوجب أن تمارس الشُّعوب خضوعها وتبنيها التام لهما. أما السِّمة الثانية وهي احتكارية أيضاً، تتمثل في قدرة هذه - العولمة المؤمركة - لأن تقصف العقول والنفوس والأذواق عبر العالم. والسِّمة الثالثة وقد تكون الأكثر خطورة بالنسبة لسائر الحضارات العالمية، حيث أن الثمن الكبير تدفعه تلك الحضارات، وهي القدرة على الامتصاص الهائل للأشياء. إنها القدرة والرغبة الجامحة بأن تتحول الاختلافات والتنويعات القائمة في العالم إلى سوق كبير للاحتكارات الأمريكية»[2].

١ - كولوبوف، د. اليغ/ فرح، د. سهيل: حِوار الحضارات: المعنى، الأفكار، التقنيات، ص١٥٨ .
٢ - المصدر السابق، ص١٥٩ .

وهكذا تعمل العَولمة المؤمركة على تهيئة المناخ الثقافي على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية لتقبّل منظومة ثقافية بعينها تعبِّر عن قِيم العَولمة في تعريفها الأمريكي بما يخدم مصالحها الاقتصادية ويدعم نفوذها السياسي وتمركزها العسكري في العالم.

«كما تعمل منظومة قيم العولمة الأمريكية على ترسيخ قيم الحداثة الغربية خاصة كما تبلورت في النموذج الأمريكي وتعمل على نشرها تدريجيّاً بين النخب في العالم، تمهيداً لانتشارها كطريقة في الفهم والتفكير والسلوك لتشكل نمطاً موحداً عالميّاً في الحياة الاجتماعية»[1].

وبهذا الفهم الأمريكي العقيم يُربط الإسلام ربطاً مباشراً برفض الحداثة على النموذج الأمريكي، وبممارسة الإرهاب ومعاداة ثقافة السلام والتسامح، وبرفض الآخر. وهذه الرؤية الأمريكية تشمل الدِّين الإسلامي كلّه لا مجموعة متطرفة من المسلمين. وبهذا تدعو العولمة المؤمركة إلى السَّيطرة والصِّدام ورفض الانفتاح على الآخر، ولا سيما على العرب والمسلمين، مما يغلق كافة أبواب الحِوار والتفاهم، ويفتح كافة أبواب الصِّدام والحروب على أكثر الاحتمالات سواداً.

وفي مقابل العولمة «المؤمركة» تبرز الحاجة الإنسانية ملحّة إلى عولمة «التنوع»، وقد تبدّى ذلك جليّاً خلال العقود الأخيرة من خلال اتجاه دولي معاكس تجسّد من خلال جهود عدد من المنظمات الدّولية وبعض الدّول وبعض المؤسسات الثقافية والإعلامية التي أكّدت على رفض المركزية الأمريكية في العلاقات الثقافية الحضارية على المستوى العالمي ودعت إلى إحداث نوع من التوازن في التدفق الثقافي والإعلامي بين الولايات المتحدة من ناحية وبقية العالم من ناحية أخرى.

كما عبّرت عن القلق المتزايد من التأثير الأحادي الطاغي لنموذج ثقافي واحد على مستوى العالم، ومن التأثيرات السَّلبية لصناعة الإعلام والإعلان والسينما وغيرها من الصناعات الثقافية الأمريكية التي تؤكد قيم القوة والعنف والفردية والعنصرية.

---

١ - ثابت، أحمد: العرب بين الحوار الثقافي والانعزال، ص ١١٠ - ١١١ .

إنَّ كوكبنا يزخر بتنوع إثني وثقافي وحضاري يشكل مصدراً هاماً لغنى وإبداع وتنوع الحضارة الإنسانية الواحدة التي تنطوي على ثقافات متعددة.

فعولمة التنوع هي عولمة الحضارة الإنسانية الواحدة بثقافاتها المختلفة. يقول المفكر الفرنسي كلود ليفي شتراوس: «الحضارة هي تعايش الثقافات بكل تنوعها، فأي حضارة عالمية لا يمكن أن تمثل إلا تحالفاً عالمياً بين الثقافات، تحتفظ فيه كل منها بأصالتها»[1].

إنَّ عولمة التنوع تضفي الطابع الإنساني والأخلاقي على العلاقات بين الدول والمؤسسات والجماعات والأفراد، وبالتالي هي نقطة نوعية هامة باتجاه حِوار الثقافات.

سابعاً - عولمة التنوع وضرورة الحوار من أجل ثقافة أخلاقية عالمية

في الوقت الذي تهدِّد فيه العولمة المؤمركة المكونات الأساسية للثقافة العربية والإسلامية كالدِّين واللغة والعادات والقيم، وتُلغي كافة فرص الحِوار، تكرس عولمة التنوع جهودها على الحِوار الفاعل والبنّاء من أجل ثقافة أخلاقية عالمية تُغني القواسم المشتركة التي تجمع بين الثقافات المتنوعة التي تشكل حضارتنا الإنسانية.

ومن أهم المبادئ التي تنادي بها عولمة «التنوع» لتأسيس ميثاق أخلاقي إنساني عالمي عام[2]:

١ - الدعوة والعمل الحقيقي من أجل الاتفاق على عقد اجتماع دولي لتقليص مساحة الفقر والبطالة والجهل والمرض.

٢ - احترام الحرية الثقافية التي تشجع على التجريب والتنوع والخيال والإبداع.

٣ - إرساء الديمقراطية المعتمدة على - مبدأين أساسيين - مستوى الوعي والممارسة.

٤ - حماية حقوق الأقلّيات.

---

١ - انظر: التنوع البشري الخلّاق، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، إصدار المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٧م، ص٢٩ .

٢ - كولوبوف، د. أليغ / فرح، د. سهيل: حِوار الحضارات: المعنى، الأفكار، التقنيات، ص١٦٣ - ١٦٤ .

٥ - العالمية الأخلاقية المرجوّة هي التي تهدف إلى خلق علاقة جدلية متوازنة بين الحقّ والواجب، الحرية والضوابط، التوفيق الحكيم بين الأنا والآخر.

٦ - إنَّ مستقبل الثقافات لا يكمن في الانطواء داخل أسوار التقليد والجمود ولا بالذوبان مع حضارة الأقوى بل بالتفاعل الخلّاق بين الثقافات العالمية المختلفة.

وهكذا يكون تنوُّع الثقافات وتفاعلها وتحاورها سبيلاً إنسانيّاً راقياً لنبذ سياسة السَّيطرة والهيمنة والعنف، وبالتالي الوقوف في وجه العولمة الوحشية التي تجتاح الكرة الأرضية، والتأسيس لحضارة إنسانية واحدة ذات قيم أخلاقية عالمية مشتركة تكون محصلة طبيعية لتمازج وتكامل وحِوار الثقافات المختلفة في بوتقة الحضارة الإنسانية الواحدة.

إنَّ الحِوار المنشود هو السَّبيل الأوحد لتحويل العَولمة الوحشية إلى عَولمة إنسانية شاملة لكل الثقافات من أجلِ بناء عالم مُتَآخٍ مُتضامن ينبذ كل أشكال السَّيطرة والهَيمنة والكَراهية والاستغلال، وينشدُ الخير والعدالة والمساواة والمحبة للجميع حاضراً ومُستقبلاً.

****

الفصل الرابع

عوائق الحوار

أولاً - العوائق السياسية

تعتبرُ العوائق السياسية من أهم عَوائق الحِوار مع العالم الغربي، ومن أهم هذه العوائق:

١ - الأحداث التاريخية

- ساهمت مجموعة من الأحداث التاريخية سواء أكانت دينية أو سياسية أو اقتصادية في نمو مَشاعر العَداء والكراهية بين العرب والغرب، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، الأحداث التالية:
- ظهور النَّبي الكريم محمَّد ﷺ والتشكيك برسالته من قبل اليهود والمسيحيين.
- الحروب الصَّليبية.

محاكم التفتيش الإسبانية بحق العرب والمسلمين بعد سقوط غرناطة ١٤٩٢م.

- الاستعمار الغربي للدول العربية ومحاولة التغريب.
- اغتصاب فلسطين ١٩٤٨م.
- ظهور البترول بكميات وفيرة في المنطقة العربية وقطع البترول عن الدول الغربية الداعمة لإسرائيل.
- أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م واتهام العرب بهذه التفجيرات.
- العدوان الأمريكي على أفغانستان واستغلال تصرفات منظمة القاعدة.
- العدوان الأمريكي الإسرائيلي على لبنان في تموز ٢٠٠٦[١].

---

١ القين، د. عقيل ابراهيم: مؤتمر الإعلام العربي - رؤية شاملة، ص٦٠ .

ويمكننا أن نضيف إلى هذه العوامل: تدنيس القرآن الكريم في معتقل غوانتانامو والعراق، ونشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم ﷺ في صحيفة "يولاندز بوستن" الدانماركية، ثم في صحف غربية عدّة.. في شهر فبراير ٢٠٠٦، وإعادة نشرها مجدداً في صحف غربيّة عدّة في شهر فبراير ٢٠٠٨، وتصريحات بابا الفاتيكان المسيئة للإسلام والرسول الكريم، والعدوان البربري الصهيوني الغاشم على لبنان في شهر مايو ٢٠٠٦، ثم على قطاع غزة في ٢٧ - ١٢ - ٢٠٠٨م.. إلخ.

ومن خلال هذا الاستعراض السريع لعلاقة الغرب بالعرب والمسلمين يتبين أنها ظلّت علاقة متوترة على مدى ألف وأربعمائة سنة، والسبب في هذا التوتر في غالب الأحيان الغرب نفسه، وليس العرب الذين كانوا ولا يزالون ضحية التآمر الغربي الذي مازالت فصوله تتواصلُ يوماً بعد يوم.

٢ - الحركة الصهيونية

تشكل الصهيونية في الغرب عضواً من أعضاء القوى العالمية الفوقية بحكم نفوذها الطاغي على البنوك والحكومات والشركات والمعامل الكبرى والأحزاب السياسية.

وقد بَذلت جهوداً جبارة لتشويه صورة العرب وتصويرهم كشعب معتدٍ ومتوحش وبدائي، في حين رَفعت شعارات «إسرائيل المسالمة» و«إسرائيل التي تحوِّلُ الصَّحراء إلى جنة»، فكسبت دعم الغرب المادي والمعنوي، وألّبت الرأي العام الغربي على العرب والمسلمين كونهم رموز التخلف والجهل والعنف والتطرف والإرهاب، من خلال قدراتها المالية والإعلامية الهائلة.

وقامت الحركة الصهيونية العالمية منذ تأسيسها باستغلال الفراغ الدِّيني في العالم الغربي، والمصاحب في الوقت نفسه بتعصب أعمى للمسيحية كهوية وليست كدين، ورصيد الصِّدام التاريخي بين العالمين العربي والغربي في إذكاء حدَّة العداوة فيما بينهما، وذلك عبر وسائل عدَّة يُجملُها الأستاذ الدكتو زغلول النَّجار فيما يلي:

١ - اختراق الكنيسة الغربية وإقناع القائمين عليها بحتمية قيام دولة لليهود على أرض فلسطين انطلاقاً من نبوءة كاذبة في الكتابات المزورة الموجودة بين أيديهم والتي تدَّعي بأن المسيح (عليه السلام) لن يعود إلى الأرض إلّا بتحقيق هذا الشرط الذي لا أصل له من دين، أو عرق، أو تاريخ أو منطق ، خاصة وأن اليهود لا يعترفون ببعثة السيد المسيح (عليه السلام) فكيف ينتظرون عودته ؟!.

٢ - اختراق جدار الإدارة الغربية وأجهزة استخباراتها، وإقناع المسؤولين فيهما بأن وحدة العرب والمسلمين تشكل خطراً داهماً على الحضارة الغربية وإنجازاتها، واستشهدوا على ذلك بالفتوحات الإسلامية، وأنَّ هذا الشعب إذا اتحد فسوف يشكل تهديداً للحضارة الغربية، ولهيمنتها على المنطقة وعلى مقدراتها، ومن ثم فيجب العمل دوماً على تفكيك الأمتين العربية والإسلامية بالكيانات الاستيطانية كالكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

٣ - الهيمنة على وسائل الإعلام في العالم، وعلى مراكز اتخاذ القرار في العالم الغربي بصفة خاصة، وتحريك ذلك كله في اتجاه معاد للعرب والمسلمين، وللتحذير من أية صحوة إسلامية ممكنة في أي جزء من العالم، والعمل على وأدها في مهدها، أو صرفها عن مسارها، أو محاربتها بضراوة حتى لا تتمكن من تنفيذ مخططاتها، وإشاعة الخوف من الإسلام، والتحذير منه، والدعوة إلى محاربته تحت مظلة مصطنعة ومزيفة اسمها محاربة الإرهاب الدولي[١].

هكذا، وعلى هذا النحو المنهجي الخبيث عملت الحركة الصهيونية العالمية على تشويه صورة العرب والمسلمين، واستثارة القوى الكبرى في العالم – وفي مقدمتها العالم الغربي – للدخول في سلسلة من المعارك المتصلة مع المسلمين.

وقد تَزَعَّمَ هذه الحملة المسعورة على الصَّعيد الفكري والسياسي مجموعة من غلاة الصهاينة من أمثال: برنارد لويس وصموئيل هنتنجتون وهنري كيسنجر وزيجنبو بريجنسكي وجوزيف هوفمان وجوديث ميلر ودانيال بايبسي وغيرهم.

---

١ - النجار، د. زغلول: الإسلام والغرب في كتابات الغربيين، ص٢١ .

٣ - النَّظريات الفكرية الغربية الصِّدامية

لعبت بعض النظريات الفكرية الغربية الصِّدامية مع العرب والمسلمين دوراً سلبياً مُعيقاً لثقافة الحِوار عموماً والحِوار مع الغرب خصوصاً، ومن هذه النظريات على سبيل المثال لا الحصر:

أ - نظرية هنتنجتون «صِدام الحضارات»:

أثار هنتنجتون مدير معهد جون أولي للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد ضجة عالمية كبيرة عندما طرح نظريته حول صِدام الحضارات في مقالة نشرت في مجلة الشؤون الخارجية في صيف ١٩٩٣، حيث تنبأ بصراعات وحروب في الحاضر والمستقبل.

ويلخص المفكر الدكتور خلف الجراد أطروحة هنتنجتون في إطار الفرضيتين التاليتين: «إنَّ المصدر الرئيسي للصراعات في عالم ما بعد الحرب الباردة لن يكون - كالسابق - أيديولوجياً أو اقتصادياً، وإنما سيكون ثقافياً وحضارياً.

تبعاً لذلك لا يوجد على قيد الحياة في عالمنا المعاصر سوى ست حضارات أو على الأكثر ثمان وهي: الحضارة الغربية، والكونفوشية، واليابانية، والإسلامية، والهندية، والسلافية - الأرثوذكسية، والأمريكية اللاتينية، وربما الحضارة الأفريقية، ومن بين هذه الحضارات تبقى حضارتان لا يمكن أن تندمجا أو تتعايشا مع حضارة الغرب، وهما الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية»[١].

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تم التوقف مطوّلاً عند أطروحة صِدام الحضارات في تركيزها على محورية الصِّراع والحروب والنزاعات، سواء على مستوى السياسات المحلية كالصراعات العرقية داخل البلد الواحد أو الحضارة الواحدة، أو على المستوى العالمي على شكل صراعات حضارية.

كما ساهمت أطروحة هنتنجتون مساهمة سلبية كبيرة في إضعاف مفهوم حِوار الثقافات، ولا سيما الحِوار العربي - الغربي عندما وَصَّف هنتنجتون علاقة الإسلام بالغرب على أنها عدائية «حالة شبه حرب»[٢].

١ الجراد، د. خلف: مؤتمر الإعلام العربي - رؤية شاملة ج١، وزارة التعليم العالي، دمشق ٢٠٠٧، ص١٢٨ .

٢ - المصدر السابق، ص١٢٩ .

ومن نتائج أُطروحة هنتنجتون على الدوائر الحاكمة الغربية أن حددت الولايات المتحدة الأمريكية سبع دول إرهابية ومن ضمنها خمس دول إسلامية هي: سورية، العراق، ليبيا، السودان، إيران .. والدولتان الأخريان هما : كوبا وكوريا الشمالية.

ولذلك ينبغي ألا يكف الكتّاب العرب عن الرد على أطروحة هنتنجتون الهدامة، ولا سيما أنها تعرضت لكثير من النقد داخل المجتمعات الغربية، حيث دحضها مجموعة من مفكري الغرب، ومنهم المستشرق الألماني فريتس شتيبان الذي رفضها رفضاً تاماً وحاججها بالحجج والبراهين المقنعة، ومما قاله بهذا الخصوص: «إنَّ هنتنجتون يبني آراءه، بقصد أو بغير قصد، على افتراض مؤداه أن الأديان يواجه بعضها البعض بطريقة لا بد أن تؤدي بالضرورة إلى كل أنواع الصراع، بما في ذلك الصراعات العنيفة، وأنا في الحقيقة أرفض هذا الافتراض رفضاً تاماً»[1].

وكذلك المفكر الألماني هارالد موللر الذي دحضها دحضاً علميّاً محكماً في كتابه «تعايش الثقافات : مشروع مضاد لهنتنجتون»[2].

ب - نظرية فوكوياما «نهاية التاريخ»:

ادّعى الكاتب الأمريكي فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ أنَّ العالم سيشهد صراعات بعد انتهاء الحرب الباردة، وهي في مجملها صراعات عرقية ودينية في كثير من مناطق العالم وصراعات متنوعة داخل الدُّولة الواحدة وهذه الصِّراعات تنبئُ بتمزقات كبرى في الكيان العالمي، مما يسهّل على الولايات المتحدة السيطرة على العالم والهيمنة عليه.

يقول فوكوياما: «إنَّ الحضارة الغربية الحديثة لن تدع مجالاً للبرابرة لتكرار زوال الحضارة الرومانية، وذلك لامتلاكها سلاح العلم لمنع الخطر والتصدي له»[3].

---

١ - شتيبان، فريتس: الإسلام شريكاً، ترجمة: د. عبد الغفار مكاوي، ص٦٨ .

٢ مولر، هارلد: تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون، ترجمة: د. إبراهيم ابو هشهش، ط١، دار الكتاب المتحدة، بيروت ٢٠٠٥م.

٣ - النَقَري، د. معن: العولمة (الكوكبة) وجوهها وأبعادها، مطبعة اليازجي، دمشق ١٩٩٩م، ص٩ .

وإذا استطاع فوكوياما أن ينسى أو يتناسى أنّ الحضارة الغربية الحديثة هي التي أوجدت برابرة اقتصاديين وعسكريين مكان البرابرة التقليديين، فإنّه لن يستطيع أن ينسى أو يتناسى أن نظريته قد سقطت مع الأزمة المالية الراهنة التي تعصف بالاقتصادات الرأسمالية التي اعتبر حضارتها نهاية للتاريخ؟!

٤ - أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م

غيّرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م وجه العالم ووضعت العرب والمسلمين في قلب العاصفة الغربية بعد الحملة الإعلامية الشرسة لربط الإرهاب بالإسلام والعرب.

ومن أهم نتائج أحداث الحادي عشر من سبتمبر أنها أثّرت على العلاقات الإنسانية في المجتمع الأمريكي الذي ارتفعت فيه وتيرة التمييز العنصري ضد العرب والمسلمين.

ومن أهم تداعياتها المباشرة:

- غزو أفغانستان.
- الحرب العدوانية على العراق.
- استخدام الولايات المتحدة عبارة (حرب صليبية ضد الأمة الإسلامية).
- الدعم الأمريكي والغربي اللامحدود للكيان الصهيوني .

ومن أهم تداعياتها غير المباشرة:

- تعميق مشاعر العداء والكراهية ضد العرب والمسلمين.
- إضعاف مفاهيم ثقافة الحِوار والتفاهم والتسامح.
- وأد كل محاولة جادة لحِوار عربي - غربي.

لقد دفعت الصُورة المزيفة عن الإسلام والعرب المجتمع الأمريكي إلى التعصب الأعمى ضد المسلمين والعرب وصولاً إلى الرُّهَاب منهم، أو ما سمّي «بالإسلامو فوبيا»، وصولاً إلى العنف.

وكانت الهستيريا ضد المسلمين والشرق أوسطيين التي أعقبت انفجار «أوكلاهوما سيتي»، وتوجيه أصابع الاتهام المباشر إلى إرهابيين عرب ومسلمين من الشرق الأوسط التعبير الأكثر دلالة على مدى التشويه الذي يوسم صورة العرب والمسلمين في الفكر الشّعبي الأميركي. إذ لم يتردد أي أميركي في الإسراع باتهام العرب والمسلمين بارتكاب عملية التفجير واعتبارهم مذنبين.

تقول الخبيرة الإعلامية الفرنسية فيرجيني ساندوك: «لقد ساهمت وسائل الإعلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في توضيح التناقضات بين الحضارتين الشرقية والغربية.

وأظهرت نتيجة الخوف وانعدام الأمن اللذين تسبب فيهما الإرهاب قراءة خاطئة للحقائق بين الشرق والغرب، وخطاب سياسي وديني وثقافي يستخدم مفردات ضبابية في وقت اختفت فيه الحدود بين القوى السياسية ووسائل الإعلام، وفي مواجهة هذه الأفكار المعدَّة مسبقاً التي تصل إلى الرأي العام عبر عدد من وسائل الإعلام المهمة، فإنَّ المصادر المتعددة للمعلومات هي وحدها الكفيلة بتمكين الرأي العام من تكوين حكم خاص وحر عند قراءته للأحداث»[1].

وتضيف: «ساهمت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في تشكيل رؤية الرأي العام للشرق وإثارة المزيد من التوتر، وقد وضع الإرهاب الولايات المتحدة أمام عجزها على ضمان الأمن لمواطنيها.

وكذلك تراجع مستوى التحليل وأصبح كل من تغطية الأحداث واختيار المواضيع مرتبطاً بشكل أكبر بالمصالح المادية للصحف ممّا تسبب في خسارة الصحافة لمصداقيتها بسبب الآراء المتحيِّزة وقلة الموضوعية والكذب والتلاعب. إنَّ قلة مصادر المعلومات تؤدي إلى تشويه الحقائق، لا سيما تلك المتعلقة بالعالم العربي.

ومن النتائج المباشرة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر تقييد حرية الصحافة، كما أصبحت شبكة الإنترنت في مرمى نيران حملة محاربة الإرهاب»[2].

---

١ - ساندوك، فيرجيني: سبتمبر والإعلام الغربي وسوء الفهم، ندوة دور الإعلام في حوار العرب والغرب، نظمتها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في الكويت ٣٠ ٢٠٠٨/٣/٣١م. لمزيد من المعلومات انظر: (www.albabtainprize.org).

٢ - المصدر السابق.

وحول ذات الموضوع يقول الصَّحافي البريطاني روجر هاردي من شبكة BBC الإخبارية: «لقد أبرزت أحداث ١١ سبتمبر وجسَّدت مواضيع ظلت تشغل وسائل الإعلام على مدى عقدين من الزمان وهي: الخطر المحسوس - للإسلام المتطرف - والاستقطاب بين الإسلام والغرب والريبة من المجتمعات الإسلامية التي تعيش في الغرب.

لقد أثَّرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر على السياسة الغربية ووسائل الإعلام بما يلي:

أ - النظر إلى الجهاد الأممي على أنه تهديد قائم للغرب.

ب - النظرة إلى المسلمين وخاصة الذين يقيمون في الغرب بنوع من الريبة[1].

ولعلَّ في تصريح الكاهن وليام سنكفورد من الكنيسة البروتستانتية الأمريكية حول أحداث ١١ سبتمبر وقفة صريحة ورؤية نقدية للذات تعتبر موقفاً غربيّاً متقدماً على طريق الحِوار، يقول: «جهلنا للآخر وتجاهلنا لوجوده واعتبارنا له دوماً صورة لحضارة غير متوافقة مع حضارتنا، بالإضافة إلى دعمنا المطلق لإسرائيل جعلنا نحن الأمريكيين شركاء في خلق عالم جعل عنف ١١ سبتمبر٢٠٠١ محتملاً ومتخيلاً»[2].

٥ - الموقف من الإرهاب

استطاع الإعلام الأمريكي استثمار أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لتجييش الرأي العام العالمي ضد العرب والمسلمين بحجة الإرهاب.

إنَّ خلط الرأي العام الغربي والنُّخب السياسية الغربية بين المسلمين والإرهاب يفتقر إلى أدنى شروط الموضوعية والإنصاف لأنه لا يمكن أن تكون أمة بأسرها إرهابية ؟!

ولعلَّ العالم بأسره يدرك أنَّ من بين المسلمين اليوم من يحمل الفكر المتعصب والمتطرف - وهم قلة - شأنهم في ذلك شأن المجتمعات الإنسانية كافة التي يوجد بين

---

١ - هاردي، روجر: أحداث سبتمبر والإعلام الغربي، ندوة دور الإعلام في حِوار العرب والغرب، نظمتها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في الكويت ٣٠-٢٠٠٨/٣/٣١م . لمزيد من المعلومات انظر : (www.albabtainprize.org).

٢ - المولى، د. ضرار محمَّد فضل: مؤتمر الإعلام الغربي، رؤية شاملة، ص٢٦٤ .

ظهرانيها من يتبنّى هذا الفكر المنحرف، فالتطرف موجود في كل زمان ومكان وفي كافة المجتمعات، ولذلك فوصف شعب أو دين بالإرهاب هو بحد ذاته أعلى مراحل الإرهاب الذي يوجّه نحو أمة بأسرها.

لقد كان هناك قدر من التوافق العربي والغربي حيال الموقف من الإرهاب، فالتعامل مع الإرهـاب قضية يرى الجمع العربي والغربي أنها حيوية وهامة ومؤثرة في الأمن القومي والإقليمي بل والأمن العالمي، والثابت أن كِلا الجمعين يرفض استخدام العنف ضد المدنيين بغرض تحقيق أهداف سياسية.

وإلى هنا ينتهي الاتفاق العربي والغربي وبعدها يبدأ اختلاف عميق حول تناول الظاهرة، فالعواصم العربية، وبتعبيرات شتى سياسية وإعلامية، تعلن كل يوم أن الإرهاب مجرد عَرَض لظاهرة أكثر جذرية تعود أساساً إلى الصراع العربي - الإسرائيلي وأشكال عدة من الممارسات غير العادلة التي يمارسها الغرب ضد العرب والمسلمين[1].

وتشهد العمليات الإرهابية عبرَ العالم تراجعاً واضحاً، طبقاً لقاعدة المعلومات التي قدّمتها وزارة الخارجية الأميركية عن أنماط الإرهاب العالمي، وقاعدة معلومات أخرى قدمتها مؤسسة «راند» الأمريكية، حيث كانت الأحداث الإرهابية خلال عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ هي الأقل خلال ٣٢ عاماً[2].

وهكذا تراجع الإرهاب الدولي تراجعاً كبيراً بالمقارنة مع الإرهاب المحلي الذي يعتبر الإرهاب الحقيقي.

على مستوى العالم، حيث تشير المعطيات التاريخية إلى أن الصراعات داخل الثقافات ربما كانت أقوى وأكبر فيما بينها، وهو ما يعني أن مشكلة الإرهاب كعقبة في طريق الحِوار تبدو أقل حدّة وهي في طريقها إلى الضعف والزوال.

---

١ - سعيد، د. عبد المنعم: ثقافة الانفتاح على الأخر، بحث منشور في كتاب: ندوة الثقافة وحِوار الحضارات، ج١، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشـعري، الكويت ٢٠٠٨م، ص٤٥٨ .

٢ - المصدر السّابق، ص٤٥٨ .

ومن الضروري جداً أن يُوضِّح المحاور العربي الآن لمحاوره الغربي الفرقَ بين المقاومة المشروعة للاحتلال كما في فلسطين والعراق، وبين الإرهاب المدان.

٦ - تسييس الحوار

تسعى العَديد من الأطراف في العَالم لتسييس الحِوار وتحويله من حِوار ثقافي هادف إلى حِوار سياسي مبطّن لتحقيق أهداف سياسية وثقافية واقتصادية وإعلامية، أو محاولة جر بعض الثقافات إلى مواقف وقِيم الثقافات الأخرى بحجة الحِوار والتواصل.

وهكذا يكون الحِوار الناتج عن مصالح سياسية واقتصادية آنية حِواراً عديم الجدوى والفائدة.

٧ - الاستراتيجية الأمريكية والغربية للهيمنة على العرب

تشكل الاستراتيجية الأمريكية والغربية للهيمنة الشاملة على العرب، سياسيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً، عائقاً أساسيّاً من عوائق الحِوار كونها تدعو إلى تكريس صراع الثقافات بدلاً من تَحاورها وتَلاقيها.

٨ - صُعود الأصوليات الإسلامية والمسيحية واليهودية

إنَّ صعود الأصوليات الإسلامية والمسيحية واليهودية، منذ نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، يجعل الحِوار صعباً، لكن في الوقت نفسه فهو أكثر من ضرورة حياتية، حيث تشهد العديد من الدّول توترات بين السكان المسيحيين والمسلمين تأخذ شكل صراعات حادة، قوية أحياناً أو أقل حدة أحياناً أخرى. نذكر منها على سبيل المثال: مصر والجزائر، ونيجيريا، وساحل العاج، وتشاد، والسودان، وفلسطين، ولبنان، والدول المنبثقة عن جمهورية يوغسلافيا السابقة، وبلغاريا، وجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق (جورجيا وأرمينيا وأذربيجان)، والباكستان، والفلبين، والولايات المتحدة الأمريكية، وقبرص، والحبشة، وبعض بلدان أوروبا الغربية (فرنسا وإسبانيا وهولندا والدانمارك وبريطانيا وألمانيا)[١].

---

١ - فرح، سهيل / كولوبوف، اليغ: حوار الحضارات: المعنى، الأفكار، التقنيات، دار علاء الدين، دمشق ٢٠٠٨م، ص٥٢ .

وفي مواجهة هذه الأصوليات المتطرفة لابدَّ من تعزيز الحِوار وتفعيله، لأنَّ الارتباط وثيق بين صعود هذه الأصوليات المتطرفة وانتشار ظاهرة اللاتسامح.

يقول المفكر ألفريد.ج. أيير: «يتخذ اللاتسامح أشكالاً متعددة: منها ما هو ديني ، أو عرقي، أو اجتماعي أو أخلاقي . ومن الممكن لكل من هذه الأشكال أن يبرز بمفرده، أو متواكباً مع غيره من الأشكال».

ثانياً - العَوائق الثقافية والفكرية

كل ثقافة أيًا كانت لا بدَّ وأن تقوم على أسس فكرية تعكس طريقة التفكير السائدة في مجتمع ما، وبناء على تلك الطريقة من التفكير تتشكل المظاهر الثقافية المختلفة.

إنَّ التفاوت الثقافي الذي نراه بين الثقافات يعود إلى الأسس الفكرية التي تقوم عليها كل ثقافة.

ويُحَلل الباحث الدكتور عبدالله الجسمي العوامل الثقافية والفكرية التي تساهم في تعقيد الحِوار العربي – الغربي بقوله: «المرتكز الأساسي في الثقافة الغربية هو العِلم الذي شكَّل جوانب مختلفة من حياة الإنسان الغربي وطريقة تفكيره ومن ثم ثقافته. فهناك سمات مثل الواقعية والروح التجريبية والتفكير العلمي تميِّز الجوانب التي يتم التعامل فيها مع الواقع، وكذلك الجانب المتعلق بالأبعاد الفكرية مثل حقوق الإنسان والديمقراطية والتعددية الفكرية والحرية الشخصية وغيرها.

وفي المقابل نجد الثقافة الغربية تقوم على أسس مختلفة منها: العادات والتقاليد الاجتماعية، المفاهيم القبلية والطائفية، ومنطلقاتها الفكرية ذاتية الطابع ويغلب عليها التفكير العاطفي لا العقلاني أو العلمي ويتم التعامل مع الواقع بطريقة عاطفية تغلب عليها التمنيات الذاتية ويغيب عنها في نفس الوقت مظاهر الحرية وحقوق الإنسان والتعددية الفكرية والحريات العامة والشخصية»[١].

---

١ - الجسمي، د. عبدالله: منطلقات أساسية لتعميق حِوار الحضارات، بحث منشور ضمن أبحاث الدورة الحادية عشرة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م، ص٢٢٥ .

ويضيف الدكتور عبدالله الجسمي: «نحن إذاً أمام ثقافتين مختلفتين في الأسس والمنطلقات وطريقة التعامل مع الواقع والمظاهر الفكرية الناتجة عنها، وبالتالي ستواجه عملية الحِوار بين ثقافتين من نمطين مختلفين عقبات كثيرة، إذ قد لا توجد أرضية كبيرة مشتركة بينهما من حيث الموضوعات أو القضايا التي تشكل نقاط اتفاق بل تغلب عليها نقاط الاختلاف، وبالتالي قد يعرقل ذلك نجاح عملية الحِوار بينهما.

كما أنَّ المسألة لا تتعلق بالأُسس والمنطلقات بل بالأدوات والمناهج والأساليب المستخدمة في كل ثقافة للوصول إلى الحقيقة والتعامل مع الواقع والقضايا أو المشكلات التي تواجهها الثقافات المختلفة وكيفية التعامل معها وتفاعلها مع ثقافات العالم الأخرى»[1].

ومن أهم العوائق الثقافية والفكرية في طريق الحوار العربي مع العالم الغربي:

١ - **اختلاف المفاهيم والقِيم والأفكار:** إنَّ وجود مَفاهيم وقِيم وأفكار متناقضة يُعرقل الحِوار، فقيمة من القِيم تكون في هرم أخلاقيات ثقافة من الثقافات قد لا تحتل المكانة ذاتها في المنظومة الثقافية والأخلاقية لثقافة أخرى، فما تراه ثقافة خيراً قد تراه ثقافة أُخرى شراً، أو توظفه توظيفاً يجعله في موقع الشَّر أو في خدمته.

ومن المفاهيم المختلف عليها بين العرب والغرب: مفهوم الديمقراطية ومحاولة فرض النموذج الأمريكي على العرب الذين يرون أن التغيّرات الديمقراطية يجب أن تكون نابعة من الداخل. وكذلك التفريق بين حرية التعبير وبين الإعلام المسؤول، وبين الإرهاب والمقاومة الوطنية المشروعة.

٢ - **الجهل بطبيعة الآخر السيكولوجية ووعيه الثقافي:** يقول الفيلسوف الألماني هولباخ الجهل هو أبو الخطايا. فهناك الكثير من معوقات الحِوار ترتبط ارتباطاً وثيقاً بغياب المعرفة عن طبيعة الآخر السيكولوجية ووعيه الثقافي والفكري وذاكرته الجمعية عبر القرون، ولذلك سنُخصصُ فصلاً خاصاً عن سيكولوجيّة الحِوار مع الغرب في الباب الثالث.

---

١ - الجسمي، د. عبدالله: منطلقات اساسية لتعميق حوار الحضارات، بحث منشور ضمن أبحاث الدورة الحادية عشرة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م، ص٢٢٥ .

٣ - الصراع بين المقاربة العلمانية والمقاربة الدِّينية: يرى الباحثان سهيل فرح وأليغ كولوبوف[1] أنَّ الصراع بين المقاربة العلمانية والمقاربة الدِّينية لقضايا الوجود والحياة، وغياب الاعتراف المتبادل بالحدود المعرفية والإمكانات العقلية والمادية والروحية لكل طرف يجعل مساحات التوتر دائمة الحضور بينهما. فالفكر الدِّيني الذي يربط المصير الدِّيني بمشيئة الخالق شديد الحذر من التواصل المنفتح والإيجابي مع الآخر، وفي المقابل نرى أنَّ الفكر العلماني يربط المصير البشري وحِوار الثقافات بالمسار العام للعملية التاريخية للبشر.

وهذا الأمر يشكلُ حاجزاً معرفيّاً كبيراً في عملية الحِوار الإنساني الشامل بين العرب والغرب، فضلاً عن كونه يسبب شرخاً كبيراً داخل البنية الفكرية والمعرفية لأبناء الثقافة الواحدة.

٤ - محاصرة الغرب لنهضة العرب: عَمِلَت الدّول الغربية على محاصرة أي تجربة نهضوية عربية ليبقى الوطن العربي تابعاً اقتصاديّاً وثقافيّاً وعلميّاً وسياسيّاً للغرب وأسواقاً واسعة مفتوحة لسلعه ومنتجاته كافة.

٥ - هيمنة منطق الاستعلاء الثقافي: تعاني الثقافة الغربية من هيمنة منطق الاستعلاء الثقافي الموروث من عهود الاستعمار والمعزّز دائماً بالتقدّم التكنولوجي الغربي الهائل الذي يعتقد بامتلاكه وحده للحقيقة المطلقة، فالحِوار من حيث هو ثقافة وتواصل وتعبير عن الحريّة يتناقض تماماً مع هذا المنطق الذي يعتبر عقبة كأداء في طريقِ الحِوار.

فالغرب - كما يرى غارودي - «صادر المعرفة العالمية وأباح لنفسه تحديد مواقع الآخرين والحكم عليهم، وفقاً لتاريخه وغاياته وقِيمه»[2].

ويبدو منطق الهيمنة الثقافية جليّاً في سعي الغرب الحثيث لتكريس ثقافته عالميّاً على حساب الثقافات الأخرى، وباستخدام شتى الوسائل التكنولوجية المتقدمة ووسائل

---

١ - فرح، سهيل / كولوبوف، أليغ: حوار الحضارات: المعنى، الأفكار، التقنيات: دار علاء الدين، ط١، دمشق ٢٠٠٨م، ص٢٠ .

٢ - غارودي، روجيه: حوار الحضارات، ترجمة: د. عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت - باريس ١٩٧٨م، ص٩٣ .

الدِّعاية والغزو الثقافي، فمن منطلق التحيّز الأعمى لثقافته، أطلقَ الغرب على الثقافات الأُخرى كافة التي تخالفه مصطلح (الثقافة البدائية) أو (الثقافة التقليدية)!.

ونتيجة لهذا الاستعلاء الغربي ترى شريحة واسعة من المثقفين العرب والرأي العام العربي أنَّ الحِوار لا يمكن أن يتم إلا بين طرفين متعادلين أو متكافئين من حيث القوة، أي بين أنداد، ولا يمكن أن يتم بين طرفين، أحدهما ضعيف ومتخلف، هو الطرف العربي، وثانيهما طرف قوي ومتقدِّم هو الطرف الغربي.

٦ - **الشَّك وعدم الثقة:** ينتاب بعض الناس الذين يشاركون في عملية الحِوار الشَّك وعدم الثقة بالطرف الآخر، مما ينعكس سلباً على فاعلية الحِوار، «حيث يجعلهم غير قادرين على المشاركة النشطة، ويتكوّن لديهم إحساس بالترقب والريبة والشَّك»[١].

وهنا لا بد من التأكيد على أنَّ الحِوار المثمر يتطلب الثقة المتبادلة بين أطراف الحِوار كافة، فضلاً عن الانفتاح والاحترام المتبادلين.

٧ - **المُحاجَجة السُّلبية:** إنَّ مفهوم الحِوار الحقيقي ينتفي تماماً عندما يتمسك بعض المتحاورين بأسلوب المحاججة بالأدلة والشُّواهد والبراهين لإثبات وجهة نظرهم، فيتحول الحِوار إلى سباق ماراثوني عقيم لا يفضي إلا إلى مزيد من سوء الفَهم والريبة وعدم الثقة بين المتحاورين.

٨ - **الرغبة في الوصول السريع إلى النتائج:** «يحاول بعض أطراف الحِوار الوصول السَّريع إلى نتائج يتم الاتفاق عليها، كما لو كان هدف الحِوار أن يتم الاتفاق تماماً على كل ما نستطيع أن نتفق عليه، فالاستعجال للوصول إلى نقاط اتفاق يعطِّل الحِوار الهادف والعميق»[٢].

٩ - **الاتجاهات الفكرية المسبقة:** إنَّ الاتجاهات الفكرية المسبقة تُساهم بإعاقة عَملية الحِوار الذي يتحول إلى حديث متبادل يفتقر إلى التركيز والفهم وتكثر فيه المقاطعة والأسئلة غير الجدية.

---

١ - أبادير، نبيل: حوار الثقافات ضرورة مستقبلية أم رفاهية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٢٠ .
٢ - المصدر السابق.

١٠ - القول باحتكار الحقيقة: يدخل الطرف الغَربي عَملية الحِوار ولديه القناعة التامة أنَّه يمتلك الحقيقة المطلقة في موضوع الحِوار، فيرفض آراء الطرف الآخر، وهنا أيضاً يخرج الحِوار عن مساره الحقيقي، ويتحول الرفض هنا من رفض الرأي أو وجهة النظر إلى رفض كل ما هو مختلف أو متباين، وهنا يتعطل الحِوارُ تماماً.

١١ - التمايز الثقافي: يبدو التمايز الثقافي من لغةٍ وعادات وتقاليد وقِيم وأفكار في بعض الأحيان عائقاً في وجه الحِوار إذا أُخذ من جانبٍ أحادي وسلبي، أما إذا نُظر إلى التمايز الثقافي كظاهرة طبيعية وكجزء من منظومة التنوع الإنساني، فإنَّه يغدو عندها عاملاً مساعداً على الحِوار وداعماً له ومصدرَ ثَراء روحي وفكري وعامل تكامل بين العالمين العربي والغربي. ولذلكَ يجب تكريس ثقافة الحِوار لتشكل واجباً حياتيّاً وأخلاقيّاً وسلوكاً يوميّاً مألوفاً.

١٢ - غياب الرؤية الأنثروبولوجية للإنسان: تنظر الرؤية الأنثروبولوجية للإنسان إلى التركيبة البشرية المكونة من عناصر بيولوجية ونفسية وعقلية حتى روحية. وما ظاهرة التنوع والاختلاف إلاّ مظاهر لجوهر إنساني واحد. إنَّ الرؤية الأنثربولوجية تساعد على فهم الروح البشرية الواحدة الكامنة وراء خصوصية الثقافة فتعزز الحِوار الثقافي وتعمّق مساراته وتكرس مبادئه وقِيمه.

١٣ - غياب الإرادة الثقافية الدَّافعة إلى الإنجاز، وسيطرة نفسية الوَهن والتردد على كافة المستويات في الوطن العربي.

١٤ - الفقر الواضح في مجال المؤسسات العلمية والبحثية التي تعين الأمة على النهوض، وعدم الاستثمار الرشيد للمال العربي في مجال الثقافة والإعلام ومراكز البحوث.

١٥ - الضعف العربي في مجال الاتصالات والحاسوب.

١٦ - الجِدال العقيم، وتبادل الآراء بالصراخ، ونفي الآخر.

١٧ - غياب الحِوار العَربي الدَّاخلي، وعدم فهم قيمته ومعرفة أسسه وقواعده: فالحِوار مع الغَرب يجب أن يسبقه حوار عربي داخلي شامل لنبذ الطائفية وكافة الممارسات المفرِّقة للأمة.

ثالثاً - العوائق الدِّينيَّة

تُعاني المجتمعات الغَربية من جهل بِمُقَومات الإسلام الحضارية ومُثله العُليا وقِيمه السَّامية، ولذلك تتخذ منه موقفاً سلبيّاً في أغلب الأحيان.

يقول الباحث الدكتور حسن عزوزي: «إنَّ الغرب لمّا يتعرف بعد على حقيقة الحضارة والدِّيانة الإسلامية فهو يجهل عنهما كل شيء، ولا تنطبع في مخيلته سوى مدلولات سلبية موغلة في التحامل، ولا يستطيع مواكبة التطورات والمستجدات الحديثة، وهو من ثمَّ غير جدير بإدراجه في المنظومة الحضارية الإنسانية العالمية، ولم يتح الغرب لنفسه الفرصة الكاملة للتعرف على الإسلام ديناً وحضارةً، والتعارف مع المسلمين شعوباً وقبائل وثقافات، وذلك لكي يعي حقيقة هذا الدِّين الحنيف وقِيَمِه السَّامية»[1].

إنَّ الحِوار العَربي مع الغَرب يعاني من خللٍ جسيم يتجسدُ في عدم معرفة الغرب بالخصوصية الدِّينية والثقافية للعرب والمسلمين، فضلاً عن عدم انفتاحه على الدِّين الإسلامي واحترام تعاليمه وقِيمه السمحاء.

وإذا كنا ندَّعي الموضوعية حِيال العَوائق الدِّينية في الحِوار العَربي - الغربي، لا بد أن نشير إلى الجذور التاريخية للأزمة الدِّينية العربية - الغربية التي تمثلت بصراع المبشرين والدُّعاة، حيث تنطوي المسيحية على دعوة عالمية كالإسلام، الأمر الذي أفسح المجال واسعاً للتنافس والصِّراع.

وعزَّزَ من الأزمة الدِّينية الحروب الصليبية والاستعمار الأوروبي وعوامل تاريخية وسياسية عديدة فَصَّلنا البَحث فيها ضمن العَوائق الثقافية في الصفحات السابقة.

وكان من أهم تَداعيات الجهل بالإسلام الإساءات المتكررة في الإعلام الغربي لشخص النَّبي الكريم (عليه الصَّلاة والسلام) والقرآن الكريم والرموز الإسلامية الأخرى، والتي ازدادت وتيرتها تصاعديّاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م حين وُضعَ الإسلام في قفص الاتهام على أنه دين يحرِّض على العنف والإرهاب والكراهية.

---

١ عزوزي، د. حسن: تعارف الحضارات، مجموعة مؤلفين، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٦م، ص١٩٨ .

إنَّ أشدَّ ما يثير حَفيظة العرب ابتعاد الحكومات الغربية عن الأخلاق المسيحية السَّاميَّة. ولعلنا لا نأتي بجديد عندما نعلن أن مُعاداة الغرب للإسلام هو العائق الأقوى في وجه الحِوار معه: «فالثقافة الغربية – كما يقول المفكر الرَّاحل الدكتور عبدالله عبدالدائم – محمَّلة منذ القِدم بأوهام كثيرة تجعل من الإسلام عدواً تاريخيّاً وتقليديّاً للغرب، ومن الخطأ اعتبار هذه الأوهام ذات مصدر ديني فحسب.

فلقد أضيفت إلى العامل الدِّيني – على مر الأيام – عوامل سياسية واقتصادية زادت في أثر هذا العامل، بل شوهته وجعلته يتخذ شكل خرافة ضخمة وفعّالة، استقرت في أعماق الوعي الغربي، وتنبثقُ كالحِمم كلما تَوافر ما يحركها ومن يحركها»[1].

وحول الرؤية الغَربية السَّلبية تجاه الإسلام كتبَ وليام فاف مقالاً في صحيفة «الهيرالد تريبيون» في ٢٠٠٥/١٢/١٥ م تحت عنوان: «توقفوا عن جعل الإسلام عدواً»، جاء فيه: إنَّ مجموعة من أهل الفكر في واشنطن يعملون لتحويل الحرب ضد الإرهاب - التي تشنها حكومة بوش - إلى حرب ضد الإسلام وحضارته، وهم يقولون: إنَّ الإسلام نفسه هو العدو لأمريكا[2].

ومن أهم الخطابات الدِّينية السَّلبية التي تعوقُ الحِوار:

١ – الخطاب التآمري: يرى أن فكرة الحِوار مؤامرة تستهدف الدِّين.

٢ – الخطاب التبشيري: يتخذُ الحِوار وسيلة للتبشير بالمسيحية.

٣ – الخطاب الدَّعوي: يتخذُ الحِوار وسيلةً للدعوةِ إلى الإسلام.

رابعاً - العوائق الإعلامية

ما زالَ الإعلام العربي – رغم التطور التقني الذي شهده – يتخبط في حِواره مع الغرب، فتطوره التقني لم يواكبه تطور مماثل في أسلوب العمل الإعلامي وتطوير آلياته وتفعيل قنواته على أسس إستراتيجية مستقبلية، ليقوم بدوره على أكمل وجه في المساهمة الفاعلة في الحِوار مع الغَرب.

---

١ - عبد الدائم، د. عبدالله: العرب والعالم وحوار الحضارات، دار طلاس، ط١، دمشق ٢٠٠٢م، ص٦٨ .

٢ - هاغوبيان، إيلين. ك: استهداف العرب والمسلمين، ترجمة: د. محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠٦م.

ويمكننا أن نجمل أهم العَوائق التي تحول دون قيام الإعلام العربي بدوره الفاعل في الحوار مع الغرب:

١ – الغياب التام لاستراتيجية إعلامية عربية شاملة ومتكاملة موجَّهة إلى الغرب لتصحيح صورة العرب السَّلبية والردّ على الحَملات الغربية الموجَّهة إلى العرب والمسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م. وكذلك غياب استراتيجية إعلامية عربية موحَّدة لطُرق وأساليب الحِوار معَ الغَرب.

٢ – ضعف مستوى وكالات الأنباء العربية مقارنة مع وكالات الأنباء الغربية، الأمر الذي يجعلها خاضعة لهيمنة وكالات الأنباء الغربية.

٣ – ضعف الخطاب الإعلامي العربي الخارجي الموجّه إلى الرأي العام الغربي.

٤ – غياب الطابع الإعلامي الدِّعائي الحِواري وسيطرة الطابع الانفعالي التقليدي.

٥ – غياب الطابع التحليلي الاستقصائي الموضوعي العلمي وسيطرة المعالجة السطحية والجزئية في تناول الأحداث العالمية عامة وقضايا الحِوار مع الغَرب خاصة.

٦ – قلة البرامج الحِوارية، وعدم فاعلية البرامج القليلة الموجودة وانصرافها لقضايا حوارية عربية داخلية أقل شأناً من الحِوار مع الغرب كالحِوار بين العلمانيين والإسلاميين أو بين السُّنَّة والشيعة.

٧ – عدم التكافؤ في التدفق الإعلامي بين العرب والغرب.

٨ – غياب المشروع الإعلامي العربي الموحَّد وسيطرة الإعلام القُطري الذي يكرِّس التنافس في مواضيع أقل أهمية من قضايا الحِوار مع الغرب.

٩ – ضعف الإعلام العربي الذي يفتقر إلى المؤسسات الإعلامية الضخمة والمتطورة، والتي تمتلك حضوراً فعّالاً محليّاً وإقليميّاً ودوليّاً، كما يفتقر الإعلام العربي إلى الاستثمارات الضخمة والتكنولوجيا المتطورة والكوادر المؤهلة والمختصة.

١٠ - عدم وجود إرادة سياسة عربية واضحة في إطلاق الحِوار الشامل مع العالم الغربي على كافة المستويات السياسية والشَّعبيُّة والإعلامية والثقافية، وحتى في حال وجود مثل هذه الإرادة لدى بعض الدّول العربية يكون الناجم العملي لها ضعيفاً ومحدوداً.

أما من الطرف الغربي فتقف عَوائق كثيرة في طريق الحِوار منها:

الإساءات الإعلامية المتكررة للإسلام ولشخص الرسول صلى الله عليه وسلم سواءً عبر الرسوم الكاريكاتورية التي بدأتها صحيفة «يولاندز بوستن» الدانماركية وتبعتها بعد ذلك عدة صحف فرنسية ونرويجية وهولندية وإسبانية، منها صحيفة «فرانس سوار» الفرنسية، وصحيفة «افتنبوستن» النرويجية، وتعمّد الإعلام الغربي التعلل بحريّة التعبير لدى كل إساءة، أو من خلال الأفلام السينمائية والتسجيلية كفيلم الخضوع للمخرج الهولندي فان جوخ الذي عُرض في عام ٢٠٠٦م، وفيلم «النائب اليميني» الهولندي الذي عرض في عام ٢٠٠٨م.

وقد أثارت هذه الرسوم الكاريكاتورية المشينة والأفلام الحاقدة غضب واستنكار مليار ونصف مليار مسلم عبر العالم.

وهنا لا بدَّ من وقوف الإعلام الغربي وقفة مسؤولة تجاه قضايا الحِوار، ولا يتأتى له ذلك إلا باحترام الدِّين الإسلامي الحنيف ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وكافة القيم الأخلاقية الإسلامية.

ولا يمكنه أن يحقق ذلك إلا باعتماده الموضوعية، وذلك بالتفريق بين حرية الرأي والإساءة إلى الأديان ومعتقدات الشُّعوب، والتفريق بين مليار ونصف مليار مسلم ينشدون الخير والمحبة للجميع ومجموعة متطرفة محدودة تقوم بردود أفعال سلبية نتيجة للظلم الذي تشعر به بسبب دعم الولايات المتحدة والغرب اللامحدود للكيان الصهيوني في عدوانه المتكرر على الشعب الفلسطيني والشّعوب العربية.

إنَّ معظم الصحف والأفـلام المسيئة تنشد الربح والإثـارة وبذلك تفقد المهنية والأخلاقية في العمل.

فتصبح أداة للتحريض والصِّدام، كما أكَّد على ذلك رابين ميكائيل رئيس إحدى الجمعيات اليهودية في باريس[1].

خامساً - العوائق الاقتصادية

يمكن لبعضِ معوقات الحِوار أن تكون ذات طبيعة اقتصادية، فالعرب يشعرون شأنهم في ذلك - كشأن كافة شعوب العالم الثالث - أن الدّول الغربية تُحكِمُ قبضتها الاقتصادية المتوحشة على مختلف الأنشطة الاقتصادية العالميَّة، وتسعى للسيطرة على المزيد من مواقع الثروات «احتلال العراق نموذجاً» مع تجاهل القِيم الأخلاقية والقوانين الدّولية، وهذا يؤدي إلى ازدياد الأغنياء غنًى والفقراء فقراً، الأمر الذي يوسِّع دوائر المعاناة الإنسانية من الجوع.

وهكذا يُرخِي الاستغلال الغربي لمقدرات الإنسان العربي وثرواته بظلاله السوداء كعائق أمام الحِوار والتفاهم، لأنَّ الشّعور بالظُّلم يُنَمِّي عَوامل عَدم الثقة والشّك والقَلق والكراهية.

****

---

١ - مجلة الجزيرة ملحق صحيفة الجزيرة «السعودية، السنة الرابعة، العدد ١٥٩، ٣/٧/ ٢٠٠٦م، ص١١.

الباب الثالث

آليات وتقنيات واستراتيجيات الحوار مع الغرب

الفصل الأول
سيكولوجيّة الحوار مع الغرب

يتطلبُ الحِوار مع الغَرب خَلق أرضية نفسيَّة مناسبة للحِوار تكون بمثابة مُقدِّمة طبيعيَّة توفرُ الشروط الموضوعيَّة الكافية لكي يحقق الحِوار المنشود كافة أهدافه.

وتنطوي سيكولوجيَّة الحِوار معَ الغَرب على فَهم أنَماط شخصيَّة الإنسان الغَربي الذي نُحاوره، بما في ذلك أنَماط شَخصيته في حياته اليومية، وثقافته.

إنَّ حِوار العرب مع الغرب لا يمكن أن يحقق نتائجه المرجوّة منه إلا إذا استوفى عناصره الموضوعية كافة، وفي مقدّمتها عناصره السيكولوجيَّة التي توفرُ الأجواء المثالية الضَّرورية لبدءِ الحِوار واستمراره وتحقيق أهدافه المنشودة.

إنَّ المطلوبَ منَّا كعرب فهم سيكولوجيَّة الإنسان الغَربي وعناصر ثقافته وحساسيَّة آدابه لكي نتخطَّى الحَواجز النَّفسيَّة والمعنويَّة، وهي من أشد الحواجز التي تقف عَقبة في طريق الحِوار.

إنَّ فهم سيكولوجيَّة الإنسان الغربي تُمَكننا من مُحاوَرته باللغة التي يَفهمها، وعندَ ذلكَ يكونُ الحِوار معه أجدى وأنفع.

أولاً - علم النَّفس والحِوار

إنَّ الحِوار الرشيد مع الغَرب يستلزم معرفة بأساسيَّات علم النَّفس العام، ولا سيما علم نفس الشَّخصيَّة، ونظرية الدَّوافع وأنماط الشَّخصيَّة، وذلك لاختلاف الشَّخصيَّات المشاركة في الحِوار، فالحِوار مع الشَّخصيَّة المنفتحة يختلف عن الحِوار معَ الشَّخصيَّة الأُحادية الإقصائية، والحِوار مع الشَّخصيَّة الدِّيمقراطيَّة يختلف عن الحِوار مع الشَّخصية

الاستبدادية، والحوار مع الشَّخصيَّة الاجتماعية يختلف عن الحوار مع الشَّخصية الانطوائية ... وهكذا فالمعرفة الصَّحيحة بالطَّبيعة النَّفسيَّة للذات والطَّبيعة النَّفسيَّة للآخر الغَربي تثمرُ حواراً هادفاً وناجحاً، فقد لا تكون المشكلة في الحِوار نفسه، بل قد تكون في الطَّبيعة النَّفسيَّة لأحد أطراف الحِوار أو كليهما معاً.

ثانياً - أنماط الإنسان الغَربي في حَياته اليوميَّة

لا بدَّ من التَعرُّف على الإنسان الغَربي في حياته اليوميَّة المعتادة لكي تتسنى مُحاورته على نحو أفضل.

وقد قدَّم الباحث الإعلامي الفَلسطيني عقيل هاشم صورة سيكولوجيَّة واقعيَّة للإنسان الغربي في كتابه «تخطيط الإعلام الغربي»[1]، حيثُ قسَّم أنماط شخصيَّة الإنسان الغَربي على النحو التالي:

١ - **المثقف الواعي**: عادي وأنيس ومتواضع ويحبُّ النظام والتقيّد بالمواعيد والوعود، لا يهتم بالمجاملة ويتقبل النَّقد بروح سمحة.

٢ - **نصف المثقف**: هادئ متصلِّب برأيه وعنيد، مُنصت للخطابة، إذا دخل اثنان منهم في حِوار يطولُ الحِوار ويمتدُّ طويلاً، وإذا انتهى، قليلاً ما ينتهي بانتصار أحدهما على الآخر، وكثيراً ما تحلُ النِّهاية بسبب التعب والإرهاق. كل ذلك نتيجة الإحساس بنقص المعرفة وضرورة التغطية على هذا النقص بالجدل الطويل.

الإنسان الغَربي - وفقَ هذا النَّمط - انعزالي ومنطوٍ على نفسه ومنصرف إلى شؤون حياته المادية، على ضوء هذا كان ضَحلاً في معرفةِ الشؤون الدولية، يعرفُ عن نفسه هذا العيب ويتستر عليه بكثرة الكلام، ولكنَّه مستعد للاستسلام آخر الأمر.

على ضَوءِ هذا لا بدَّ من التحلي بالصَّبر أثناء حِواره ومناقشته واستعمال نفس أسلوبه الهادئ مع إفساح الفرصة له ليتكلم على هواه. فالحِدَّة في المناقشة تصرفه عن الحِوار تماماً.

---

١ - هاشم، عقيل: تخطيط الإعلام الغربي، ص١٤١ - ١٤٢ .

٣ - **الإنسان العادي**: بريء وطيِّب وقانع بكل شيء ويأخذ الأمور من حوله على علاتها. متمسك بالتقاليد، يعشق الرياضة ويحبُّ الضحك، واثق بأن أسلوب حياته أفضل مما توافر للشعوب الأخرى، لذلك يسهل التأثير عليه في أي اتجاه، فهو إذاً يُصَدِّق قَولَ صُحفه الكبرى وأجهزة إعلامه، وهو لا يتردد في دعم المنكوبين وما أسرع ما يتجاوب مع المظلومين بالتبرع بدمه وماله، فهو يترك إصدار الحكم على هذه الأمور لحكومته وصحفه ولا يقرر شيئاً آخر إلا إذا سمع أصواتاً مدوّية تدله على خطأ اختيار حكوماته وصحفه الكبيرة، إنّه إنسان إيجابي إذا اطَّلع على حقائق ما يجري في العالم.

ثالثاً - الأنماط الثقافيَّة للإنسان الغربي الذي نُحاوره

مما لا شكَ فيه أننا في حِوارنا المتواصل مع الغَرب الذي نريد له أن يكون ناجحاً ومثمراً يجب أن نفهم السِّمات النَّفسيَّة والانفعاليّة والاجتماعيّة والخصائص الثقافية والدِّينية والسياسيّة للإنسان الغربي وفقَ الأنماط الشَّخصيَّة السابقة.

١ - **مُحاوَرة المثقف الواعي**: إنَّ على المحاور العَربي لهذا النَّمط أن يكون على درجة عالية من الثقافة والمعرفة في مختلف المجالات، ولا سيما في المجالات السياسيّة والحزبيّة والتاريخيّة، إذ عليه أن يحدّد منذ اللقاء الأول الاتجاهات السياسية والفكريّة والدِّينية لمحاوره، وينطلق في تفاعله معه من خلال هذه المعطيات التي تدفعُ بالحِوار قُدماً إلى الأمام.

ومن المفيد، أن يستخدم المحاور بعض المقولات الفكريّة والفلسفيّة لبعض أعلام الغرب من رجال الفكر والسَّاسة، فضلاً عن بعض المقاطع الشِّعرية الغربية.

باختصار شديد يجب أن يُظهر المحاور فَهماً كاملاً بالثقافة الغربية القديمة والحديثة.

٢ - **مُحاورة نصف المثقف**: يجبُ على المحاور العربي لهذه الفئة أن يدرك أن ثقافتها ضحلة لأنها نتاج الصحف والمجلات والتلفزيون ومنشورات الأحزاب السياسيّة، وعليه؛ يجب أن يحاورها متسلِّحاً بقيم الدِّيمقراطية والعدالة والمناداة بالنهوض الاقتصادي والتنموي، والإشادة بمنجزات الحضارة

الغربية الصناعية والتقنية، فضلاً عن التحدث عن المصالح المتبادلة والمشتركات الحضارية، والإشارة إلى دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الغربية، والاستشهاد بآراء علماء الغَرب الذين تحدثوا عن هذا الدور الفاعل الذي قام به علماء العرب في تقدم وتطور الحضارة الإنسانية.

٣ - **محاورة الإنسان العادي:** يجبُ على المحاور العَربي أن يعرفَ طبيعة الإنسان الغربي العادي الذي يمثل الجماهير الغفيرة الخالية من كل عوامل الثقافة والمعرفة، فالإنسان الغربي العادي محروم من كل فرص التثقيف والتوعية بسبب التركيز المفرط على الحاجات الماديّة والرغبات الحسيّة وسائر أنواع الملذات.

إنَّ الحِوار سيكون أكثر فاعلية معَ هذا النَّمط من خلال تفعيل دور الشباب والأطفال، والفِرق الرياضيّة والفنيّة والمسرحيّة والغنائيّة والاستعراضيّة والفولكلوريّة، ومنح دور أكبر للأفلام السينمائيّة الجادة والمدروسة وإعداد البرامج التلفزيونية التي تخرج من قوقعة الأستديو إلى فضاء الشّارع لتقديم برامج جماهيريّة تكرِّسُ ثقافةَ الحِوار بشكل معبّر ومبسط.

لقد ساهمت الصهيونية العالمية - عَبرَ منظومتها الإعلامية والثقافية وسيطرتها على معظم دور النشر الغَربيّة - بحرمان الإنسان الغربي العادي من فرص التعرُّف على منجزات الحضَارة العربيَّة في القرون الوسطى، ومنجزات العَرب الراهنة في ميادين تحويل الصَّحراء في الجزيرة العربية والإمارات وعُمان إلى جنان خضراء، فضلاً عن إنجازاتهم العظيمة في مجالات الآداب والفنون والعلوم والطبّ والرياضة والعمران.

لقد ساهمت الصهيونية العالمية - تحقيقاً لمصالحها - بخمول فكر الإنسان الغربي العادي بالكتب المسطّحة والبرامج الترويحيّة الفارغة، وهذا يضع العبء على عاتقنا كي نوصل صوتنا وصورتنا الحقيقيّة إلى هذا الإنسان ونُحاوره بالتي هي أحسن وليكن سلاحنا الفعَّال في ذلك: حُسن النيّة وسلامة المقصد، والكلمة الهادفة، والكتاب المفيد، والفيلم الهادف، والأغنية المعبِّرة، والرسوم الجميلة.

رابعاً - الأنماط النَّفسيَّة للإنسان الغربي من حيث اتجاهاته من العرب

الإنسان الغَربي الذي نريد مُحاوَرته هو إنسان متباين السِّمات النَّفسيّة، و الثقافات، واللغات، والاهتمامات، وموقفه من العَرب وحضاراتهم وثقافاتهم يتميَّزُ بالتنوع وفق الأنماط الثلاثة التالية:

١ - **النَّمَط العَدائي**: يحمل صُوراً نمطيّة مغلوطة عن العرب وشخصيتهم وثقافتهم، تكرِّسه وسائل إعلام غربية عدائية تجعل من هذه الصُّورة كريهة لإنسان إرهابي بدوي جَلف مُخادع كاذب شهواني[1].

٢ - **النمط المتعاطف**: يكنُّ للثقافة العربية والإسلامية تقديراً لاعتبارات متعددة، منها إطلاعهم على تسامح الحضارة العربية الإسلامية، وتعاطفهم مع القضايا العربية العادلة في فلسطين والعراق، فضلاً عن كون معظم هؤلاء من أوساط المثقفين واليساريين وذوي النزعات الإنسانية كأحزاب الخضر وأعضاء منظمات حقوق الإنسان في المجتمعات الغربية.

٣ - **النَّمَط المحايد**: ليس لديه موقف محدَّد من العَرب ومن قضاياهم: إنَّ التنوعَ في أنماط الإنسان الغَربي يفرضُ على المحاور العربي أن يكون على دراية كاملة بالسِّمات النفسيّة والثقافيّة لهذه الأنماط، وأن يحاور الجميع على نفس القَدر من الأهمية والحماس، لكي لا يخسر الرأي العام المتعاطف بإهماله له اعتماداً على تعاطفه، وينصرف إلى محاورة الأنماط العدائيَّة والمحايدة، فيكون بذلك فرَّطَ بالمحافظة على الأصدقاء بإهمالهم ولم يكسب الأعداء أيضاً.

خامساً - صورة الغربي في الذِّهن العربي

يؤكد الباحث الدّكتور أديب خضور أستاذ الصحافة بجامعة دمشق على «عدم وجود صورة واحدة، ناجزة ومكتملة، عن الأوروبي في ذِهن العربي والمسلم، وذلك بالرغم من وجود بعض الانطباعات والأفكار السائدة والمنتشرة، ولذلكَ تتعدد صور الأوروبي

---

١ أبو إصبع، د. صالح خليل: مؤتمر الإعلام العرب: رؤية شاملة، ص٩٢ .

في الذِّهن العَربي وفي الإعلام العربي وتتنوع وفقاً لاعتبارات متعدِّدة أبرزها: من هو الأوروبي، وما نوع الخبرة التاريخية معه في كل بلد عربي»[1].

وَيُحَدِّدُ الباحِثونَ في مَجال الدِّراسات الإعلامية أهم مُحَددات الصُورة التي يرسمها الإعلام في كل بلد عربي عن الغرب على النحو التالي[2]:

١ - تجربة الاحتلال الأوروبي في كل بلد.

٢ - مدى اتضاح الفروق بين مثالب الحكم الاستعماري وبين المجتمعات الأوروبية نفسها.

٣ - زادَ من التباس صورة الأوروبي في الإعلام العربي التمييز بينه وبين السياسة الاستعمارية للدول الأوروبية ونمط التقدّم الأوروبي الذي أصبح رمزاً للنهضة.

٤ - اختلطت في الإعلام العربي صورة أوروبا الاستعمارية بصورة أوروبا الثقافة والحضارة التي يسعى العالم العربي للاقتداء.

٥ - موقف أوروبا من حركة التحرّر الوطني والقومي بعد الاستقلال.

٦ - الموقف الأوروبي من المشروع الصهيوني ومن «إسرائيل» فيما بعد.

وفي وقتنا الراهن تأثرت صورة الغَرب بالعوامل التالية:

١ - الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق.

٢ - محاضرة بابا الفاتيكان في ٢٠٠٦م المسيئة للإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

٣ - الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم في صحيفة «يولاندز بوستن» الدانماركية في فبراير ٢٠٠٦م، والتي ظهرت في ١٥ صحيفة دانماركية في شهر فبراير ٢٠٠٨م

---

١ - خضور، د. أديب: صورة العرب في الإعلام الغربي، ص٥٣ .

٢ - هلال، د. علي: صورة الأوروبي، من كتاب الإعلام العربي الأوروبي، ص٩٨ .

٤ – تدنيس القرآن الكريم في معتقل غوانتانامو الأمريكي.

٥ – تصريح جورج بوش في بداية الحرب على أفغانستان بأن هذه الحرب صليبيّة.

٦ – منع ارتداء الحجاب في فرنسا.

٧ – تنامي ظاهرة العَداء والكراهية للمهاجرين العرب والمسلمين في الغرب.

٨ – اعتبار حركات المقاومة للمشروع الصهيوني حركات إرهابية.

وهكذا لم تكد صُورة الإنسان الأوروبي تتحسن في الذِّهن العَربي في العقد الثامن من القرن العشرين بفعل تنامي العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية، حتى أخذت بالتدهور تدريجياً بفعل العوامل الآنفة الذكر.

سادساً - خوف ونفور عربي من الغرب

عَمِلَت العَوامل التاريخيّة الآنفة الذِّكر على استفحال ظاهرة الخوف و النُّفور من الغرب، وساهمَ ذلك بظهور الحركات الكارهة للغَرب، المنادية بمقاومته في شتى المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة وسواها.

وقد ارتبطت نزعة الخوف والنفور من الغَرب بالانكفاء على الذّات والاحتماء بالهويّة التقليديّة.

ويبيِنُ المفكر الراحل الدّكتور عبدالله عبدالدائم أسباب هذه المشكلة بقوله: «مسؤولية تخلف الأمة العربية لا تقع على عَاتق الغَرب وحده، وعلى ما أشاعه من ردود فعل على هجماته الثقافية والفكرية على الأمة العربية، فالثقافة العربية نفسها، بمقومات الذّاتية وبما أصابها من عُقم ومن انحراف على يد الأعاجم بوجه خاص، وما تعرضت له من أجواء سياسية أفسدتها، وما أصابها من شِقاق ديني وسياسي وعنصري، تتحملُ قِسطاً كبيراً من مسؤولية التخلف هذه، غير أنه يظل من الصَّحيح أن الغرب المتقدّم منذ عصر النهضة وعصر التنوير، هو صاحب القدح المعلّى في توليد ردود الفعل التي أربكت

الموقف العربي تجاه التقدّم نحو الحضارة الحديثة، والتي ولّدت ازدواجية في الفكر والعمل لا يزال من الصعب التغلب عليها حتى يومنا هذا»[١].

ويُحَلِلُ بول كيندي في كتابه «الاستعداد للقرن الحادي والعشرين» أسباب النفور العربي من الغرب كما يلي: «لعلَّ الغَرب، الذي أبحرَ على جانب السَّواحل العَربية، وساعد الخطر المغولي، واخترق نقاطاً استراتيجية لسكك الحديد والقنوات والموانئ، وتحرك بثبات إلى شمال أفريقيا ووادي النيل والخليج والهلال الخصيب ثم الجزيرة العربية نفسها، والذي قسَّم الشَّرق الأوسط على أساس حدود غير طبيعية كجزء من صفقات مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وحلول الولايات المتحدة الأمريكية محل أوروبا في المنطقة، وزرع إسرائيل في وسط الشعوب العربية، وإثارة انقلابات عسكرية ضد القادة الشَّعبيين، والإعلان المستمر أن هذه المنطقة مهمة للغَرب بسبب نفطها فإذا كان معظم الغضب حِيال الغرب الذي نجده لدى العالم الإسلامي، وموقف المواجهة الذي يقفه من النظام الدّولي، عائداً إلى خوف قديم من ابتلاعه من قبل الغرب، فإنَّ أي نوع من التغيير لن يكون متوقعاً إلاّ إذا زال ذلك الخوف»[٢].

ولعلَّ في هذا التحليل الردّ العَمَلي على مقولة لماذا يكرهوننا التي أطلقها السَّاسة في الولايات المتحدة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

ويعدِّد المفكر الدّكتور «عبدالله عبدالدائم» العوامل الكامنة خلف التصور السَّلبي للغرب عند العرب كما يلي[٣]:

١ – شعور العرب بأنهم كانوا أصحاب حضارة قضى عليها الغرب وانتزعها منهم.

٢ – الصُّورة الشوهاء التي يصوِّر بها الفكر الغربي الثقافة العربية الإسلامية.

---

١ – عبدالدائم، د. عبدالله: العرب والعالم وحوار الحضارات، ص٤١ .

٢ – المرجع السابق، ص٤٢ .

٣ المرجع السابق، ص٤٣ ٤٦ باختصار.

٣ – خوف الغرب من العرب.

٤ – فقدان الثقة بالنَّفس .. إلخ.

نَخلص من هذا كلّه إلى نتيجةٍ هامة مؤدُّاها أنَّ الحِوار والتفاعل الثقافي الذي لا يُسطِّح ثقافتنا، والتفاعل الفاعل مع الثقافات العالمية المختلفة، ومنها الثقافة الغربية، هو السَّبيل الحَضاري الراقي لتصحيح صورة الغرب في ذِهن العَرب.

سابعاً - أمور غير مفهومة عن الغرب في ذهن الإنسان العربي

تلعب مجموعة من الأمور غير المفهومة عن الغرب لدى الإنسان العربي دوراً هاماً في تشكيل وبلورة صورة غائمة غير واضحة عن الغَرب. ومن هذه الأمور غير المفهومة تماماً عن الغرب عند العرب:

١ – **الحرية**: العَربي لا يرفض فكرة الحريّة كحاجة إنسانية عَظيمة لكافة البشر، ولكنه يتحفَّظُ على المفهوم الغربي للحريّة الذي ينطوي على مظاهر سلبيّة كثيرة كالشذوذ الجنسي وزواج المثليين والإباحية وتعاطي المخدرات وسواها.

٢ – **الدِّيمقراطية**: العَربي ما زال يترددُ في قبول النظام الدِّيمقراطي، ولا سيما الديمقراطية وفق النموذج الأمريكي.

٣ – **المؤسّسة**: العَربي لا يفهم أهمية دور المؤسسات في الحياة الغربية، لأنه ما زال يعتمد في كافة قضاياه السياسيّة والاجتماعيّة على الأفراد.

٤ – **حقوق الإنسان**: يقول الدكتور مصطفى تسيريتش رئيس العلماء والمفتي العام في دولة البوسنة والهرسك: «الغَرب يستخدم دعوى الدِّفاع عن حقوق الإنسان ذريعة للتدخل المباشر في شؤون العرب والمسلمين سياسيّاً وعسكريّاً، ولكن هذه الحقيقة المرّة عن تعامل الغرب مع العرب باسم الدفاع عن حقوق الإنسان لا تعفي العرب والمسلمين من مسؤوليتهم عن تلاعبهم بحقوق الإنسان، بل

يجب عليهم أن يبادروا برعاية حقوق الإنسان، لا ليرضوا الغرب، بل ليطبقوا ما أمر الله تعالى من احترام لحقوق الإنسان»[1].

٥ - **السِّياسة:** إنَّ السِّياسَة التي تقومُ على مَبدأ التفوق والقوة، يمكنها أن تهدد حقوق الآخرين من أبناء الدّول العربية والإسلامية الأضعف تفوقاً وقوة.

وهذا ما يعبرُ عن الواقع الرَّاهن للسِّياسة الغَربية التي تعمل على تحقيق مصالحها دون الالتفات إلى معاناة المستضعف.

ثامناً - أمور غير مفهومة عن العرب والإسلام في ذهن الإنسان الغربي

يجبُ أن نسلِّمَ بحقيقة أنَّ الغَربَ يجهلُ الكثير عنّا، وفي أفضل الأحوال فإنَّه لا يفهم الكثير عن عقائدنا الدِّينية ومنجزاتنا الحَضارية، وَقِيمنا الروحية، وقضايانا السِّياسيّة.

ومن هذه الأمور غير المفهومة عن العرب في الغرب على سبيل المثال لا الحصر:

١ - العَقائد الدِّينية:

- **القرآن الكريم:** الناس في الغَرب لا يريدون أو لا يستطيعون أن يفهموا أن القُرآن الكريم عند المسلمين كافة هو الكلام المنَزَّل من عندالله غير قابل للتغيير والتبديل.
- **الشريعة:** الغرب لا يدرك أن الشَّريعة الإسلامية للمسلمين هي التشريع الدِّيني والدّنيوي في الوقت نفسه.
- **محمَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم:** الغَرب المسيحي واليهود فيه كما يشهد ستيفان شوارتز لا يقبلون مُحَمَّداً على أنَّه رسول أرسله الله بدين، وهم لا يُظهرون حتى ولو قَدراً يسيراً من الاحترام تجاهه، بل على العكس من ذلك، فإنَّ الرَّسول العربي الكريم يعامل بالسُّخرية والازدراء.

---

١ - تسير تيش، د. مصطفى: مستقبل الحوار بين الحضارات والثقافات، موقع رابطة العالم الإسلامي .

- **الجهاد**: إنَّ الغَرب يفهمُ من كلمة الجِهاد شيئاً واحداً فقط: العنف والإرهاب والحرب ضد الغرب ومؤسساته السياسية والاقتصادية. وعَبَثاً يحاول بعض المسلمين أن يُبَيِّنوا للغَربيين أنَّ لكلمة الجهاد معاني نبيلة لتربية النَّفس الإنسانية والدِّفاع عن الأوطان.
- **وضع المرأة**: الغَرب لا يفهم أنَّ المرأة عند المسلمين حرمٌ بمعنى أن لها ذاتها وشخصيتها الإنسانيتين، ولا يفهم أنَّ الإسلام كرّمها كَما لَم تكرم أي امرأة في الدِّيانات الأخرى[1].

٢ - **المنجزات الحضارية والثقافية**: الغَرب يتجاهلُ كل الإسهامات الحضاريّة والثقافيّة في العلوم المختلفة التي قَدّمها العرب له، بل ينسب معظم تلك الإنجازات له.

٣ - **القضايا السِّياسية**: «وَرَدَ تبيانُ ذلك في الصَّفحات السَّابقة وسيرد توضيح المزيد في سياقات هذا الباب».

****

١ تسير تيش، د. مصطفى: مستقبل الحوار بين الحضارات والثقافات، موقع رابطة العالم الإسلامي .

الفصل الثاني
آليَّات وتقَنيَات واستراتيجيَّات
الحوار الثقافي مع الغرب

نسعى من هذا الفصل لتقديم آليَّات وتقنيَّات واستراتيجيَّات وأساليب حِواريّة جديدة تكون بمثابة إجراءات وتَوصيات عمليّة مستقبليّة لتفعيل وتطوير الحِوار الثقافي مع الغَرب.

أولاً - ضرورة تَحالف الثقافة والإعلام

عَزَّزَ عصر المعلومات وتطور وسائل الاتصال من تداخل وسائل الثقافة بوسائل الإعلام، حيث امتزجت المادة الثقافية امتزاجاً شديداً بالمادة الإعلامية، واختلط فيه دور الإعلام بدور الثقافة، وبدأت الفوارق بينهما، تبعاً لهذا التمازج بالتقلص أو التداخل، بالتقلص والذوبان، إلى حدّ أصبح من العسير فيه، التفريق بين الوسائل الإعلامية والوسائل الثقافية، أو بين المادة الإعلامية، والمادة الثقافية، أو بين ما هو ثقافي وما هو إعلامي.

«لقد أدّى انفجار المعلومات وتدفقها عبر وسائل الإعلام الحديثة واعتماد الثقافة في انتشارها، على هذه الوسائل، إلى تمتين العلاقة بين الثقافة والإعلام وإلى تزايد التداخل أو التمازج، بين المادة الثقافية والمادة الإعلامية، وإن كان هذا التمازج ليس جديداً، وليس وليد هذا العصر، أو وليد ثورة الإعلام التي وظفت المادة الثقافية عبر قنواتها المتعددة وجعلت منها المادة الأساسية التي تغذّي هذه القنوات»[1].

---

١ سليمان، علي: الثقافة والإعلام: نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف، ص٧ .

إننا نوجِّه دعوة لتحالفِ المؤسسات الثقافية، ووسائل الإعلام في الوطن العربي من أجل تفعيل آليّات وأساليب حِوارنا الذي يجب أن يكون مستمراً ومتواصلاً مع الغرب.

إنَّ العلاقة بين الثقافة والإعلام علاقة تكاملية ومترابطة، لأننا لا يمكن أن نُقْنِعَ الإنسان الغربي بقِيمنا الثقافية والدِّينية والإنسانيّة، أو بعدالة القضية الفلسطينية – على سبيل المثال – ببرنامج تلفزيوني مدته ساعة، بل يمكن لهذا البرنامج أن يكون مقدّمة تمهيدية لإحْداثِ توجّهٍ إيجابي لدى الإنسان الغربي، وهنا يأتي دور الثقافة عبر الكتب والمجلات والأفلام السينمائية والوثائقية واللوحات الفنيّة وسواها.

وعلى هذا النحو التكاملي يُمكننا أن نُحاور الآخر عن قيمِ ثقافتنا الإنسانيّة، أو عن عدالة قضايانا، ليس ذلك فقط بل أن يُحْدِثَ في ذِهنه التغيير المنشود، وبذلك يحققُ الحِوار أهدافَه المُثْلى في التعارف والتفاهم.

ثانياً - دَور المشْتَرَكات الثقافيّة

تلعبُ المشتركات الثقافيّة بين الشّعوب دَوراً هاماً في التواصل الحَضاري وتفعيل آليَّات الحِوار وتطوير وسائله وأساليبه.

ويوصي البحث بتفعيل المشْتَرَكات الثقافيّة والأدبيّة بين الأدبين العربي والغربي، من خلال ميادين الحِوار المختلفة، ومنها المؤسسات الثقافية عبر نشاطاتها العديدة: (مؤتمرات – ندوات – ترجمة – محاضرات .. إلخ).

ومن أبرز القضايا الثقافية المشتركة بين الثقافة العربيّة والثقافة الغربيّة:

١ – تأثر الأدَب الغربي بحكاية ألف ليلة وليلة ولا سيما الأديب الألماني فلهالم هاوف.

٢ – تأثر أغاني التروبادور بالموشحات الأندلسيّة.

٣ – تناول الأدب الإسباني لموضوعات عربية في القرون التي تلت سقوط غرناطة حتى القرن التاسع عشر.

٤ – الأثر الأدبي الغَربي ممثَّلاً بمجموعة من الشُّعراء منهم: ت. س. إيليوت وأرثر رامبو وشارل بودلير ولامارتين وفرلين وغوته وأندريه جيد وسان جون بيرس

وبول فاليري ولوتريامون وايف بونفوا وسواهم على رواد قصيدتي التفعيلة والنثر على حدٍّ سواء، كبدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، بالنسبة لقصيدة التفعيلة، ومحمَّد الماغوط وأدونيس، ويوسف الخال، ومحمود السيد، بالنسبة لقصيدة النثر.

٥ – القضايا الأدبية المقارنية المشتركة بين عطيل شكسبير وديك الجنّ الحمصي.

٦ – صور كثيرة من التشابه بين الحكايات الشَّعبيّة العربية والحكايات الشَّعبيّة اليونانيّة.

٧ – تأثير دانتي في الأسطورة العربية.

٨ – أثر الأدب الفرنسي على الآداب العربية المغاربية وبخاصة الأدب الجزائري الحديث.

٩ – الدِّراسات الغربية المتعددة للأدب العربي.

١٠ – أثر مقامات الحريري في شعر الشَّاعر الألماني فريدريك ريكرت (١٧٨٨ – ١٨٦٦).

١١ – أثر القرآن الكريم و السِّيرة النَّبويّة في شعر بوشكين.

١٢ – أثر فلسفة ابن رشد على الفلسفة الغربية.

١٣ – أثر قصة حي بن يقظان لابن طفيل على الآداب الغربية.

لقد تمت عمليّة الإخصاب بين الفكر العربي والفكر الغربي عبر مراحل التاريخ المختلفة، حيث كان التبادل الثقافي مستمراً بلا انقطاع، وما أخذته أوروبا عن العرب، في كافة العلوم والصناعات، والفلسفة، والأدَب كان له الدور الأهم في النَّهضة الغربية المعاصرة.

لقد دفعت فلسفةُ ابن رشد – على سبيل المثال لا الحصر – الغرب إلى اعتبار التجربة مصدراً للمعرفة.

إنَّ المشتَرَكَ الحضاري والثقافي بين العرب والغرب أكبر وأعظم من عوامل الافتراق والاختلاف.

لقد زحفَ أبناء العرب إلى الغَرب للتعلّم في جامعاته، كما زحفَ الغرب إلى بلاد العرب من خلال الاستشراق، فكان التمازج والتلاقي والتلاقح.

إنّ التعايش والتفاعل والتواصل بين العرب والغرب، وفي المجالات كافة، ليسَ ضرباً من ضروب الخيال، بل هو حقيقة تاريخيّة وجغرافيّة راسخة منذ أقدم العصور.

ثالثاً - دَور الأدَب المقارَن

يلعبُ الأدَب المقارن دَوراً بالغ الأهمية في تعارف الثقافات وتواصلها وتفاعلها، من خلال دوره المحوري كعنصرِ جمعٍ والتقاءٍ ودرسٍ وتحليلٍ وترجمةٍ للآدابِ المختلفة.

إنَّ ما يمكن أن يقوم به الأدب المقارن (تأليفاً ودَرْسَاً وترجمة)، وعَبْرَ عَقْدِ المؤتمرات الدّوليّة لهذا الغرض يفوق الوصفَ في حِوارِ الثقافات بينَ أبناءِ الحضاراتِ المختلفةِ، وخاصة بين أبناءِ الثقافتين العربيّة والغربيّة، ومن أجل هذه الغايات الجليلة تَنادى العرب لعقدِ مؤتمرهم المقارني الأول في الفترة الواقعة بين ١٤ - ١٩/٥/١٩٨٣[1] في رحاب جامعة عنابة بالجزائر، وقد حضرَ المؤتمر باحثون مختصون من جامعات عربية عدة وكذلك من جامعاتِ فرنسا وبريطانيا وإسبانيا.

ثم تتالتْ بعدَ ذلك المؤتمراتُ العربيةُ المقارنيّةُ التي عَكَسَتْ أهميّة الأدبِ المقارن وضرورته في تفعيل حِوار العرب الثقافي مع العالم بأسْرِهِ وفي مُقَدَّمَتِهِ العالم الغربي.

ومن خلال البحوث التي طُرِحَتْ في هذه المؤتمرات والنِّقاشاتِ التي دارتْ، فضلاً عن مشاركة الباحثين العرب في كافة الندوات الدّوليّة للأدَب المقارن، خَطا الحِوار الثقافي العربي مع الغرب خطواتٍ هامة لا سبيل للتقليل من قيمتها، رغم وجود الكثير من الآمال والطموحات التي ما زالت تنتظرُ ولادتها من رحم هذا المشروع الثقافي الحِواري الهام.

ومن هذه الآمال والطموحات على سبيل المثال لا الحصر:

١ - تفعيل عَمل الرابطة العربيّة للأدَب المقارن في المجالات التالية:

---

١ - مجلة المعرفة (السورية)، العدد ٢٥٧، يوليو ١٩٨٣م، ص١٦٠ .

- عقد المزيد من المؤتمرات والندوات بشكل دوري مرة في دولة عربيّة ومرة أخرى في دولة غربيّة. فعند عقد هذا المؤتمر في إسبانيا يجب أن يكون محور المؤتمر على سبيل المثال: (التأثيرات الثقافية المتبادلة بين الثقافتين العربية والإسبانية ودورها في دعم وتعزيز الحِوار العربي – الغربي)، وعند عقد المؤتمر في اليونان يكون عنوانه على سبيل المثال: (القضايا المشتركة بين الحكايات الشّعبيّة العربيّة واليونانيّة) لتسليط الضوء على القَضايا الثقافية المشتركة بين الثقافتين العربية والغربية.

- تأسيس مجلة بحث تابعة للرابطة تصدر باللغات العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة والألمانيّة والإسبانيّة.

- إنشاء مركز عربي للأدَب المقارن تابع للرابطة العربيّة للأدَب المقارن في إحدى الدّول الغربيّة لغرض الوقوف على المشتركات الأدبية والثقافية بين الثقافتين العربية والغربية.

- إطلاق جائزة عربية عالمية لـلأدَب المقارن بشكل سنوي أو كل ثلاث سنوات، ويمكن أن يكون من مواضيعها المفترضة: دراسة مقارنة في عطيل شكسبير وديك الجنّ الحمصي، أو أثر الموشّحات الأندلسيّة على أغاني التروبادور ... إلخ.

- تأسيس دار نشر عربيّة عالميّة لتشجيع نشر الأعمال المهمة في مجال الأدَب المقارن لخدمة قضايا الحِوار الثقافي مع الغرب.

- تفعيل دور الترجمة وتشجيعها لنشر الأبحاث الهامة في الأدَب المقارن، فضلاً عن الأعمال الأدبيّة الخالدة التي تحمل بصمات ثقافية مشتركة بين الثقافتين العربيّة والغربيّة.

- تفعيل الحضور العربي في كافة مؤتمرات الرابطة الدّولية للأدب المقارن والمؤتمرات الدّوليّة الثقافيّة الأخرى.

٢ - ضرورة قيام الجامعات العربيّة بتشجيع دراسة الأدَب المقارن وتطوير دراساته من خلال:

- تشجيع تدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية.

- تسهيل التعاون بين الجامعات العربيّة من جهة والجامعات الغربيّة من جهة أخرى في حقل الدِّراسات المقارنيّة بين الأدبين العربي والغربي.
- تشجيع الرسائل الجامعية في هذا المجال.

٣ – تنفيذ المشروعات الثقافيّة العربيّة الغربيّة المشتركة في مجال الأدَب المقارن وتوظيفها في خدمة حِوار الثقافات كإعداد مسح ببليوغرافي للأعمال الأدبيّة العربيّة والغربيّة التي تحمل مُشتركات ثقافيّة، ووضع برنامج لِدَرْسِها وتحليلها وطبعها ونَشرها وترجمتها وتوزيعها على أوسع نطاق.

رابعاً - دَور الثَّقافات المتوسطيَة

«المثاقفة» لفظة تحمل بطبيعتها معاني التبادل بين الأفراد والمجموعات، وتتخذ معنى التفاعل بين الثقافات.

«إنَّ الحديث عن المثاقفات المتوسطيّة لا يهم البحر المتوسط كبحر فحسب، وإنّما يمسّ كل ما يتصل بمكوناته الطَّبيعيّة والدِّيمغرافيّة والجوانب الحيويّة الاقتصاديّة والسِّياسيّة. فيكون التلاقح والتواصل بين جماعاتٍ مختلفةِ الثقافات في كلٍّ حقول الحياة، بما فيها من مجالات ماديّة ومعنويّة وما وراءها من أبعاد حسّيّة وذِهنيّة.

وعلى أساس ذلك فإنَّ المثاقفة ترسم ذلك التبادل بين مكتسبات الشعوب التي تختزنها في تراثها المنقول والثابت وتساهم بها في بناء الحضارة الإنسانية بالمعنى الشامل.

والمتوسط مجال هذه التفاعلات، يمثل بدوره مادة ثريّة تسمحُ بتفجير عديد الأبعاد وبلورتها في أرقى نسب شحناتها المعرفيّة والعلميّة»[1].

ويمثلُ تاريخ حوض البحر المتوسط مجالاً خصباً لإثْراء الحِوار الثقافي بين العرب والغرب، كونه كان على الدَّوام خارطة طبيعيّة حيّة، وميداناً عمليّاً للتواصل والتثاقف والتحاور بين شعوبه.

إنَّ الحِوار الثقافي والإعلامي على ضفتي المتوسط والسَّاعي إلى البحث عن المشترك الإنساني والثقافي بين العرب والغربيين، يمكن أن يؤدي إلى تقليل الفجوة في

---

١ – الفهري، د. عبدالحميد: مثاقفات شعوب المتوسط (دورة شوقي ولامارتين)، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين، الكويت، ٢٠٠٨م، ص٣٧٧ .

المواقف السياسيّة وخصوصاً تلك التي تتعلق بالصِّراع العربي - الإسرائيلي وقضايا الأمن والاستقرار والهجرة والإرهاب.

ومن شأن دفع الحِوار الثقافي على ضفتي المتوسط أن يسهم في مزيد من تعرّف وفهم الغَربيين للمواقف والرغبات والحقوق العربيّة التي تَتماشى مع مبادئ القانون الدّولي عموماً والقانون الإنساني الدّولي خصوصاً[1].

إنَّ الحوار عبر ضفتي المتوسط يجب أن يتواصل عبر كافة الأصعدة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتكنولوجيّة والثقافيّة والشبابيّة والإعلاميّة.

كما يجبُ العَمل على إيجاد إطار مُؤَسَّسي لتخطيط الحِوار العربي - الغربي ضماناً لفاعليته وتواصله وديمومته ونجاحه، وصوناً لمكتسباته، وحفاظاً على منجزاته ونتائجه.

إنَّ الثَّراءَ الثقافي والمعرفي الذي يميِّز الثقافتين العربية والغربية، إلى جانب قبول الآخر والانفتاح عليه والقبول بالتعدد الثقافي، من شأنه أن يسهم بمناقشة كافة القضايا الآنفة الذكر، مناقشة موضوعيّة ذات رؤى فكريّة وثقافيّة مستقبليّة.

خامساً - الدَّور المزدوج للترجمة، تفعيل دور المركز العربي للترجمة،

لا يمكن لحِوارنا الثقافي والإعلامي أن يحققَ أدنى عناصر النَّجاح إلاّ بقيام نشاط عربي نوعي فاعل في ميادين الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الغربية وبالعكس، وذلك لما للترجمة من أهمية استثنائيّة فائقة في عمليّة التواصل الثقافي والحضاري بين الشعوب والأمم.

يرى الباحث أحمد خضر وهو من المهتمين بحقل الترجمة في الكويت «بأنَّ الترجمة تلعب دوراً أساسيّاً في المعرفة الإنسانيّة كأداة هامة للتواصل مع الثقافات الأخرى، وكناقل معرفي لمنجزات العصر المعرفيّة والثقافيّة والعلميّة والتكنولوجيّة»[2].

ولذلكَ يوصي البحث بضرورة الانتباه إلى أهميةِ الترجمة كجسرٍ بين الثقافات، وضرورة التعاون مع المراكز العربية للترجمة من أجل وضع خطة على المستوى العربي

---

١ - ثابت، أحمد: العرب بين الحوار الثقافي والانعزال، الدار الوطنية الجديدة، دمشق ٢٠٠٤م، ص٧٩ .

٢ - خضر، أحمد: الترجمة والثقافة العربية، مجلة العربي، الكويت العدد ٥٠٦، شوال ١٤٢١هـ / يناير ٢٠٠١م، ص١٤٧ .

للترجمة والعمل على تفعيل المركز العربي للترجمة بالجزائر من أجل وضع خطة على المستوى العربي لترجمة ثقافتنا ونقل المنجز الغربي إلى لغتنا العربية.

كما يجب تشجيع المترجمين وَدعمهم ماديًاً ومعنويًاً، وكذلك المؤسسات الثقافية، ودُور النَّشر المعنيّة بعملية الترجمة.

سادساً - توظيف مُعطَيات التجربة الحَضاريَة الأندلسيَة

طيلةَ أكثر من ثمانية قرون لعبتْ الأندلس دَوراً هاماً كَجسر للتواصل الحَضاري والحِوار الثقافي المتواصل بين الثقافة العربيّة الإسلاميّة والثقافة الغربيّة المسيحيّة.

«فقد تكونت هناك ثقافةُ تسامح وتلاقح وتعايش سلمي وحوار وتواصل وسلام، وتمّ تأسيس علاقات دينية متسامحة إلى أبعد الحدود»[1].

وهكذا يشترك الوطن العربي والعالم الغربي بثروة الثقافة الأندلسيّة التي ما زالت آثارها بادية للعيان.

لقد كانت الثقافة الأندلسيّة نتاج امتزاج حضاري راقٍ بين العرب وأبناء شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث أدّى هذا التفاعل والتداخل والتأثير المتبادل إلى تكوين أروع الثقافات المتآلفة.

لقد كان التنوع الثقافي في الأندلس مَصْدَرَ ثراء للثقافة الأندلسيّة، يؤكد على ذلك تطور العلوم الطبيّة والفلكيّة والآداب والشِّعر والفنون الغنائية والفنّ المعماري والفلسفة والترجمة والحِرَف الفنيّة.

إنَّ الكُتّاب ورجـال الإعـلام والأدبـاء مدعوون اليوم لكتابةِ المزيد من الأبحاث والتحقيقات الصُحفيّة والأعمال الإبداعية عن الثقافة الأندلسيّة، وترجمتها إلى اللغات الأوروبيّة ولا سيما الإسبانيّة والإنجليزيّة والفرنسيّة لإبرازِ قدرة التمازج الثقافي الذي حَدَثَ في شبه الجزيرة الأيبيرية طيلة ثمانية قرون على إنتاج الحضارة الأندلسية

---

١ - الجباري، نجيب محمد: الأندلس العربيّة، مجلة أحوال المعرفة، العدد ٥٢، الرياض، يوليو ٢٠٠٨م، ص١٩ .

العظيمة، لأنه كلّما اتسمتْ ثقافة ما بالتسامح الدِّيني وانفتحتْ على التبادل الثقافي معَ العناصر القوميّة والأديان الأُخرى كلما تمكّنت من استيعاب منجزات تلك العناصر والأديان وأشركتها في عمليّة بناء وتنمية الحضارة الإنسانيّة.

إنَّ توظيف معطيات الثقافة الأندلسيّة، ولا سيما في مجالات التسامح الدِّيني والحِوار معَ الغرب والتفاهم المشترك يجب أن نسترشد بها لربط الحاضر بالماضي في حِوارنا الثقافي والإعلامي مع الغَرب الذي ينبغي له أن يكون متواصلاً، إذْ كلما كان التآلف والتمازج والتكامل والتسامح والتفاهم على أشده، كلما كان المنجز الحضاري أكثر أهميّة وتأثيراً في تاريخ الحضارة الإنسانية.

لقد لعبَ أبناء الأندلس الذين تعرّبوا لغة وثقافة، دوراً هاماً في التواصل الحضاري بين الشَّرق والغرب حتى بعد سقوط غرناطة ١٤٩٢م، حيث كانوا يجوبون أنحاء أوروبا وقد تشبَّعوا بالثقافة العربيّة الإسلاميّة، فضلاً عن إتقانهم الكامل للغة العربية.

لقد تُرجمت، في العصر العربي الأندلسي، مئات الكتب العربية إلى الإسبانيّة وكان الأوروبيون يؤمُّون مدنَ الأندلس للدِّراسة، ثم ينقلون إلى أوروبا، ومنها إلى غيرها، ما تعلموه وترجموه، فكانَ أعمق حِوار حضاري نشأ على دعائم معرفيّة وثقافيّة.

لقد لعبتْ الأندلس دَوراً هاماً في الحِوار الحَضاري بين الشَّرق والغَرب، وكانت طوال ثمانمائة من الأعوام جسراً ثقافيّاً هاماً لتبادل الخير والمنفعة للجميع، كما كانت ميداناً للإثراء الحضاري عبر التأثّر والتأثير المتبادلين.

وانطلاقاً من الأهمية الفائقة لتوظيف عَطاءات الحَضارة العَربية الأندلسيّة في الحِوار مع الغَرب يوجّه البحث أنظار الأدباء والكُتّاب العرب والمؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية والجامعات ووسائل الإعلام إلى التوصيات الآتية:

١ - إبراز دور العرب الفاعل في الحضارة العالمية من خلال الثقافة التي شيّدوا أركانها في مختلف المجالات في الأندلس طوال ثمانية قرون.

٢ - دراسة كافة جوانب التفاعل الحضاري بين الحضارة العربية وسكان الأندلس بقومياتهم المختلفة وأثره المثمر في بناء حضارة عريقة قامت على مبادئ التسامح الدِّيني والحِوار مع الآخر والتفاهم، لاستخلاص العِبَرَ والدروس تمهيداً لبناء جسور الحِوار والتفاهم مع الغرب.

لقد قادت التجربة الأندلسيّة لثمانية قرون متواصلة الحِوار بين العـرب والغـرب، ولذلك لا بدَّ من الدِّراسة المعمّقة لهذه التجربة الحضارية الفَذّة، والاستفادة من كل معطياتها في حِوارنا الثقافي والإعلامي مع الغرب.

٣ - التركيز على المنجز الثقافي الأندلسي ودوره الكبير في النَّهضة الغربيَّة، والابتعاد عن تكرارٍ عبارات من قبيل «الأندلس المفقود» وسواها، كونها تثير حَفيظة الغرب وتؤثِّر على فاعليّة الحِوار.

٤ - العمل على لفت أنظار العالم إلى التجربة الحضارية الأندلسيّة العظيمة في جانبها العربي قبل سقوط غرناطة، وفي جانبها الإسباني بعد سقوطها، وبيان أنَّ العَلاقة بين الشّعوب إنمّا تقوم على الحِوار البنّاء والتفّاهم الرشيد والتعاون المتبادل والتسامح النبيل، لأنها السَّبيل لزيادة ثروة الحَضارة الإنسانية والارتقاء بحياة الإنسان وكرامته.

٥ - عقد المزيد من الندوات والمؤتمرات حول حِوار الثقافات في إسبانيا لمكانتها التاريخية بين الشَّرق والغرب، ويشيدُ البحث بعقد المؤتمر العالمي للحِوار في مدريد.

وهذا يدلُّ على الدُّور الكبير الذي يمكن أن تقوم به إسبانيا كجسرٍ للتواصل الحَضاري والحِوار الثقافي بين العرب والغرب.

٦ - يؤكد البحث على ضرورة إحياء المشتركات الثقافيَّة بين العرب والغرب من خلال إحياء جوانب متعددة من التراث الأندلسي في العَمارة والغِناء والطبّ الشّعبيّ، ومن ذلك عقد مهرجان لأغاني التروبادور والموشّحات الأندلسيّة على نحو عالمي، وتنفيذ مشاريع ثقافية مُشتركة لترميم الآثار الأندلسيّة، ونظرًا للأهميّة الفائقة للأندلس كجسر للتواصل الحضاري بين الشَّرق والغرب، فقد أقامت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري فيها مؤسسةً لحِوار الحَضارات في مدينة غرناطة لتفعيل هذا الدور.

سابعاً - دَور المفكرين والكُتَّاب العرب

إنَّ المفكرين والكتَّاب العرب مدعوون إلى كتابةِ المزيد من الأبحاث الأكاديميّة الرصينة حول مفهومِ حِوار الثقافات لأنَّ هذا الاصطلاح ما زال بحاجة إلى التأسيسات والتراكمات والبِناءات، الفكريّة والمعرفيّة والسوسيولوجيّة والتاريخيّة لكي تتبلّور مَفاهيمه بوضوح وتتحدّد هويته وماهيّته، وتتوضح عناصره وركائزه ليصل إلى درجة من الإحكام العلمي والاصطلاح تبرر له شرعيّة التداول والاستعمال على أوسع نطاق[1].

وبالتالي فالمفكرون العرب مدعوون لصياغة نظرية واضحة حولَ حِوار الثقافات والتركيز على تعارف الثقافات، لأنَّ المشكلة بين الثقافات لا تكمنُ في عَدمِ الحِوار، وإنما في عدم التعارف، والجهل بالآخر، وتجذّر الصُّور النَّمطية السَّلبيَّة عنه.

ويمكنُ للآداب المختلفة: (قصة – شعر – رواية -- أدب أطفال) والفنون بألوانها المتعدّدة: (سينما – مسرح – فنون تشكيلية) أن تساهمَ مساهمة فاعلة في الحِوار الثقافي والإعلامي مع الغَرب، لأنَّ الآداب والفنون هي من المشْتَركات الثقافية الكبرى بين الأمم والشُّعوب.

ثامناً - دور الشِّعر العربي الحديث

ساهَمَتْ النزعة الإنسانيّة في الأدَب العَربي الحديث في بلورة حضور الغرب في هذا الأدب بكل تجلياته الجماليّة والثقافيّة والمعرفيّة والإنسانيّة والسياسيّة.

إنَّ قوافي الشُّعراء العرب طِيلةَ القَرن الماضي ساهمت فـي رسم أجمل الصُّور للقاءِ الشّرق العربي بالغرب الأوروبي والأمريكي، فَشَكّلَت نَمَطاً حِواريّاً راقياً ونبيلاً خارج الأُطر التقليدية لحوار الثقافات.

يرى الباحث الدكتور غنيمي هلال «أن للصُّور الأدبيّة للشُّعوب – كما تنعكس في مرآة آدابها – تأثيراً عميقاً في علاقاتها بعضها بعضًا»[2].

---

١ - الميلاد، زكي: صحيفة الوطن «السعودية»، العدد ٢٩٨، السنة الأولى، الثلاثاء ٢٤ يوليو ٢٠٠١م.

٢ - هلال، د. محمد غنيمي: الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٣، ص٤١٠ .

لقد أقامَ الشّاعر العَربي، وبكل صدق وعفوية، جسوراً حضاريّة للحِوار معَ الغَرب، على أساس الأبعاد الثّقافيّة والمتوسطيّة والإنسانيّة، فتجاوزَ حواجز الاختلاف القومي والدِّيني، والثقافي إلى فضاءات التسامح والمحبة والتعارف، حيث رحابة الوحدة الإنسانية الكبرى.

يقول الشّاعر الكبير أحمد شوقي:

مـــا كـــان مُـخـتَـلِـفُ الأديـــانِ داعـيـةً
إلـــى اخـتـلافِ الـبَـرايـا أو تَـعـاديـهـا
الـكـتـبُ والـرسـلُ والأديـــانُ قـاطـبـةً
خـزائـنُ الـحـكـمَـةِ الـكـبـرى لِـواعـيـهـا[1]

ويؤكد الشّاعر الكبير علي الجارم على أهمية الوحدة الإنسانية بين الشّرق والغرب:

ووحّـــدَ بـيـنَ الـنـاسِ، لا الـبُـعـدُ مُـبْـعِـدٌ
عـن الـسـاحـةِ الـكـبـرى، ولا الـقُـربُ مُـقْـرِبُ
فـلـيـس لـدى الإســلام شـرقٌ ومَـشْـرِقٌ
ولـيـس لـدى الإســلام غـربٌ ومـغـربُ
هـمُ الـنَّـاسُ إخـوانٌ سـواءٌ عـلـى الـهدى
بـطـيءُ الـمـسـاعـي والـشـريـفُ المـهـيَّـبُ[2]

وتتجسَّدُ الوحدة الإنسانيّة بين الشّرق والغَرب عند «علي محمود طه» في وحدة الفنون الجميلة، يقول:

قـــفْ عـلـى الـفـنِّ بـيـنَ شــرقٍ وغـــربِ
وَصِــــفِ الـعـالـمَ المـخـلَّـد شـــانـه[3]

وحضَّ الشُّعراء العَرب الطلاب على التعلّم في الغَرب، قال الشّاعر الكبير حافظ إبراهيم عندما أراد أن يودع صديقيه المسافرين إلى إنجلترا للتعلّم:

---

١ - شوقي، احمد: ديوان احمد شوقي، نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٠م.

٢ - الجارم، علي: ديوان علي الجارم، دار الشروق، ط٢، القاهرة ١٩٩٠م، ص٢٨٢ .

٣ طه، علي محمود : ديوان علي محمود دار الفكر العربي، بيروت ٢٠٠١م، ص٧٠ .

سِــيــرا إلـــى مــهــدِ الــعــلـــوم الــتــي
كــانــت لــنـــا ثُـــمَّ ازْدَهـــاهـــا الــبِــلــى
شـــعـــارُ أهــلــيـــهـــا وأبــنــائِــهـــا
أن يــعــلـــمَ الـــمـــرءُ وأن يــعـــمـــلا
واســتَــبِــقَـــا الــعــلــيـــاءَ واســتــمــسِــكـــا
بِـــعُـــروَةِ الــصَّــبــرِ ولا تَــعْــجَـــــلا[1]

وَيُبْدِي الشَّاعر محمَّد مصطفى الماحي إعجاباً شديداً بمنجزات الغرب العلميّة والحضاريّة:

بــرز الــغــربُ فــي الــفــنــون وفــي الــعِلْـ
ـــم فـــوافَـــى بــالمــعــجــزاتِ الــبَــواقــي
فــيــهِ مَـــن ســـخَّـــروا الـــريـــاحَ رُخـــاءً
وســبــيــلُ الـــريـــاح صـــعـــبُ المـــراقــي
فــيــهِ مـــن ذلَّـــلـــوا الـــبـــحـــارَ وراحـــوا
يــطــلــبــونَ الـــنِّـــزالَ فـــي الأعـــمـــاق[2]

لقد حضرَ الغرب في الشِّعر العربي في تجلياته المختلفة، وظهرت سياقات شعريّة وأدبيّة كثيرة للحِوار معه منذ بداية القرن العشرين، حيث نمت النزعة الإنسانيّة في الأدَب العربي نموّاً واضحاً، وذلك بفضل تقدم وسائل الاتصال وطي المسافات، وأصبح الأديب تهزُّه الأحداث الجسام في أماكن بعيدة عنه، وغريبة عليه لغة وتاريخاً ومجتمعاً وديناً، ومن هنا تجسَّد المفهوم الحقيقي لمعنى الإنسانيّة، وترجمه الأدباء في إبداعهم الفنّي[3]. ونتيجة لذلك لم يكتفِ الشُّعراء بالحِوار، بل نادوا بالتآخي الكامل بين الشَّرق والغرب. قال الشَّاعر محمَّد الأسمر:

---

١ - إبراهيم، حافظ: ديوان حافظ إبراهيم، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ، ج١، ص٢٠١ .

٢ الماحي، محمد مصطفى: ديوان الماحي، مطبعة الإخاء، القاهرة، ص٣٦ .

٣ - النجدي، د. إيهاب: صورة الغرب في الشِّعر العربي الحديث، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م، ص٢٣٤ .

مـا عـلـى (الـغـرب) لـو تـاخـى مـع (الـشـرْ
قِ) فـصَـارَا كـالـروضِ مـاءً وظِـلاّ؟!

هَكَذا نظرَ الشُّعراء العَرب نظرة إنسانية مفعمة بالحبّ للحِوار مع الغَرب، رغم أنهم سجّلوا أيضاً مآخذهم العديدة على نزعته الاستعمارية.

لقد سَعى الشُّعراء العرب طيلة القرن الماضي، وفي وقتنا الرَّاهن إلى الحِوار مع الغرب من أَجل تلاقح الثقافات ونشر ثقافة التعارف والتفاهم والسلام .

ويدعو البحث الشُّعراء العرب المعاصرين لمواصلة حِوارهم الشِّعري معَ الغرب، حيث يمكن للفنِّ الشِّعري أن يحققَ في القضايا الإنسانية والتواصل الحضاري مع الشُّعوب أكثر ما تحققه الأُطر الحواريّة التقليديّة كافة رغم أهميتها الفائقة.

تاسعاً - دَور المشروعات الثقافية المشتركة

يُساهم قيام المشروعات الثقافيّة والإعلاميّة والتعليميّة المشتركة بين الدّول العربيّة والغربيّة بتفعيل الحِوار الثّقافي بين الطرفين وجعله أكثر انتشاراً وحضوراً وفاعلية، ويوصي البحث بما يلي:

١ - إقامة مَراكز ثقافيّة مُشتركة تُكَرِّسُ معظمَ نشاطها الثقافي لخدمة الحِوار وأهدافه وأسَاليبه وخطواته، وتعمل على نشر ثقافته وفكره وآدابه وأخلاقياته من خلال:

- محاضرات وندوات عن كيفيّة الحِوار وأساليبه يُدعى لها أعلام الفكر العربي والغربي.
- معارض تشكيلية وفوتوغرافية.

٢ - عروض سينمائية مُنْصِفَة للحضارتين العربيّة والغربيّة تُرسي دعائم التفاهم والتسامح وتغرس بذور ثقافة الحِوار في النّفوس.

٣ - إقامة مَعارض كتب مُشتركة لنشر ثقافة الحِوار وقِيم التسامح وآليّات التفاهم.

٤ – ترجمة الكتب والبحوث الحديثة في الحِوار وطبعها ونشرها على أوسع نطاق.

٥ – إقامة مُسابَقات بحثيّة وأدبيّة عن ثقافة الحِوار.

عاشراً - دور المؤاخاة بين المدن العَربيّة والغَربيّة

لا بدَّ من تفعيل التواصل الثَّقافي بين المدن العربيّة والغربيّة، تحقيقاً لمزيدٍ من التواصل الحضاري والإنساني والاجتماعي بين الثقافتين العربيّة والغربيّة، ومن ذلك المضي قُدُماً في مشروع حضاري فاعل للمؤاخاة بين المدن العربيّة والغربيّة.

لقد بُذِلَتْ جهودٌ متواضعة دون الطموح المرجو في هذا المجال، حيث عُقد المؤتمر الأوروبي العربي الأول للمدن في مراكش في تشرين الأول من عام ١٩٨٨م.

وَنَظراً لما لهذا المشروع الحَضاري من أهميّةٍ فائقة في تعريفِ كلا الطرفين بثقافةِ الآخر، وبالتالي توفير المعطيات والشروط الثقافيّة والنَّفسيّة الموضوعيّة كافة، ولكي يكون الحِوار الحضاري أكثر فاعلية يوصي البحث بما يلي:

١ – أن يُعقد المؤتمر الأوروبي العَربي للمُدن بشكل دوري.

٢ – أن يُعْلِنَ المؤتمرُ المؤاخاةَ بين مدينتين عربيّة وغربيّة في كل عام، على أن يترافق ذلك مع نشاطات ثقافيّة وسياحيّة وإعلاميّة، توفِّرُ فُرَصَاً واسعة للاتصالات، وتبادل الزيارات لِبناء جسور المودّة والتسامح وتوفير الأجواء المهيئة للحِوار.

٣ – تَنفيذ مَشروعات مشتركة لترميم المباني القديمة في المدن التاريخيّة.

٤ – تنظيم عروض موسيقية وغنائية وتراثية متبادلة.

٥ – تشكيل لجان مشتركة لجمع المأثورات الشِّفاهية الخاصة بكل المدن المتآخية.

٦ – تنظيم أيام للثقافة في المدن المتآخية، مترافقة مع محاضرات في تاريخ المدن، وأمسيات شعريّة، وعروض مسرحيّة، ومَعارض كتب، ومَعارض تصوير ضوئي وفنّ تشكيلي ... إلخ.

٧ – إصدار كتب مشتركة عن المدن المتآخية.

٨ - إعلان جائزة عالمية للمدن العربيّة و الغربيّة تُمنحُ لأفضل البحوث في تاريخ وثقافة المدن المتآخية. ويشير البحث بتقدير كبير لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري للحِوار في قرطبة لتخصيصها جائزة هامة للعمران الأندلسي.

٩ - إصدار ألبومات صور وطوابع بريدية تذكارية مشتركة.

١٠ - تنشيط السياحة الثقافيّة البينيّة بين المدن المتآخية ... إلخ.

حادي عشر- دَور الآثار

تُساهِمُ الآثار مُساهمة فاعلة في تفعيلِ الحِوار الثقافي بين العرب والغرب، فبقليل من الفِطنة يمكننا أن نجعلَ من هذه الآثار العربيّة الموجودة في الغَرب، والآثار الغربيّة الموجودة في البلاد العربيّة رُسل تواصل ومحبة وتعارف.

إنَّ معظمَ الدّول العربيّة تتواجد على أراضيها آثار وأوابد رومانية ويونانية، وفي المقابل توجد في إسبانيا ومالطا آثار عربيّة إسلاميّة.

وَيُوصي البَحث بضرورةِ تأسيس متحف للثقافات والآثار والفنون الشّعبيّة المشتركة لتعميق المضامين الفكريّة والسلوكيّة للحِوار، وللبرهان على وحدة الحضارة الإنسانية.

كما يُوصي البَحث بضرورةِ تأسيسِ متحف متجول للآثار العربيّة والغربيّة والأزياء الشّعبيّة المشتركة بهدف التعريف بهذه الآثار واللُقى والأزياء في الدّول العربيّة والغربيّة.

ثاني عشر- التفاعل والتعاون الثّقافيين

إنَّ التفاعل والتعاون والتعارف الثّقافي بين العرب والغرب لا يكون أبداً بتفوق ثقافة على ثقافة، فلكل ثقافة محدِّداتها الفكريّة ومنطلقاتها وأدواتها وسماتها المعرفيّة التي تتكامل مع حصاد الثقَافات الإنسانيّة الأُخرى لخدمةِ الحَضارة الإنسانيّة الواحدة.

ولعلَّ التفَاعل الثّقافي بين الثّقافتين العربيّة والغربيّة، هو أفضل وَسيلة من وَسائل تعميق الحِوار وتعزيز قيِمه وتفعيل نَتائجه الايجابية لصالحِ عَمَليّة الحِوار ككل ومصالح أطراف الحِواركافة.

ومن أهم نتائج التفاعل الثّقافي تعزيز عمليّة التعاون الثّقافي المتبادل الذي لا يتحقق إلا بتوافر مناخٍ متساوٍ وعادلٍ وصافٍ بين الثقافتين العربية والغربية لصياغة علاقات إنسانية جديدةٍ يسودها الودُّ والتعاون والصّداقة والسَّلام.

وقد نصَّ إعلان التعاون الثّقافي الدّولي على أهداف الحِوار بين الثقافات على النحو التالي[1]:

١ - نشر المعارف وحفز المواهب وإثراء الثقافات.

٢ - تنمية العلاقات السّليمة والصّداقة بين الشُّعوب.

٣ - تمكين كل إنسان من اكتساب المعرفة والمشاركة في التقدّم العلمي العالمي.

٤ - تحسين ظروف الحياة الروحيّة والوجود المادي للإنسان في جميع أنحاء العالم.

ثالث عشر - ضرورة إنشاء جائزة عالمية للحِوار

انتشرت في الربع الأخير من القرن العشرين الماضي جَوائز عربيّة كثيرة في المجالات الأدبيّة والعلميّة والدِّراسات الإسلامية وسواها.

وتعتبر هذه الجوائز ظاهرة حَضارية وثقافيّة بامتياز، لأنها تشكل حافزاً داعماً للأدباء والكتّاب للمزيد من الإبداع والعطاء، فضلاً عن تعميقِ ثقافة الحِوار ورفدِها بالأُسس الفلسفيّة والفكريّة والمنطلقات النّظريّة.

وَلذلك لا بدَّ من تطويرِ هذه التجربة عبر الدَّعوة لإنشاء جائزة عالمية للحِوار تتبناها إحدى الدّول العربيّة أو جامعة الدّول العربيّة، ويمكن أن تُمنح هذه الجائزة وفقَ الفروع المقترحة التالية:

١ - جائزة تمنح لأفضلِ شخصيّة عربيّة وأخرى غربيّة مُساهمة في الحِوار ومؤيدة له، ويمكن لهذه الشّخصية أن تكون زعيم دولة، أو إعلامي، أو مفكر، أو سينمائي .. إلخ.

---

١ - إعلان مبادىء التعاون الثقافي الدولي، منظمة الأمم المتحدة للتربيّة والثقافة والعلوم، نوفمبر ١٩٩٦ م.

٢ - جائزة تمنح لأفضل وسيلة إعلام عربيّة وغربيّة (مؤسسة إعلامية - محطة فضائيّة - صحيفة - مجلة - إذاعة ... إلخ)، ساهمتْ مساهمة فاعلة في نَشر ثقافة الحِوار على أوسع نطاق.

٣ - جائزة تمنح لأفضل بحث عربي وغربي في موضوع الحِوار العربي - الغربي يقدِّم أفكاراً جديدة، فضلاً عن ترجمته ونشره وتوزيعه على أوسع نطاق.

رابع عشر- ضرورة إنشاء مراكز أبحاث عالمية خاصة بالحِوار والتعريف بالعرب

إنَّ الحِوار الفاعل مع الغَرب يتطلب من الدّول العربية وجامعة الدّول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي إنشاءَ مراكز أبحاث عالميّة خاصة بالدِّراسات المعمّقة بالحِوار والتعريف الصَّحيح بالعرب وحضارتهم ودينهم.

وَيُوصي البَحث أن تُقام مَراكز الأبحاث هذه في بعض العَواصم الغربيّة، ويناطُ بها مهام عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - فتح أبواب الحِوار الثقافي والإعلامي والفكري كافة مع الغرب وعلى المستويات كافة.

٢ - إنجاز المزيد من الأبحاث الأكاديميّة والدِّراسَات الميدانيّة حولَ قضايا الحوار والتفاهم والتعارف بين العرب والغرب.

٣ - ترجمة كل الكتب والأبحاث الخاصة بمسائل الحِوار المختلفة، ونشرها على أوسع نطاق.

٤ - تحقيق التواصل الفعَّال مع الكُتَّاب الأجانب الذين يتخذون مواقف مُنْصِفة من القضايا العربية.

٥ - توفير المراجع كافة للباحثين في مجال الحِوار.

٦ - دَعم المراكز البحثيّة المعنية بحِوار الثقافات كافة.

٧ - إصدار مجلة دوريّة تُعنى بالبحوث المتعلقة بحِوار الثقافات، وترصد كل ما يتعلق بهذا الحِوار من كتب وأبحاث ومؤتمرات وندوات على المستويات العربيّة والغربيّة والعالميّة.

٨ - إنشاء أرشيف بالبحوث والكتابات والتقارير والوثائق العربيّة والغربيّة والأجنبيّة كافة المتعلقة بحِوار الثقافات.

٩ - إبراز جهود فلاسفة التاريخ والحضارة ومؤرخي العلم الذين قَدّموا إلى العقل الغربي إضافة حقيقيّة تتعلق بإدانة الذّات الغربية ومركزيتها وعنصرتيها، بالإضافة إلى الإشادة بالأنماط الحضاريّة غير الغربيّة التي ساهمت في بناءِ الحضارة الإنسانية، ومن هؤلاء: كولن ولسون وأرنولد توينبي وأوزوالد شبنجلر وبيتريم سوروكين وسواهم.

خامس عشر - ضرورة إنشاء مُؤسَّسة عربيَة للحوار

يُوصي البَحث بإنشاء مؤسسة عربيّة للحِوار مع الغَرب تتولى مهمة تنظيم مؤتمرات الحِوار وندواته، ومتابعة تنفيذ التوصيات والمقرّرات التي تتمخض عن هذه المؤتمرات، بالإضافة إلى نشرِ الدِّراسات الحِواريّة، وإصدار دوريّة متخصصة في بحوثِ ودِراسات الحِوار.

سادس عشر - دور الطلاب العَرب والمؤسَّسات التَّعليميَة

يقع على عاتقِ الطلاب العرب الذين يتلقونَ العِلم في الجامعات الغربيّة مسؤولية فتح أبواب الحِوار الجاد مع زملائهم على مَقاعدِ الدِّراسة، ومعَ جيرانهم في البيوت التي يسكنونها.

كما ينبغي تفعيل دور الحركات الطلابيّة العربيّة في الغرب لتوجيه الطلاب العرب نحو الحِوار المثمر والمدروس والهادف مع المواطن الغربي وشرح قضايانا العادلة له، وتقديم المنشورات والكتيبات التي تُعرّف بالحضارة العربية. فليكن طلابنا رُسلاً للحِوار والمحبة والتفاهم، ومثلاً يُحْتَذَى في الأخلاقِ والشّفافيّة.

ولتحقيقِ المردود المرجو من إشــراك الطــلاب العرب في الحِوار الجديّ مع الإنسانِ الغربي يجب إعـداداهم إعـداداً شامـلاً ومتكاملاً في المجالات الثقافيّة والسِّياسيّة، فضـلاً عن تعريفهم بثقافة الحِوار وقواعده ومستلزماته وأساليبه.

وكذلك يَنبغي على المؤسِّسـات التّعليميّـة إعـادة تَقْيِيـم مَناهجـها، ووسائل التّعليم المستخدمة فيها بما يُعلي من مكانة العَقل والفِكر والإبداع ويربي النشء على ثقافةِ الاختلاف التي تعتبر المدّخل الطبيعي للحِوار الصّحيح مع الآخر.

سابع عشر - تَوظِيف الكِتابات الغَربيَة المُنْصِفَة

يوجد في العالم الغربي الكثير من المفكّرين والكُتّاب والأدباء الذين نظروا نظرة موضوعيّة منصفة إلى العرب وقضاياهم، ولذلكَ ينبغي الوصولَ إلى هؤلاءِ الكُتّاب والتعريف بهم ونشر أعمالهم ودعوة الأحياء منهم لزيارة الدول العربية.

إنَّ دعوةَ هؤلاء الكتّاب والأدباء إلى مؤتمرات الحِوار، وترجمة كتاباتهم ونشرها، وتسليط أضواء وسائل الإعلام عليهم، يُساهم مُساهمة فاعلة في دعم وتعميق مَفهوم الحِوار معَ الغَرب، وفتح آفاقه لصنعِ مستقبل إنساني يسوده الوئام والسَّلام.

ثامن عشر - دَور مُؤسَّسَات النَّشر

إنَّ مؤسَّسات النَّشر في الوطن العربي مطالبة أن تسهم إسهاماً فاعلاً في الحِوار مع الغَرب من خلالِ توسيع نشر أبحاث الحِوار، وزيادة الجهد في ترجمةِ البحوث الأجنبيّة المعنيّة بثقافةِ الحِوار ونشر قِيم التسامح بغيةَ ترسيخ قيمة الآخر في العَقل العربي، والتأكيد على أهميّة الحِوار بين الثَّقافتين المتجاورتين العربيّة والغربيّة.

تاسع عشر - آليَّات وتقنيَّات واستراتيجيَّات ثقافيَّة أخرى

بالإضافةِ إلى الآليَّاتِ والتقنيَات والاستراتيجيَّات الثقافيّة الأساسيّة السَّابقة، يُوصي البَحث بمجموعةٍ أُخرى من هذه الآليَات والتقنيَات والاستراتيجيّات للنهوضِ بالحِوار معَ الغَرب، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - ضرورة تحوّل الحِوار من مجرد قضيّة عامة إلى نظريّة ثقافيّة متكاملة لها أسسها وعناصرها وفلسفتها وأهدافها وآليات تطبيقها، وبالتالي ضرورة تبني الحِوار كاستراتيجية عربية وإسلامية بغية كسب دعم الغرب بشتى صنوف الحِوار المقْنِع لبناءِ تحالف عالميّ لمواجهة التطرُّف والإرهاب وكافة صنوف التعصب والكراهيّة والعنصريّة ودحض فِكرة صِدام الثقافات نهائيّاً.

٢ - التقويم المستمر لاتجاهات الفكر في مجال حِوار الثقافات وتحديد منجزاته.

٣ - التنسيق المستمر والتعاون الدائم بين الشَّخصيات والمنظمات والمؤسسات العربيّة والغربيّة المهتمة بمسائلِ الحِوار.

٤ - تدريس ثقافة الحِوار في المناهج العربية (في المراحل الدِّراسية والجامعيّة كافة).

٥ - الدِّفاع عن القِيم والمبادئ والأخلاقيات المشتركة بين الأمم والثقافات كالعدالة والحرية والحقوق.

٦ - مواصلة كل الجهود الممكنة لدفع عملية الحِوار مع الغرب إلى الأمام، من خلال المؤتمرات والندوات وتأليف الكتب والمقالات الصُّحفية والبرامج التلفزيونية.

٧ - إشراك أصحاب الخبرة في مجال التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النَّفس وأصحاب الاختصاص في إنتاج البرامج الإعلامية المقدَّمة لمحاورة الغرب، انطلاقاً من معرفة مسبقة بمستويات الجمهور الغَربي من حيث التعليم والثقافة والميول والاتجاهات الفكرية والسِّياسيّة.

٨ - إنشاء مراكز عربيّة مشتركة لتخطيطِ البحوث الإعلاميّة الحِواريّة في الوطن العربي، انطلاقاً من دراسة الحضارة العربيّة ومرتكزاتها العلميّة والإنسانيّة والثقافيّة بمشاركةِ نخبة من أساتذةِ التربية والتاريخ وعلم النَّفس وعلم الاجتماع والسِّياسة.

٩ - التركيز على مَبْدأ الحِوار الحُرّ للمفكرين والكتّاب وسواهم، وإقامة الندوات الحِواريّة التلفزيونيّة، وذلك عن طريق المراكز والمؤسسات الثقافية أو وسائل الإعلام، ودعوة المفكرين في الغرب لحضور هذه الفعاليات الحِواريَّة.

١٠ - العمل على استخدام لغة واحدة لأنَّ ذلك أساس التفاهم، ويمكن للغةِ الحاسوب أن تلعب دوراً هاماً في هذا المجال، حيث يمكن أن تُشَبَّه برامج الحاسوب بأبجدية أساسية أو بلغةِ الإشارة، والتي يمكن أن تربط بين شعوب العالم.

١١ - تشجيع قيام منتديات عربيّة /غربيّة مشتركة للحِوار تضم مثقفين ومفكرين وإعلاميين من الطرفين.

١٢ - الدَّعوة إلى مراجعةٍ شاملة للمقرَّراتِ المدرسيّة والجامعيّة العربيّة والغربيّة، بهدف تنقيتها من المعلومات الخاطئة عن الآخر والأفكار المتعصِّبة المناهضة لقيَم الحِوار وآدابه، ونبذ احتقار الشُّعوب وأديانها، والسَّعي لوضع مقرَّرات تهدف إلى غرس السّلوك الإيجابي والتوجّه الحِواري، وتعميق ثقافة الحِوار، والدَّعوة إلى التآخي الإنساني..إلخ.

****

الفصل الثالث

آليَّات وتقنيَات واستراتيجيَّات

الحِوار الإعلامي معَ الغَرب

يشكلُ الخطاب الإعلامي بأشكاله المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة والإلكترونية حقيقة هامة من حقائق الحياة المعاصرة، حيث أضحى عِلْماً هاماً له أدبياته ونظرياته وقوانينه وآليّاته.

وتلعب وسائل الإعلام المختلفة دوراً محوريّاً وأساسيّاً في التواصل الحضاري والثقافي بين الشّعوب المختلفة – إنْ أُحسن توظيفها – حيث تفتح آفاقاً واسعة أمام الحِوار وتدفع عجلته قُدُماً إلى الأمام.

أولاً - مفهوم الإعلام وطبيعته

الإعلام لفظ مشتق من الجذر العربي الثلاثي (ع+ل+م = علم) وعَلِمَ الشيء: عَرَفَهُ وخَبِرَهُ ... وأَعْلَمَهُ بالأمر: أُخْبِرَ به ... والإعلام: على وزن أفعال، ويعني الإخبار، أي إيصال المراد إلى الشخص أو الأشخاص المقصودين بالإعلام.

ثانياً - تعريف الإعلام

إنَّ المدلول اللغوي أو المعنى السائد لكلمة الإعلام، هو «التعبير العملي لتكوين المعرفة والإحاطة بما يهم الإنسان في كل زاوية من زوايا محيطه، وفي كل مرفق من مرافق حياته، وفي كل ركن من أركان طموحه وهمومه وحاجاته، في جميع الوسائل والأجهزة والفعاليات البشرية والفنية والمادية والإعلامية التي ترتكز عليها عملية التكوين»[1].

---

١ - الشيخلي، خالد رشيد علي: الإعلام العربي، واقعه وابعاده ومستقبله، دار الحرية للنشر، بغداد ١٩٨١م، ص٥١ .

يُعَرَّف الإعلام بأنه «مجموعة الوسائل الماديّة التي يستطيع أن يمتلكها النظام، أو الحزب، أو المجموعة لاستخدامها في التعبير عن الأفكار والفلسفة التي يؤثِّر بها كالإذاعة والتلفزيون والصّحافة والسينما والمسرح والفنون المختلفة»[1].

ويعرّفُ بحسب طبيعته وأهدافه بأنه: «أسلوب من أساليب الاتصال الجمعي، وعن طريق وسائله المختلفة يمكنه الوصول إلى أهدافه، ومن أهم خصائصه أنه ذو اتجاه واحد، إذ نادراً ما يفسح المجال للفرد لكي يرد عليه، وأنه يفتقد روح الألفة التي تسود بين شخص وآخر، لأنه يخاطب متلقيّاً افتراضيّاً، وأنه يستجيب للبيئة التي يعمل فيها ويربط فعاليته بما يقدّمه من حقائق وأحداث كما هي موجودة»[2].

كما يُعَرَّف بأنَّه: «نقل صورة الشيء لإنشاء هذه الصّورة»[3]، وبالتالي يصبح إعلاماً ناجحاً معبِّراً عن إرادة الأمم في التواصل الحضاري مع شعوب العالم كافة.

ثالثاً - مَدلولات الإعلام

يشير المدلول الخارجي لـ «الإعلام» إلى مصطلح يطلق على مدلولات متباينة هي:

١ - الإعلام بمعنى نشر المعلومات بعد جمعها وانتقائها وأحياناً يطلق على ذلك لفظ «الاستعلامات»، ويدخل في هذا المجال إبراز الأخبار وتفسيرها ووضعها في قالب معين.

٢ - الإعلام بمعنى الدّعوة وهو الاصطلاح القديم الذي أُطلق عليه في القرون الوسطى لفظ - البروبا جندا - أي النشاط الهادف إلى نشر الدّعوة والتبشير بها وكسب المؤمنين بها، والصّهيونية تستخدم الإعلام بهذا المعنى.

٣ - الإعلام بمعنى الدّبلوماسيّة المفتوحة أو الدّبلوماسيّة الشّعبية والعمل السياسي الخارجي، وهو تطور حدث على صورة كبيرة في النصف الثاني من القرن العشرين[4].

---

١ - الزبيدي، د. صباح حسن: مؤتمر الإعلام العربي رؤية شاملة، ص١٨٢ .

٢ - عبد الجواد، نور الدين محمّد: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، ج٢، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض ١٩٩٤م.

٣ عبد الرحمن، د. عواطف: قضايا إعلامية معاصرة، القاهرة ١٩٩٧م.

٤ - محمد بشير، تحسين: النشاط الإعلامي العربي في الولايات المتحدة، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٦٩م، ص٣١ - ٣٢ .

رابعاً - الجهات الإعلاميّة العربيّة الفاعلة

يُقْصَدُ بها كل سلطة أو جهاز قادر على أن يلعب دَوراً في مجال تفعيل الحِوار مع الغرب عبر وسائل الإعلام سواء أكان ذلك على مستوى القطر أو الوطن العربي وهم:

١ - الدولة: وتشمل المؤسسات الإعلامية كافة التابعة للدولة الوطنيّة القُطْريّة.

٢ - منظماتُ العمل الإعلامي العربي من خلال الجامعة العربيّة وهي:

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- اللجنة الدائمة للإعلام العرب.
- مجلس وزراء الإعلام العربي.
- اتحاد إذاعات الدّول العربيّة.
- المؤسسة العربية للاتصالات الفضائيّة.
- اتحاد وكالات الأنباء العربيّة.
- اللجنة المشتركة لاستخدام القمر العربي للإعلام والثقافة والتنمية.

٣ - منظمات القطاع الخاص: وتشمل جميع المنظمات والشركات التي تعمل في مجالات الإعلام التي يمتلكها ويديرها أفراد وشركات خاصة، كما هو الحال للقنوات التلفزيونية الخاصة والصّحافة العربية في أوروبا، وقد ظهرت هذه القنوات منذ عام ١٩٩١ واستمرت في التوسّع في أعمالها.

٤ - الجمعيّات والمنظمات والاتحادات ومراكز البحوث التي تقوم بتقديم الأنشطة الإعلاميّة قطريّاً أو عربيّاً، مثل اتحاد الصّحفيين العرب والنقابات التي تمارس عمل الإعلام الخ[1].

خامساً - آليّات تفعيل الإعلام العربي ليكون قادراً على مُحاورة الغَرب

ومن هذه الآليّات على سبيل المثال لا الحصر:

١ - إيمان أصحاب وسائل الإعلام العامة أو الخاصة بأهميّة الحِوار مَعَ الغرب.

---

١ - شومان، محمّد: عولمة الإعلام ومستقبل الإعلام العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرين، العدد (الثاني)، الكويت ١٩٩١م، ص١٥٦ .

٢ - توظيف الخبرات المهنيّة والفنيّة والتطورات التكنولوجيّة كافة لخدمة الحِوار وتفعيله وتوسيع آفاقه.

٣ - إعداد رجال الإعلام الذين يكتبون ويحاورون ويحررون ويديرون ويصوِّرون البرامج الحِواريّة، إعداداً إعلامياً شاملاً ليكونوا أهلاً لمخاطبة الآخر ومُحاوَرته.

سادساً - أهميّة الإعلام في التواصل بين الشّعوب

يستمدُّ الإعلام أهميته من كونه الوسيلة التي يتم بها تزويد الناس بالمعلومات والمفاهيم والأفكار والحقائق والأخبار الصادقة بقصد معاونتهم على تكوين الرأي السّليم إزاء مشكلة من المشاكل أو قضيّة ما، فالإعلام يُخاطب العقل والوجدان ويؤثّر في السلوك الإنساني، إضافة إلى ذلك فهو يَعْرِضُ الأخبارَ من خلال الصورة والكلمة أو يقوم بعكس ذلك إخفاء وتزييف الحقائق والوقائع.

ويشكل الإعلام في وقتنا الراهن عصبَ الحياة المعاصرة ووجهاً من وجوه الحضارة الحديثة، فضلاً عن كونه قوة فاعلة في التواصل الإنساني بين مختلف شعوب العالم.

إنَّ الثورة الإعلاميّة في عَصرنا الرّاهن قد ألغت الحدود والزمان والمكان وجمعت الصّورة بالكلمة بحيث أصبحت الكرة الأرضية قرية صغيرة يستمع أهلها ويشاهدون الأخبار والبرامج والأفكار عبر الفضائيات وشبكة الإنترنت وسواهما، وبذلك يكون التواصل الثقافي والحضاري بين مختلف شعوب العالم قد دخل في مرحلة عميقة وجديدة من التمازج والتلاقح.

وتتفقُ الآراء على أننا نعيش في عصر لا يُنظر فيه إلى الإعلام كسلطة رابعة فحسب، بل كَمَصْدَر قوة وهيمنة تطالُ المراكز القياديّة كافة وتساهم بصياغة الرأي العام.

وهكذا يمكنُ لوسائل الإعلام المختلفة أن تساهم مساهمة فاعلة في تكريس ثقافة الحِوار وتفعيل آليّاته المختلفة من خلال تبنيها لشعار الرّأي والرَّأي الآخر، وطرح برامج حِواريّة هادفة.

سابعاً - أهميّة دَور الإعلام العَربي في مُحاوَرة الغَرب

تتجلى أهميّة دَور الإعلام العربي في مُحاورة الغرب في نقاط عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر (النقاط التالية):

١ - يُعَدُّ وسيلة أساسيّة هامة في التواصل مع الآخر ومحاورته إعلاميًا وثقافيًا وحضاريًا بغية تحقيق حِوار عربي - غربي جاد وفاعل وتعميم ثقافة الحِوار والتفاهم على أوسع نطاق.

٢ - رسم الخطط الإعلاميّة لانطلاق الحِوار المنشود وتحديد آليّاته ووسائله وطرقه ضمن رؤية استراتيجية تتسم بالشمول والتكامل والدّيمومة.

٣ - يساهم في صياغة وبلورة الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي بأهميّة الحِوار مع الغرب.

٤ - يعدُّ وسيلة أساسيّة في التعريف بالحضارة العربيّة الإسلاميّة ورموزها وأعلامها وعطاءاتها في مختلف المجالات.

٥ - يعدُّ وسيلة مهمة في التصدي للإعلام المعادي الذي يشوِّه صورة الإنسان العربي وحضارته ودينه وقِيمه، من خلال تقديم الصّورة الحقيقة للإنسان العربي وحضارته ودينه وقِيمه، والردّ على الحملات الدّعائية الحاقدة وفق برامج إعلامية مدروسة وبناءة وهادفة.

٦ - يعدُّ وسيلة مهمة لنشرِ قِيم المحبة والخير والتسامح بين مختلف الشّعوب والأديان والحضارات والتخفيف من الصِّراعات الدّوليّة.

ثامناً - ضعف الإعلام العربي في محاورة الغرب

يعاني الإعلام العربي من عَوامل ضعف عديدة في مجالاته كافة انعكست على ضعف خطابه الحِواري مع الآخر، ولا سيما العالم الغربي. ومن هذه العوامل على سبيل المثال لا الحصر:

١ - غياب التخطيط المدروس للإعلام العربي الذي يُجابَهُ بنشاطٍ مضاد على نحو مباشر وغير مباشر.

٢ - احتواء الإعلام العربي على الكثير من المغالطات وعدم الدّقة والتقليد.

٣ - الضَّعف التِّقني لأغلب المحطات الفَضائية العربية.

٤ - لقد غرستِ الصهيونيةُ العالميةُ والوسائلُ الإعلاميةُ الغربيةُ المرتبطة بها في ذهن الإنسان الغربي أنَّ العرب والمسلمين يمثلون الإرهابيين يستهدفون تدمير الحضارة الغربية، والإعلام العربي بوضعه الراهن من حيث البنية التقليدية والكوادر والوسائل وضعف انتشاره العالمي وعدم وجود تنسيق وتكامل بين قنواته المختلفة لا يشكل صِمام الأمان لردِّ هذه التهم التي تُلقى جزافاً على العرب والمسلمين ودينهم الحنيف وحضارتهم وقِيمهم.

٥ - ضعف الفهم الإعلامي العربي لطبيعة النشاط الصّهيوني في الدّول الغربية عموماً والولايات المتحدة الأميركية خصوصاً.

٦ - عدم وجود مقاييس ومعايير محددة للرسالة الإعلامية العربيّة.

٧ - يعاني الإعلام العربي من التجزئة والضَّعف التي تتجلى في عجزه عن ربط الأقطار العربية مع بعضها لتكوين رأي عربي عام، فوسائل الإعلام العربية المرئية والمسموعة والمقروءة كافة غير قادرة على توحيد خطابها الإعلامي الحِواري الموجّه إلى الرأي العام الغربي.

٨ - عدم توظيف منجزات الحضارة العربيّة الإسلاميّة والتراث الحضاري بنوعَيْه المادي والشفوي على النحو الأمثل لخدمةِ مَضامين الحِوار والتفاهم والتعارف في الإعلام العربي .

٩ - لم يُحسنِ الإعلامُ العربيُ توظيف الانتشار الكثيف للجاليات العربية والطلبة العرب في الدّول الغربيّة لتفعيلِ آليّات الحِوار الإعلامي والثقافي العربي - الغربي وتوسيع آفاقه أُفقيّاً وعموديّاً.

١٠ - انصراف معظم القنوات الفضائية العربية إلى برامج التسلية والترفيه وإثارة الغرائز، وقلة القنوات الحِوارية الهادفة.

١١ – أثَّرَ الضعف العربي على الخطاب الإعلامي، حيث لم يستطع هذا الإعلام مجابهة الإعلام الصهيوني والغربي الذي يشوِّه صورة العرب الحقيقيّة وقضاياهم العادلة. وتساهمُ الخلافات السِّياسيّة العربيّة – الغربيّة بإضعاف المجهود الإعلامي وتشتيت جهوده في سجالات داخلية تحد من دورة الحضاري المطلوب في الحِوار مع الغَرب[1].

١٢ – غلبة الطابع العاطفي على الإعلام العربي الأمر الذي يؤثر على موضوعيته ومصداقيته.

١٣ – عدم وجود قناة عربيّة حِواريّة مكرَّسة بالمطلق لقضايا الحِوار مع الغرب تبث على مدارِ السَّاعة وباللغات الغربيّة الأساسيّة، فضلاً عن اللغة العربيّة.

١٤ – سيطرة مفهوم «الإعلام للاستهلاك الداخلي وإعلام آخر للاستهلاك الدَّولي» ولا سيما في الإعلام العربي الرسمي.

١٥ – الضعف في تنظيم وإدارة سياسة الإعلام، سواء أكان ذلك الإعلام الرسمي أو الإعلام الخاص أو الإعلام المرتبط بمكاتب الجامعة العربية.

١٦ – غياب البرامج المدروسة ذات الطابع الفكري المنهجي عن ثقافة الحِوار مع الغرب وأدواته وأساليبه وقنواته وتقنياته.

تاسعاً - تَحليل مَنظومة الإعلام الغربي

ينبغي تحليل منظومة الإعلام الغربي وفهم آليّاتها وأدواتها ووسائلها، وذلك لكي نتمكن من القدرة على محاورتها، لقد وصلت سطوة الإعلام الغربي لدرجة استطاع معها أن يملي السياسات والاستراتيجيّات والتوجهات للحكومات والقادة في الدول الغربية كافة.

فلقد جاء طوني بلير بحزب العمال البريطاني إلى السلطة بعد ١٨ عاماً من غيابه عن المسرح السياسي نتيجة الحملات الإعلامية المنظّمة والمكثّفة التي قادتها إمبراطورية الإعلام التي يقودها روبرت مردوخ.

---

١ - بشير، تحسين محمّد: النشاط الإعلامي العربي في الولايات المتحدة، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٦٩م، ص٥٠ .

لقد شهدت الساحة الإعلاميّة الغربيّة في وقتنا الراهن تحولات هامة، منها تحولها إلى مشروع اقتصادي ضخم بحاجة إلى استثمارات ماليّة ضخمة، مما أدّى إلى حصر ملكية هذا المشروع إما بيد الدّولة أو بيد رأس المال الضخم، الأمر الذي قَصَرَ حرية التعبير على هاتين القوتين الدولة والمال .

كما تعاظم الدور الذي يقوم به الإعلام في تكوين الأنساق المعرفيّة والفكريّة والقِيميّة للمواطن وتراجع دور البيت والمدرسة والمؤسسة الدِّينية والسِّياسيّة.

ومن أهم العَوامل المؤثّرة في الخَطاب الإعلامي الغَربي:

١ - المؤسسات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

٢ - الحَقائق الاجتماعيّة الرّاسخة في ذِهنِ الجمهور.

٣ - التنظيم الدقيق للعمل في وسائل الإعلام.

عاشراً - الإعلام الغربي والكيل بمكيالين

ينظر الإنسان العربي بريبة إلى الإعلام الغربي الذي يتخذُ من حريةِ الرأي شعاراً له، يدّعي الدفاع عنه. وهنا يتساءل العرب الذين يُستهدف دينهم في وسائل الإعلام الغربية: هل إهانة الرموز الدِّينية تندرج ضمن حرية وسائل الإعلام الغربيّة ؟ ويستشهدون على ذلك بشواهد كثيرة منها:

١ - عندما صدرت رواية «آيات شيطانية» ١٩٨٨م لسلمان رشدي أطنبَ عليها الإعلام الغربي معتبراً إياها فتحاً كبيراً في الأدب وحرية التعبير ؟!

عِلمَاً بأنها تمسُّ بإدعاءات كاذبة ومفردات بذيئة شخصَ النَّبي الكريم محمَّد ﷺ الذي يدين بدينه أكثر من مليار ونصف مليار مسلم.

٢ - عندما نشرت صحيفة «يولاندز بوستن» الدانماركية الرسوم المسيئة للنّبي محمَّد ﷺ حذت حذوها صحف غربية أُخرى، وعند الاعتراض الإسلامي الواسع على هذه الرسوم المسيئة تم تصنيفها وتبريرها في الغرب على أنها تدخل ضمن حرية التعبير.

٣ – عندما بثَّ النائب الهولندي المتطرف غيرت وايلدرز فيلمه الذي يهاجم فيه الإسلام أطنبت بعض وسائل الإعلام الغربيّة في الحديث عنه.

إنَّ هذه الشواهد تدللُ وبجلاء أن «حرية التعبير» التي يتشدقُ الإعلام الغربي في الحديث عنها ليست أخلاقيَّة البتة لأنها تتعرض إلى مشاعر أكثر من مليار ونصف مليار مسلم، فضلاً عن عدم توازنها، والدَّليل الدَّامغ على ذلك هو الحرص «الفوبيوي» على عدم مهاجمة اليهود خشية الاتهام بمعاداة السَّامية.

إنَّ مبدأ حرية التعبير في الغَرب بحاجةٍ إلى مراجعة أخلاقية ومهنيّة كي لا يُتَّخَذَ ذريعةً لازدراء العرب والمسلمين، وبالتالي يُصبح عَقبة كأداء في طريقِ الحِوار المنشود.

حادي عشر - تَساؤلات حِواريّة عربيّة برسم الإعلام الغربي

انطلاقاً من الصّورة المشوّهة والقاتمة لشخصية الإنسان العربي ودينه وحضارته وعاداته وتقاليده في الإعلام الغربي، ولكي نبدد الهواجس النّفسيّة التي تعوق الحِوار، يحقُّ لنا أن نحاور رجال الإعلام الغربي ونطرح عليهم الأسئلة التالية:

١ – ما أسباب انحياز الإعلام الغربي وبشكل سافر ضد القضايا العربيّة القوميّة والوطنيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والدِّينيّة واللغويّة كافة؟!

٢ – ما أسباب الحملة التي يشنها الإعلام الغربي على العالم الإسلامي وخلطه المتعمّد بين الحركات الإسلامية الأصولية وبين الدِّين الإسلامي؟!

٣ – ما أسباب وصم العرب والدِّين الإسلامي الحنيف بالإرهاب؟!

٤ – ما السبب وراء إظهار البلدان الإسلامية في الصّحافة الغربية – في أغلب الأحيان – في صورة رجل دين مجنون ينطلق في الشوارع متعطشاً لسفكِ الدِّماء؟ كما يقول الصّحفي البريطاني جون كوكس[1]

---

١ - الإعلام العربي - الأوروبي - حوار من أجل المستقبل، ص٨١ .

٥ - لماذا تُقَدِّمُ وسائل الإعلام الغربية صورة مشوّهة متكررة للعرب بعيدة جداً عن الواقع الذي يعيشه ويدركه العرب؟ كما يقول الصُّحفي الفرنسي أوليفيه دالاج من إذاعة فرنسا الدولية[1].

٦ - لماذا يكون تشويه صورة الإنسان العربي في مقابل تلميع صورة الإنسان اليهودي في أغلب الأحيان؟

٧ - لماذا لا تتدخل منظمات حقوق الإنسان ومنظمات الحقوق المدنيّة والمنظمات الدَّوليّة في معالجة هذه الظاهرة السَّلبيّة كما تدخلت سابقاً ضد تشويه صورة الإنسان الزنجي في الإعلام الغربي؟.

ثاني عشر - آليَات وتقنيَات واستراتيجيَّات وتوصيات مستقبليَة لتفعيلِ الحِوار الإعلامي معَ الغَرب

١ - دور المكاتب الإعلامية العربية في الخارج

تتواجد في العواصمِ الغربية عشرات مكاتب الإعلام العربية، وهي تمورُ بالحركة والنشاط، وتقدم خدماتها الإعلامية لجمعيات الصداقة العربية الغربية كتزويدها بمحاضرين وكتب وأفلام ومعلومات ومنشورات، وتقدم بعض العون لجمعيات الطلبة العرب.

ويمكنُ لهذه المكاتب الإعلاميّة أن يكون لها قصب السبق في الحِوار مع الغرب، إلا أنها تفتقر إلى ديناميكية الحركة وهامش المناورة والقدّرة على إقامة جسور اتصال فاعلة ومواقع في بعض الصّحف وفي بعض محطات التلفزيون، وبين رجال الفكر والأدب، ورجال السياسة من برلمانيين وزعماء أحزاب واتحادات نقابات عمالية، لضمنت لنفسها مشاركة فاعلة في تعريف الرأي العام الغربي بقضايانا العادلة، ووقفتْ في وجهِ الحملات المغرضة التي يتعرض لها العرب، وقدّمت الصّورة الحقيقية الصّادقة لشخصيةِ الإنسان العربي وحضارته ودينه الحنيف وتراثه.

---

١ - الإعلام العربي - الأوروبي - حوار من اجل المستقبل، ص ٨٣ .

ولكي تحقق المكاتب الإعلاميّة العربيّة العاملة في الغرب أهدافها في الحِوار المثمر والتعريف الصَّحيح بقضايانا العربية العادلة لا بدَّ لها من القيام بما يلي:

- إعداد الكوادر الإعلاميّة المؤهَّلة لتحقيقِ الحِوار والتفاعل اللازم مع الآخر، فضلاً عن التأهيل الثقافي والإعلامي والقدرة على الحركة والمبادأة.
- عقد المؤتمرات الصّحفية بشكل دَوري لشرح القضايا العربيّة وفتح المزيد من أبواب الحِوار.
- عقد الندوات الفكريّة التي يُدعى إليها نخبة من رجال الفكر والأدب والسياسة من الطرفين تحت عناوين ومحاور هادفة مثل:
  - آفاق الحِوار الحضاري العربي – الغربي.
  - حوار الثقافات لا صِدام الحضارات.
- توزيع المنشورات والكراسات والوثائق الإعلاميّة على كل من يهمهم معرفة المزيد عن العرب وحضارتهم.
- فتح المزيد من المكاتب الإعلاميّة، وزيادة عدد موظفيها وميزانياتها وتطعيمها بشبان عاشوا في الغرب وأتقنوا بعض لغاته وعرفوا أهله جيداً .. إلخ.

٢ - دور وزارات الإعلام

ينبغي على وزارات الإعلام العربيّة أن تكثّف جهودها وترفع وتيرة عملها في مجالِ عقد مؤتمرات حوار الثقافات بين العرب والغرب، وهذا يستدعي دعوة الصَّحفيين ورجال التلفزيون والوفود البرلمانية ووفود الطلبة ونقابات العمال إلى زيارة أقطارنا العربيّة للحِوار والتفاهم والتعارف، لأنَّ هذه المؤتمرات والزيارات تحفِّز الوفود عند عودتها إلى أقطارها على وضع التقارير والمقالات الصَّحفية والأفلام التي تساهم في تحسين صورة العرب وتدفع بعملية الحِوار الصحيح إلى الأمام.

٣ - التعاون مع وكالات الأنباء والصُحف والمجلات الغربيّة

إنَّ الحِوار الثقافي والإعلامي مع الغرب يستلزمُ تعاون وكالات الأنباء العربيّة ووسائل الإعلام العربيّة الأخرى مع بعضها البعض، وتعاونها مع وكالات الأنباء الغربيّة والعالمية، لأنَّ الحِوار عمليّة شاملة ومتكاملة تتطلبُ حشدَ طاقات وقدرات ثقافية وإعلامية متنوعة كي يحقق الحِوار أهدافه المرجوة في التعارف والتفاهم وبناء جسور الثقة والمحبة.

ويمكن لوكالات الأنباء العربية أن تعقدَ اتفاقيات تعاون إعلامي في مجال تعميق مفاهيم الحِوار وآدابه وعناصره مع وكالات الأنباء الغربية الكبرى المؤثرة على الرأي العام الغربي والعالمي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- وكالة الأنباء الفرنسية (هافاس) Havas.
- وكالة الأنباء البريطانية (رويتر) Reuter
- وكالة الأنباء الأمريكية (the New york Associated press).
- وكالة الأنباء الروسية (the Russian telegraph Agency).
- وكالة الأنباء الألمانية (وولف) wolff.

وكذلك ينبغي مدّ جسور التعاون الإعلامي في قضايا الحِوار المختلفة ونشر ثَقافته وتكريس قِيمه مع أكثر الصحف والمجلات الغَربية انتشاراً ومنها: صحيفة الغارديان ونيويورك تايمز وول ستريت جورنال وواشنطن ستار ونيويورك بوست وشيكاغو تربيون ولوموند وتايم ونيوزويك وماغازين والأندبندنت والديلي تلغراف وهيرالدتريبيون ودير شبيغل ... إلخ.

٤ - دور المنظمات الإعلاميّة العالميّة

يقـع على عاتـق المنظمـات الإعلاميـة العالمية مسؤولية جسيمة في تفعيل الحِوار بين الثقافـات الإنسـانية المختلفـة، ولا سيـما في فتـح آفاق إعلامية واسعة في الحِوار العربي – الغربي، وتشجيع التعارف والتفاهم، وتوظيف كافة تقنيات الاتصال الحديثة، ووسائل الإعلام الجماهيرية في دعم مسيرة الحِوار.

ومن المنظمات الإعلاميّة العالميّة المدعوة للمساهمة في دعم مسيرة الحِوار الثقافي والإعلامي بين العرب والغرب على سبيل المثال لا الحصر:

- المنظمة العالمية للإذاعة والتلفزيون: تأسست عام ١٩٤٦ بدلاً عن منظمة الإذاعات العالمية.
- منظمة الصحفيين الدّولية (o.i.c): تأسست عام ١٩٤٦، وتضم منظمات الصحفيين لأكثر من ١٢٠ دولة في العالم.
- المنظمة العالمية للاتصالات الإلكترونية عبر الأقمار الصناعية: تأسست في واشنطن وتضم في عضويتها أكثر من ١٠٩ دولة.
- اتحاد البريد العالمي: أنشأته الأمم المتحدة ١٩٤٧م ويضم في عضويته أكثر من ١٦٨ دولة.
- منظمة صحفيون بلا حدود[١].
- نادي المراسلين الصّحفيين الأجانب.
- الاتحاد الوطني للصّحفيين البريطانيين.
- الاتحادات الصُّحفية في الدول الغربية كافة.

٥ - التعاون الإعلامي العربي - الغربي

من المؤكد أن العلاقات العربية – الغربية السِّياسية والاقتصادية في حالة جيدة، وهذا يدعونا لطرح مشروع تعاون إعلامي عربي – غربي من أجل تعزيز مفاهيم الحِوار والتفاهم والسلام بين الشعوب، وتغيير الصورة النَّمطية السُّلبية التي يرسِّخها الإعلام الغربي عن العربي والمسلم، وأن تتخلى المؤسسات الإعلامية الغربية الكبرى عن استعلائها الموروث منذ عهود الاستشراق والاستعمار في نظرتها للعرب والمسلمين، إذا ما أرادت بناء تعاون إعلامي عربي – غربي يعزّز التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

---

١ - فلحوط، د. صابر / النجاري، د. محمد: العولمة والتبادل الإعلامي الدولي، دار علاء الدين، دمشق ١٩٩٩م، ص٥٦-٥٧ .

إنَّ الحوار الإعلامي العربي - الغربي يجب أن يتواصل رغم كل الظروف السيئة والعقبات والتحيّزات التي يُظهرها هذا الإعلام ضد الإنسان العربي والمسلم والدِّين الإسلامي والحضارة العربية، لأنَّه لا بديل عن الحِوار لتحقيق أدنى قدر من التعاون والتفاهم المشترك، وتبديد كل الشبهات، وتصحيح كل الصُّور السَّلبية.

إنَّ التعاون الإعلامي العربي - الغربي يساهم مساهمة فاعلة في دعم وتفعيل آليّات الحِوار، وتوفير القنوات الإعلامية الحاضنة والناقلة لرسالته الإنسانية.

وقد عُقدت مؤتمرات عديدة لبناء التعاون الإعلامي العربي - الغربي وتعزيزه وتفعيله وتطويره، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ - الاجتماع الموسّع بين الجامعة العربية والاتحاد الأوروبي عام ١٩٩٤ الذي وضع أسس التعاون الإعلامي العربي - الأوروبي.

ب - مؤتمر برشلونة للحِوار الأوروبي - المتوسطي الذي عقد في برشلونة (٢٧ - ٢٨ /١١/١٩٩٥)، والذي وضع أسسًا جديدة للتعاون الإعلامي الأوروبي - العربي، ومن هذه الأسس:

- الإقرار بأن التقاليد الثقافية والحضارية على جانبي المتوسط والحوار بين هذه الثقافات والمجالات الإنسانية والعلمية والتكنولوجية ... تشكّل عنصرًا رئيسيًا في التقارب والتفاهم بين الشعوب وتُحسِّن الإدراك المتبادل فيما بينها.
- إنَّ الحِوار والاحترام المتبادل بين الثقافات والأديان شرطان ضروريان لتقارب الشعوب.
- أهميّة الدور الذي تستطيع أجهزة الإعلام القيام به للتقريب والتفاهم بين الثقافات كمصدر للإثراء المشترك بين الأطراف.
- ضرورة تنمية الحِوار الإنساني والاهتمام بالتعليم والتأهيل في المجالات الثقافية، وتشجيع التبادل الثقافي والإعلامي ومعرفة لغات أخرى مع احترام الهويّة الثقافية لكل شريك، وتنفيذ السياسة المستديمة للبرامج الإعلاميّة والتربوية والثقافية[1].

---

١ - خضور، د. اديب: صورة العرب في الأعلام الغربي، ص٥٧ .

٦ - دور التبادل الإعلامي العربي - الغربي

أصبح التبادل الإعلامي الدولي من متطلبات الحياة المعاصرة، ولا سيما بعد التطورات المذهلة في وسائل الاتصال الإلكترونية وانتشار البث الفضائي، ويمكن توظيف التبادل الإعلامي بين الدّول لخدمة قضايا الحِوار والتفاهم والتعارف، حيث تساعد وسائل الإعلام الجماهيريّة الدّوليّة على تكوين المواقف من القضايا المطروحة وبلورة اتجاهات الرأي العام.

كما تلعب دوراً هاماً في عملية التغيير السياسي والثقافي والفكري لدى القراء والمستمعين والمشاهدين، وتساهم في تدعيم سلوك الجمهور الإعلامي من موقف معين، ولهذه الاعتبارات مجتمعة يلعب التبادل الإعلامي الدّولي، دورًا هامًا في تفعيل ونجاح عملية الحِوار.

ويمكن لوسائل الإعلام العالمية أن تتعاون فيما بينها لمجابهة الحملات الإعلامية التي تحمل توجهات صِدامية وعنصرية.

كما يمكنها أيضاً أن تقوم بحملات إعلامية مشتركة لتعزيز قِيم الحِوار وثقافته وسلوكياته بين الشعوب كافة.

٧ - آليّات وتقنيّات واستراتيجيّات إعلاميّة أخرى

ما دمنا نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا، وما دمنا نسعى بصدق لمحاورة الغرب في المجالات المختلف حولها كافة، فلا بدَّ لنا أن نبني استراتيجية إعلاميّة مستقبليّة تقوم على تقنيّة جديدة لتحقيق حِوار فاعل مع الغرب على مختلف المستويات والأصعدة، فضلاً عن الضرورة الملحّة لتطوير خطابنا الإعلامي الحالي وتقويمه ونقده.

ويوصي البحث أن تنطلق الاستراتيجية الإعلامية العربيّة الجديدة من النقاط الأساسيّة التالية:

- إعادة هيكلة الإعلام العربي وتأهيله للحِوار تخطيطاً وتنفيذاً، وذلك بإشاعة الوعي بأهمية الحِوار الثقافي مع الغرب، ودعم الحكومات العربية وتفهمها لهذا التوجه، ورفع المستوى الثقافي والفكري والمهني والتقني للإعلام، ووصوله إلى الدّول الغربية بلغاتها الأصلية، وتضافر الجهود الإعلاميّة العربيّة كافة وتكاملها.

- تركيز النشاط الإعلامي الحِواري على كافة القطاعات الرسمية والمؤسساتية والشّعبية الغربية المؤثرة.
- دراسة وتحليل القوى السِّياسية والتيارات الفكرية والثقافية المتحركة والصاعدة في المجتمع الغربي، والتعامل معها وفق أسس من المعرفة الدقيقة بالآخر، واتباع أساليب بناءة ومجدية في محاورة الرأي العام الغربي وخلق المناخات الإيجابية للحِوار.
- الدخول في حِوار جاد مع التيارات اليهودية المعتدلة المناصرة للحق العربي والرافضة للمشروع الصّهيوني.
- عرض الرؤية العربية للحِوار على الطرف الغربي بكافة مضامينها وقواعدها ومحدداتها وأساليبها.
- وضع سياسات إعلامية راهنة ومستقبلية ترمي إلى تغيير الصّورة النّمطية السَّلبية عن العرب في المجتمع الغربي، وإيصال الواقع العربي إلى الرأي العام الغربي وقادته ونخبه.
- اغتنام كل الفرص الإعلامية المتاحة، ومنها شراء صحف غربية وتوظيفها في الحِوار، فضلاً عن تأسيس محطات تلفزيونية وتكريسها لأغراض الحِوار، ويمكن أن تكون هذه المحطات والصّحف مملوكة لرجال أعمال عرب أو دول عربية أو منظمات عربية كجامعة الدول العربية.
- إعادة النَّظر في طريقة عمل وأداء الفضائيات العربية حتى لا تصبح عبئاً على قضايا الحِوار والتواصل مع الرأي العام الغربي، وذلك بإعادة النظر بالبرامج الإعلاميّة الدِّينية التي تحض على العنف والكراهية. ولنتذكر دائماً أنَّ الإعلام سلاح ذو حدين، فبعض وسائل الإعلام العربيّة تساهم بتأجيج الصِّراع الثقافي والدِّيني بين الشّعوب بينما واجبها الحقيقي ورسالتها السامية في توثيق عرا التواصل والتفاهم والتعارف بين الشعوب.

- عقد مؤتمر نوعي للإعلام الغربي من أجل الاتفاق على استراتيجيات حِوارية مستقبلية مع العالم الغربي في المجالات الثقافية والفكرية والدِّينية والإعلامية كافة... إلخ .

- يجب أن يحقق الإعلام التفاعل الفكري والثقافي بين رجال الفكر العربي والغربي لخلق الحِوار البنّاء الذي يقود إلى التعارف والتفاهم المتبادلين.

- أن تتسم سياسة الإعلام العربي الحِوارية بطابع الديمومة مع الغرب، وتتواصل بوتائر فَعّالة بلا انقطاع.

- زج الوسائل والقنوات الإعلامية العربية الجادة كافة في الحِوار وعدم إهمال أي وسيلة حِوار غير مباشرة كالشركات التجارية وسواها .

- عقد مؤتمرات إعلاميّة حِواريّة متواصلة ومتابعة تنفيذ مقرراتها وتوصياتها وابتكار برامج حِوارية بين الأجيال الجديدة من الشباب العربي والغربي.

- يجب أن تستهدف استراتيجية الإعلام العربي عزل النشاط الإعلامي الغربي المعادي للعرب والمشوِّه لصورتهم وتحييده وكسب قوى الرأي العام الغربي الذي ظهر تعاطفها جليّاً خلال العدوان الصهيوني البربري على قطاع غزة. فيجب أن نحافظ على الدّعم الشّعبي الغربي للقضايا العادلة لا أن نخسره.

- تحسين صورة الإنسان العربي في ظل وجود صور نمطية سلبية كالإرهابي / النفطي / المخادع / المتخلف / البدوي ... إلخ.

- التعريف بالحضارة العربية الإسلامية ودورها الكبير في بناء الحضارة الإنسانية.

- التعريف بالأهميّة الاقتصادية الفائقة للوطن العربي بالنسبة للدول الغربية وأهميّة الدّول الغربية بالنسبة للوطن العربي، لأن المصالح الاقتصادية المتبادلة هي عناصر تدعم عمليّة الحِوار والتفاهم والتواصل بين الشعوب.

- التعريف بإبداعات أبناء الوطن العربي داخل الوطن وخارجه، مثل التعريف بالمبدعين والعلماء المهاجرين الذين لديهم اعتراف قومي بإنجازاتهم، أمثال الذين حصلوا على جوائز محلية أو قومية . بالإضافة إلى الأسماء العربية في المهجر التي حصَّلَتْ اعترافاً دولياً بإنجازاتها سواء لحصولها على جوائز عالمية كجائزة نوبل أو غونكور أو غير ذلك، والتي أسهمت في مجال اختصاصها أكاديمياً وعلمياً وأدبياً وتلقَّت على ذلك اعترافاً دولياً.
- ضرورة مواكبة الإعلام العربي للتقنيات العالية بنقلها ودراستها واستيعابها واستثمارها لتفعيل الحِوار الثقافي والإعلامي مع الغرب.
- السَّعي الحثيث لجعل العلاقة ودية بين وسائل الإعلام العربيّة والإنسان الغربي، وذلك بتنقية خطابنا الإعلامي من التشنّج والتخوين والارتجال والعشوائية.
- ضرورة تأسيس مركز دولي للإعلام العربي في الغرب يكون ملحقاً بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يناط به مسؤولية تصحيح صورة العرب ودينهم وتراثهم في الذِّهن الغربي، والتأسيس الفاعل لنظرية إعلاميّة في مجال الحِوار تتعدى النطاق القومي ليشمل تأثيرها الغرب والعالم بأسره، وينبثق عن هذا المركز صحف ومجلات ودور نشر وفضائيات تصدر وتبث بلغات غربية.
- التدريب المستمر للإعلاميين العرب وتأهيلهم ليكونوا قادرين على الحِوار مع الآخر، وتأسيس مجموعات وكوادر نخبويّة مؤهلة للحِوار.
- إنشاء وكالة أنباء عربيّة على وجه السرعة، وذلك لعجز وكالات الأنباء العربيّة القطرية وضعفها في قضايا الحِوار مع الغرب، على غرار وكالة الأنباء الأفريقية (بانا)، والوكالة الآسيوية، ووكالة دول أمريكا اللاتينية والكاريبي[1].

---

١ - قدور، صفاء: هل ثمة دور لوسائل الإعلام في صناعة رأي عام عربي، مجلة المعلم العربي، السنة ٦٠، العدد ٢، ٢٠٠٧م.

- يؤكد البحث على ضرورة دراسة تجربة الإعلام الصهيوني التي نجحت نجاحاً كاسحاً في إقناع الرأي العام الغربي أن الحركة الصهيونية حركة تحرر وطني بعد أن اعتبرتها الأمم المتحدة عام ١٩٧٤ حركة عنصريّة، فضلاً عن نجاح هذا الإعلام في كسب الرأي العام الغربي إلى جانب إسرائيل في كل القضايا التي تتعلق بها.

- إنشاء مواقع إنترنت عربية جادة خاصة بالحِوار تتضمن بنوك معلومات، وكتب، ومقالات، ووثائق مؤتمرات حول حِوار الثقافات.

- يجب عدم إهمال الحِوار العربي مع الثقافات الإنسانية الأخرى كافة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأستراليا.

- الإفادة من الطاقات الإعلاميّة العربيّة والأصدقاء في المهاجر لتكون جزءاً من عمليّة الاتصال الإعلامي الدّولي، بحيث يقوم هؤلاء بمحاوَرة أبناء المجتمعات التي يعيشون فيها، فجاذبية المحاور ترتبط من إحساس المتلقي بأن من يخاطبه ليس غريباً عنه، وضرورة تصميم البرامج الحِواريّة بأسلوب احترافي علمي، فضلاً عن ضرورة محاورة قادة الرأي، لأنهم يؤثِّرون فيمن حولهم. وكذلك يوصي البحث بإنشاءِ فرع خاص بثقافةِ الحِوار في كليات الصَّحافة والإعلام.

****

الفصل الرابع

آليّات وتقنيّات واستراتيجيّات
الحوار الشّامل مع الغرب

أولاً - دَور الحكومات العربيّة

تقع على عاتقِ الحكومات العربيّة مسؤوليّة محوريّة في الحِوار مع الغرب من خلال ضرورة تبنِّيها للحِوار كاستراتيجية شاملة تضع أجهزتها الإعلامية ومؤسساتها الثقافية كافة في خدمته.

ومن الضروري للحكومات العربية أن تتعاون لتفعيلِ الحِوار مع الغرب معَ كلٍّ الحكومات الإسلامية والمنظمات العربية الإسلامية والحكومات الغربية والمؤسسات الغربية المعنيّة بالحِوار.

إنَّ تبني الحكومات العربية للحِوار مع الغرب كاستراتيجية شاملة يساهم في تعبئة الرأي العام العربي وحشده للمساهمة الفاعلة في نشر ثقافة الحِوار.

ويمكنُ للبعثات الحكومية العربية الرسمية أنِ تسهم في فتح المزيد من الحواراتِ الجادة المباشرة مع حكومات الدّول الغربية والنُّخب السياسية والثقافية والإعلامية الغربية، فلا يكاد يمر يوم إلا وتغادر الدّول العربية إلى الدّول الغربية العديد من الوفود الحكومية الشّعبية التي يمكنها استثمار هذه الزيارات في الحِوار الهادف بدلاً من إضاعة الوقت سُدًى في المتنزهات والسّهر في الفنادق الفخمة.

ثانياً - دور البعثات الدّبلوماسيّة العربيّة

تقعُ على عاتقِ البعثات الدّبلوماسيّة العربية المعتمدة لدى الدّول الغربية مسؤولية كبيرة في فتحِ أبواب الحِوار وتوسيع آفاقه عبر تقديم الصُّورة الحقيقية عن العرب وحضارتهم ودِينهم ومجابهة الدعايات المسيئة لهم بأسلوب حضاري موضوعي.

ولن يتحقق هذا بدون تعلّم لغة ذلك البلد حتى يتمكن بعض دبلوماسيينا ورجال إعلامنا من قراءة صحفه ومشاهدة برامجه التلفزيونية الثقافية والإعلامية والسِّياسية وفهمه.

كما يجب أن تضطلع هذه البعثات بترجمة ما يكتب عن العرب في الصحف ويذاع في التلفزيون، والردّ على الكتابات والأفلام السُّلبية على نحو حضاري، والاتصال مع أصحاب الأقلام المنصفة وبناء علاقات التواصل والصداقة والمحبة معهم.

إنَّ على الدّبلوماسيّة العربيّة أن تخرج عن انكماشها وتمدّ جسور الحِوار والتواصل والصّداقة مع الفَعاليات السياسية والإعلامية والثقافية الغربية كافة، وستحقق الكثير من أهدافها إذا سَلَكَتْ طريق الاعتدال والصّبر، والموضوعية، والدِّقة، والعمل الدؤوب المتواصل.

كما يجب على البعثات الدّبلوماسية العربية أن تنظم عَملها وتوحّد جهودها وتكثّف تعاونها فيما بينها، لتصبَّ جهودها في بوتقةِ العمل العربي المشترك في سبيلِ الحِوار الفاعل والمثمر مع الغرب وتعريفه بالصُّورة الحقيقية لشخصية الإنسان العربي وقِيمه الروحية والأخلاقية والدِّينية والحضارية.

وجِّهَ في «استفتاء أجرته مؤسسة تعليمية إسبانية بين الطلبة العرب في إسبانيا السؤالان التاليان: هل تساهم نشاطات السفارات العربية في التعريف بواقع بلدانكم في توثيق أواصر الصداقة بين شعوبنا وفي تشجيع التعاون والحِوار ؟ وكان الجواب: سيِّئ جدًا (٢٨٪)، لا وجود لِـ (٧٢ ٪)»[١].

إنَّ نتيجة هذا الاستفتاء تدلل على تواضعِ عمل البعثات الدّبلوماسيّة العربية فيما يتعلق بتعزيز أواصر العلاقات الثقافية بين العرب والغرب .

وقد أدركَ العرب أهميّة دور البعثات الدّبلوماسية في ترسيخ مبادئ ثقافة الحِوار، فعقدوا لذلك المؤتمرات والندوات، ومنها «ندوة الدبلوماسية العربية وحوار الحضارات»[٢]

---

١ - الباشا، عاصم : الثقافة العربية الإسبانية عبر التاريخ، ص٤٢ .

٢ انظر : (www.afaak.com).

التي عُقدت في القاهرة من ٤ - ٦ مارس (آذار) ٢٠٠٧م، وأسفرت عن توصيات هامة لتفعيل عمل البعثات الدّبلوماسية في مجالات التواصل والحِوار مع مختلف شعوب العالم، فلنجعل من بعثاتنا الدّبلوماسية في الخارج مراكز ثقافية وإعلامية لتعريف الشُّعوب الغربية بحضارتنا وقِيمنا وتراثنا عبر الكتاب المترجم المجاني والسينما الهادفة والمعارض الفنيّة والمحاضرات والندوات واللقاءات ... إلخ.

ثالثاً - دور الجامعة العربيّة

تتحملُ الجامعة العربية مسؤولية قيادة الحِوار العربي مع الغرب عن طريق منظماتها الثقافية والإعلامية التي تمتلك بنية مؤسساتيّة متكاملة تمكنها أن تضطلع بهذا الدور، ولكن ما تقوم به الجامعة العربيّة في هذا المجال من مؤتمرات وإصدارات أقل مما تقوم به بعض المؤسسات الثقافية العربية الخاصّة كمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. وهذا يتطلبُ تفعيل دَور الجامعة العربية في مجال قيادة الحِوار العربي مع الغرب على المستويات كافة.

رابعاً - دور البرلمانات العربيّة

يوصي البَحث بضرورةِ تفعيل الحِوار الشَّعبي عبر البرلمانات العربية واتحاد البرلمانيين العرب والاتحاد العالمي للبرلمانيين المسلمين مع البرلمانات الغربية كافة.

وكذلك يمكن الحِوار مع المنتدى البرلماني الأورومتوسطي الذي انبثقت عنه الجمعية البرلمانية الأورومتوسطية.

ويمكنُ للحِوارات البرلمانيّة العَربية - الغَربية أن تكونَ مصدرَ ثَراء وغنى لعمليةِ الحِوار، لأنَّ البرلمانات العربية والغربية تمثل نَبض الشُّعوب، وهي وحدها الكفيلة بنقلِ عمليّة الحِوار من النُّخب إلى الشُّعوب.

خامساً - دور الأمم المتحدة

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة والخمسين لسنة ١٩٩٨م على اقتراح اعتبار سنة ٢٠٠١م سنة الأمم المتحدة للحِوار بين الحضارات، وهو الاقتراح

الذي تقدَّمَ به السيِّد محمَّد خاتمي الرئيس السَّابق للجمهورية الإسلامية الإيرانية في خطابه الذي ألقاه بالجمعية العامة للأمم المتحدة في أغسطس ١٩٩٨م.

ويتوافقُ موقف الأمم المتحدة مع مواقف الكثير من المفكرين الذين يدعونَ لحِوارِ وتعارف الثقافات.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ تبنِّي الأمم المتحدة لمفهوم حِوار الثقافات سوف يساهم مساهمة فاعلة وهامة في نشرِ مفهوم الحِوار وتعميمه، وترسيخه، وتحويله إلى نقطة ارتكاز هامة في العلاقات الدولية، حيث يكثر تداوله في الندوات والمؤتمرات والتقارير والبرامج الإقليمية، فيؤدي ذلك إلى اتساع الاهتمام العالمي بحِوارِ الثقافات.

ومن أبرزِ المهام الحِواريّة الملقاه على عاتقِ الأمم المتحدة في هذا المجال:

١ - إقامة هيكل مؤسسي أممي للحِوار بين الثقافات.

٢ - إقامة مؤتمرات عالمية دورية للحِوار.

٣ - نشر ثقافة الحوار بالوسائل والأساليب كافة.

٤ - مواجهة ثقافة الكراهيّة بين الشُّعوب وغرس مبادئ التسامح والعدالة والمحبة.

٥ - تحريم وتجريم حملات الإساءة إلى الأديان ورسالات الأنبياء.

٦ - إيجاد آليَّات دولية فاعلة لفض النِّزاعات الدُّولية والتدخل السريع لمجابهة الأزمات الدولية.

سادساً - دور الأديان السَّماويّة والمؤسّسات الدِّينية

تساهم الأديان السُّماوية بتعاليمها السَّامية القائمة على المحبة والعدل والخير والتسامح والايمان والسلام بتفعيلِ آليَّات الحِوار بين الشّعوب المختلفة. فليكن اللقاء على المشتركات الايمانية والقواسم الروحيّة، بعيدًا عن النوايا المسبقة بالدَّعوة والتبشير التي تُخْرِجُ الحِوار من مسارِهِ الحقيقي إلى هواجس الريبة والشَّك والهواجس المتبادلة.

فالحوار الدِّيني لا يعني البتة أن آتي بك إلى دِيني أو تأتي بي إلى دينك، بل أن نلتقي معاً لنتواصلَ ونتحاور ونتعارف، فنحققُ الأُلفة ونبني معاً جسور المودّة والثقة والتفاهم.

ولكي يحقق الحِوار بين الأديان أهدافه السَّامية لا بدَّ أن يتناول المجالات التالية بروحٍ من المحبة والصَّفاء والرغبة الحقيقيّة في التعارف والتفاهم:

١ - **المجال التوافقي**: يبحث عن نقاط الاتفاق والتلاقي بين الأديان، ويسعى لعملِ ميثاق شرف عالمي لاحترام الأديان كافة.

٢ - **المجال الأخلاقي**: يركِّزُ على القاعدةِ الأخلاقية للأديان، ويسعى لتأكيدِ وجود قِيم أخلاقية مشتركة بين الأديان يمكن من خلالها إرساء قاعدة يلتفُّ حولها أصحاب الأديان المختلفة.

٣ - **المجال العِلمي**: يبحث في موضوعات دينية بأسلوب عِلمي تحليلي كقضايا الاضطهاد الدِّيني والحروب، والتفرقة العنصرية ... الخ .

٤ - **المجال المؤسساتي**: وهو المجال الذي تتبناه المؤسسات الدِّينية الرسمية (الكنيسة) أو شبه الرسمية (الأزهر).

ويقع على عاتقِ المؤسسات الدِّينية الإسلامية مسؤولية كبيرة تتجسَّدُ في بحثِ سُبل توجيه المجتمعات العربية إلى التأكيد على قيمة العَقل، والتسامح، كقيمة أساسيّة في جوهرِ الدِّين الإسلامي الحنيف، وحث الرأي العالم العربي على نبذ الخلافات الطائفية، ونبذ النظرة السَّلبية إلى الغرب، وتطوير مناهج البَحث في العلوم الدِّينية بما يعزِّزُ ثقافةَ الحِوار ويكرِّسُ التفاهم الإنساني.

وَينبغي على المؤسسات الدِّينية الإشراف على الفَضائيات الدِّينية للحدِّ من نشرِ المعلومات المغلوطة عن الدِّين الإسلامي والحدّ من كره العالم وتكفيره.

سابعاً - دور المشكلات العالميَة

يمكن للمشكلاتِ العالميّة التي تمس مصالح البشرية جمعاء كمشاكل الأوبئة والأمراض الفتاكة والتغيّر المناخي، والتلوث البيئي، والكوارث الطبيعية، وقلة المياه،

وانتشار السلاح النووي، والأزمة المالية العالمية الراهنة، وسواها. أن تساهمَ في خدمةِ قَضايا الحِوار والتقريب بين وجهات نظر الجميع، فهذه المشكلات تهدِّد الجميع، والمشاركة الفاعلة في مجابهتها بشكل جماعي هي الضَّمانة الوحيدة لاستمرارِ الحياة البشرية على كوكبنا.

إنَّ هذه المشكلات العالمية الكُبرى تفتح الباب واسعاً أمام تعاون البشر جميعاً على اختلاف أعراقهم وأديانهم ولغاتهم والتكاتفِ والتعاضد في سبيلِ الحفاظ على الحياة البشرية.

ثامناً - دور مُؤسَّسات الحوار والمجتمع المدني

تضطلع مؤسسات الحِوار العربية بدورٍ محوري في تفعيلِ عمليّة الحِوار العربي الشَّامل مع الغرب.

ومن هذه المؤسسات الفاعلة في هذا المجال: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري لحِوار الحضارات في قرطبة، ومؤسسة الفكر العربي، ومؤسسة التعايش، ومؤسسة المنصور الثقافية، ومركز الملك عبد الله لحوار الحضارات الذي أعلن عن تأسيسه مؤخراً (صيف ٢٠٠٨).

ويمكن لمؤسساتِ المجتمع المدني أن تقوم بأعمال كثيرة هامة في سبيل تعزيز ثقافة الحِوار وفتح آفاق التعاون والتواصل مع العالم الغربي.

ويشيرُ البحث بتقديرٍ كبير إلى تبنِّي أكثر من (٤٠٠) جمعية إسلامية في أوروبا لـ«ميثاق مسلمي أوروبا» الذي أُطلق في العاصمة البلجيكية «بروكسل» لدعم قِيم الحِوار والتعايش والتفاهم بين الثقافات[1]. وَيوصي البحث بضرورة تعاون مؤسسات الحِوار العربية فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين مؤسسات المجتمع المدني، وفيما بينها وبين مؤسسات الحِوار والمجتمع المدني في الغرب لتوحيد الجهود والتنسيق المشترك وتكثيف اللقاءات والمؤتمرات لدفعِ عمليةِ للحِوار إلى الأمام.

---

١ - موقع آفاق حوار الحضارات.

تاسعاً - دَور جمعيات الصَّداقة العربيّة - الغربيّة

لا ريبَ أنَّ لجمعياتِ الصَّداقة العربية - الغربية - إن أُعيد تفعيلها وفقَ رؤى وخطط وأهداف مرسومة وميزانيات جيدة - دوراً بالغ الأهمية في الحِوار العربي الغربي.

وما يؤسف له حقّاً ضعف الناجم العملي لهذه الجمعيات على أرض الواقع، فجمعية الصَّداقة الإسبانية العربية الذي كان يتولى رئاستها بيدرو مارتنيث مونتابيث، اضطرت في شهر ديسمبر عام ١٩٩٠ إلى إغلاق أبوابها لأسباب مالية بعد أن قامت بمبادرات أعضائها لسنوات، وعبثاً انتظرت دعم الجهات الرسمية الإسبانية والعربية.

أمَّا جمعية الصَّداقة العَربيّة الفرنسية الذي يتولى رئاستها لوسيان بيترلان فما زالتْ قائمة على أرض الواقع، وهي بحاجة إلى الدَّعم والمساندة لمواصلة أعمالها.

ومن حسنِ الحظ أننا كعرب لنا أصدقاء في مواقع ثقافية وسياسية هامة في شتى أصقاع العالم، ولاسيما في العالم الغربي، ولكننا لم نحسنِ التعامل معهم على النحو الذي يُبقي على صلاتنا مفتوحة معهم، ولذلك ينبغي على حكوماتنا العربية ومؤسساتنا الثقافية والإعلامية أن تمّد جسور التواصل مع هؤلاء الأصدقاء وتدعوهم للندوات والمؤتمرات والزيارات، وتوفِّرُ لهم كل سُبل الدَّعم المادي والمعنوي للاستفادة من آرائهم وخبراتهم، واختيار أفضل السُّبل والوسائل ليكونَ الحِوارُ مثمراً ومحقِّقاً لأهدافه النبيلة.

فلو حاولنا إحصاء عدد الكُتّاب والأدباء ورجال الإعلام والصَّحافة الغربيين الذين يتخذونَ مواقف إيجابية من قضايانا العربية لوجدنا القائمة تتسع للمئات، وهي بوادر مشجِّعة لمدِّ جسور التواصل مع هؤلاء الأصدقاء الأعلام، فضلاً عن دعمِ جمعيات الصَّداقة العربية - الغربية لدى كافة الدول الغربية.

عاشراً - دور الحوار مع اليهود غير الصهاينة

في مختلفِ أنحاء العالم يوجد يهود لا يؤمنون بالصهيونية كعقيدة سياسية عنصرية تستهدف حل المشكلة اليهودية بأساليب القتل والطرد والترهيب.

ومن هؤلاء من يعلن مقاومة الحركة الصهيونية علناً «كالمجلس اليهودي الأمريكي» و«حركة ناطوري كارتا حراس المدينة» ومن الصَّواب أن نضع نصب أعيننا محاورة هؤلاء اليهود الذين يشاطروننا الرأي والموقف، وأن نضع أساليباً ناجعة لمخاطبتهم ومحاورتهم، إذ ليس من الإنصاف أن نهملَ أمرهم، فهم قوة معنا لا ضدنا إذا أحسنَّا معاملتهم ومحاورتهم على أسس إنسانية وأخلاقية.

ومن هذه الحركات اليهودية المؤيدة للحق الفلسطيني والرافضة لسياسات الكيان الصهيوني العنصرية:

١ - المجلس اليهودي الأمريكي

ساهمَ المجلس اليهودي الأمريكي في فضحِ الصهيونية وتعريتها، وطالب اليهود بالتخلي عنها والتمسك بجنسياتهم حيث يقيمون وبالاندماج في مجتمعاتهم كمواطنين، وتحذيرهم من أكاذيب الصهيونية وخداعها.

قال رجل الدِّين اليهودي المر برغر الذي كان يشغل منصب نائب رئيس المجلس في مؤتمر صحفي عقده في باريس يوم الخامس من أب (أغسطس) من العام ١٩٦٨: «إنني أقدِّر حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة أحسن تقدير، وهي نتاج عشرين عاماً من الفشل في إيجاد حل لإصلاح الخطأ الذي راح شعب فلسطين ضحية له، وأُعْرِبُ عن اعتقادي بأن الحل الوحيد للنزاع العربي الإسرائيلي هو إلغاء الصفة اليهودية لإسرائيل وتصحيح جميع الأخطاء التي تعرَّض لها الشّعب الفلسطيني، وإعادة فلسطين وطناً لجميع المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء»[١].

٢ - حركة ناطوري كارتا[٢]

تأسست حركة «ناطوري كارتا حراس المدينة» عام ١٩٣٥م، ومن أهم المبادئ التي تؤمن بها هذه الحركة: إسرائيل دولة ضد إرادة الله وضد الإنسان وضد التوراة لأنها

---

١ - هاشم، عقيل: تخطيط الإعلام العربي، ص١٢٦ .

٢ (www.ALjazeer.net)

قامت على طرد شعب من أرضه وقتله. يقول الحاخام ديفيد وايز الناطق الرسمي للحركة: إنَّ على الناس أن يفهموا أن اليهودية ديانة عمرها آلاف السنوات وأن الصهيونية حركة سياسية لا تزيد عن مئة عام. الصهيونية هدفها تحويل الدِّيانة اليهودية من دين يخدمُ الله إلى شعور قومي أصبح بفعل هذه الأيديولوجية عملاً إجرامياً على أرض فلسطين، وما يزيد من هذه الجريمة المروِّعة، على مدى أكثر من ستين عاماً أنَّ الصهاينة يقتلون ويدمرون ويطردون الشَّعب الفلسطيني من أرضه.

وتنادي حركة «ناطوري كارتا» بفك الحصار عن قطاع غزة ودعم صمود أهله، يقول الحاخام ديفيد وايز: «علينا أن نمارس الضغط على العالم وندعو القادة العرب لفك الحصار عن غزة، فأهل غزة اليوم لا طعام ولا ماء ولا كهرباء لديهم».

وعندما تعرّض قطاع غزة لأكبر عملية إبادة جماعية صهيونية في التاريخ في عدوان ٢٠٠٨/١٢/٢٧ تبرأت حركة ناطوري كارتا من الجرائم الصهيونية التي يقودها جيش الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة، واعتبرت أن الصهاينة هم مجرد زمرة من المحتالين الإرهابيين العالميين الذين يقفون على رأس دولة إرهاب عدوانية ظالمة.

ونظَّمت حركة «ناطوري كارتا» عدة مظاهرات في القدس المحتلة تنديداً بمجازرِ الصهاينة الجديدة في غزة التي تعتبر وصمة عار في جبين الإنسانية.

ويُوصي البحث أيضاً بمحاورةِ اليهود السَّامريين الذين يتخذون مواقف إيجابية من القضية الفلسطينية، ويرفضون الانخراط في الجيش الصهيوني، ويقولون إن الهيكل لا يوجد أسفل المسجد الأقصى، ولهم ممثل في المجلس التشريعي الفلسطيني رفض دخول الكنيست الصهيوني.

وكذلك ينبغي محاورة الأدباء والكتّاب اليهود الذين يتخذون مواقف رافضة للاحتلال الصهيوني ومؤيدة للحق العربي في فلسطين وهم كثر.

إنَّ الحِوار مع هؤلاء اليهود المعتدلين يكون بمثابة نافذة نطل منها على محاورةِ اليهود في الغرب الذين يتحكمون بكثيرٍ من مراكز القرار الثقافي الإعلامي والاقتصادي والسياسي الغربي، وتكونُ في الوقت نفسه مجالاً خصباً لمحاورة الإنسان الغربي.

تقوم مؤتمرات الحِوار وندواته بدورٍ هام في تفعيل آليّات الحِوار مع الغرب، وتسريع خطواته، وتوسيع آفاقه، ولذلك عُقِدَت العديد من المؤتمرات والندوات واللقاءات، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الندوات الإسلامية - المسيحية التي انعقدت بتونس من عام ١٩٧٤ إلى عام ١٩٩١ تحت إشراف مراكز الدِّراسات الاجتماعية والاقتصادية التابعة لكلية الآداب بالجامعة التونسية.

٢ - ندوة «الحِوار الإسلامي - المسيحي»، طرابلس ، ليبيا ١٩٨١م.

٣ - ندوة «الحِوار والعيش الواحد»، بيروت ٢٠٠٢م.

٤ - ندوة «حِوار الحضارات والتضامن الدولي» تونس ٢٤ - ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٢م.

٥ - ندوة «كيف نواصل مشروع حِوار الحضارات»، دمشق ١٩ - ٢١ يناير ٢٠٠٢م.

٦ - المنتدى العالمي لحِوار الحضارات[1]: بدأ المنتدى العالمي لحِوار الحضارات أعماله ابتداءً من سنة ٢٠٠٢م كتطبيق عملي لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي تبنته في ٩ نوفمبر ٢٠٠١م بناء على مبادرة الرئيس الايراني السابق محمّد خاتمي، وانعقدت الدُّورة السّنوية الأولى لهذا المنتدى في شهر سبتمبر ٢٠٠٣م في جزيرة رودوس اليونانية التي تمخضت عن إعلان رودوس الذي أوصى بتشكيل لجنة تنسيقية عالمية لمنتدى حِوار الحضارات.

٧ - ندوة «من حِوار الحضارات إلى تَعارف الحضارات»، عُقدت في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الفترة من ١٧ إلى ٢٠ مارس ٢٠٠٢م.

٨ - «مؤتمر الاستشراق: حِوار الثقافات»: عُقد في الجامعة العربية الأردنية في الفترة من ٢٢ - ٢٤ تشرين الأول ٢٠٠٢م بمناسبة إعلان عمّان عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٢م.

---

١ - موقع آفاق حوار الحضارات.

٩ - «المنتدى السَّنوي الأول لتحالف الحضارات»:[1] أُطلق هذا المنتدى بمبادرة من إسبانيا وتركيا ورعاية من الأمم المتحدة، وعُقد من ١٥ - ١٦ يناير ٢٠٠٥م في العاصمة الإسبانية مدريد، ويسعى هذا المنتدى لنشرِ ثقافة الحِوار والتعارف والتعاون بين الشَّرق والغرب.

١٠ - ندوة «الدِّبلوماسية العربية وحِوار الحضارات» القاهرة ٤ - ٦ مارس ٢٠٠٧م.

١١ - «المؤتمر العالمي للحِوار»: عُقِدَ في مكة المكرمة أيام ٤ - ٥ - ٦ مارس ٢٠٠٨م بدعوة من الملك عبدالله بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية وحضره أكثر من (٥٠٠) شخصية ثقافية وسياسية عربية وغربية.

١٢ - ندوة «دَور الإعلام في حِوار العرب والغرب» أقامتها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين، الكويت ٣٠ - ٣١ مارس ٢٠٠٨م.

١٣ - «المؤتمر العالمي للحِوار»: عُقِدَ في العاصمة الإسبانية مدريد بمبادرة من الملك عبدالله بن عبدالعزيز في الفترة من (٧/١٦ /٢٠٠٨-٧/١٨ /٢٠٠٨) وناقش بمشاركة نخبة من قادة العالم وكتّابه موضوعات تتعلق بالحِوار وأهميته في المجتمع الإنساني، والمشتركات الإنسانية في مجالات الحِوار، والحِوار الدِّيني، وتقويم الحِوار وتطويره ..إلخ.

١٤ - ندوة «حِوار الثقافات»: عُقِدَتْ في الكويت في الفترة من ٢٧-٣٠ /١٠/ ٢٠٠٨ بدعوة وتنظيم من «مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري»، ودعي إليها عدد كبير من قادة الدول ووزراء الثقافة والإعلام ورجال الفكر والإعلام والأدب في العالمين العربي والغربي، ومنهم كاتب هذا البحث.

١٥ - «مؤتمرات الحِوار المتوسطيةُ». عُقِدَتْ بعض مؤتمرات الحِوار المتوسطية، ومنها المؤتمرات الوزارية الأورو - متوسطية، مثل المؤتمر الوزاري الرابع الذي عقد في مدينة «فالنسيا الإسبانية» في ٢٢و٢٣ أبريل ٢٠٠٢م، ففي هذا المؤتمر تقدَّمت المفوضية الأوروبية باقتراح تأسيس «المؤسسة الأوروبية - المتوسطية لدعم حوار الثقافات والحضارات»، وقد أقرَّ مؤتمر «فالنسيا» برنامج عَمل للحِوار بين الثقافات[2].

---

١ - موقع آفاق حوار الحضارات.

٢ - بيبرس، سامية: حوار الحضارات والمبادرة الحضارية العربية، مجلة شؤون عربية، العدد ١١٦، شتاء ٢٠٠٣م، ص١٨٤- ١٨٥ .

وفي شهر مايو ٢٠٠٣م عُقِدَ مؤتمر كريت الأورو - متوسطي، وفي ٢و٣ ديسمبر ٢٠٠٣م عُقِدَ المنتدى البرلماني الأورو - متوسطي في نابولي.

ملاحظات عامة حول مؤتمرات الحوار وندواته

لا يمكن لمنصفٍ إلا أن يشيد بالأثر الهام لمؤتمرات الحِوار في التعريف بثقافة الحِوار وتوفير مناخات إنسانية إيجابية لتواصلِ الثقافات، وأثر ذلك في التعايش السّلمي، ودرء مخاطر الصِّراع، ونشر مفاهيم المحبة واللقاء والتعارف والسُّلام، إلا أنَّ هذه المؤتمرات تعاني من بعض جوانب القصور والضعف ومنها:

١ - في بعض الأحيان تكون هذه المؤتمرات ردة فعل نتيجة أزمة معينة كالمؤتمرات التي أعقبت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، الأمر الذي يُكرِّسُ الجانب الارتجالِي والعفوي، علماً بأنَّ مثل هذه المؤتمرات والندوات تتطلبُ إعداداً وتحضيراً مسبقاً واتصالات بين الأطراف المختلفة، فضلاً عن وضع استراتيجية فاعلة للحِوار ومآلاته المختلفة وما يؤسف له أننا كعرب - رغم عشرات مؤتمرات الحوار وندواته - ما زلنا نفتقد إلى استراتيجيّة عربيّة موحّدة للحِوار مع الغرب

٢ - معظم مقرَّرات المؤتمرات والندوات لم تُترجم على أرض الواقع على شكل خطوات عمليّة ملموسة، أي تبقى حبرًا على ورق.

٣ - اقتصار الحِوار على النُّخب السِّياسيّة والإعلاميّة والثقافيّة دون الفئات الشَّعبية الواسعة

ثاني عشر - دور الجاليات العربيّة في الدُول الغربيّة

هاجر ملايين العرب إلى أوروبا وأمريكا خلال المائة سنة الأخيرة، حتى تجاوز عددهم أكثر من ثلاثين مليون نسمة في عام ٢٠٠٧م.

«وإذا قيل أنَّ اليهود منظَّمُون، فالحقيقة أن العرب والمسلمين يتزايد تنظيمهم يوماً بعد يوم، وهناك ٢٠٠ ألف مؤسسة يملكونها، ولهم ٤٤٠ رابطة، ولديهم ١٧٠ مدرسة، و١٦٠٠ مسجداً، ويصدرون ٩٥ مجلة»[1].

---

١ - سعيد، د. عبدالمنعم : ثقافة الانفتاح على الآخر، (دورة شوقي ولامارتين وحوار الحضارات) مجموعة مؤلفين، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م.

ورغم هذا العَدد الضخم للمغتربين العرب في المجتمعات الغربية، وتفاعل أكثرهم على نحو شديد الإيجابية مع مجتمعاتهم، إلا أن دورهم كجسر للتواصل والتعارف بين أقطارهم العربية من جهة، وأوطانهم الجديدة من جهة أخرى ما زال دون الطموح المرجو.

أمًّا دورهم في تفعيلِ الحِوار العَربي – الغربي فَما زالَ هامشيّاً وضعيفاً إلى حدٍّ بعيد، وهنا لا بدَّ من ربطهم بأوطانهم الأصلية عن طريق الفضائيات والزيارات والمشاريع الاقتصادية، ومن ثمَّ إعدادهم إعداداً ثقافيّاً وإعلاميّاً ليكونوا رُسلاً للحِوار والتعارف والتفاهم بين مجتمعاتهم العربية الأصليّة ومجتمعاتهم الغربيّة الجديدة، ولا سيما وأن نسبة جيدة بينهم من ذوي الكفاءات العِلميّة البارزة في ميادين الطبِّ والهندسة وعلوم الحاسوب والفضاء، فضلاً عن مجموعةٍ كبيرة من الرِّوائيين والأدَباء والكتّاب ورجال الفكر والإعلام والاقتصاد.

ويمكنُ لهذه النُّخب العَربية المتميزة أن تلعبَ دَوراً هاماً في تفعيلِ الحِوار الثقافي والإعلامي مع الغَرب، وتوضيح صورة العرب الحقيقية، والمساهمة الفعّالة في بناءِ جسور الحِوار والتفاهم والسَّلام.

ثالث عشر- دور المسيحيين العرب

قامَ المسيحيون العرب في الماضي بدورٍ هام كجسر اتصال وتواصل بين الوطن العربي والعالم الغربي، فالمسيحيون العرب جزء عضوي وأصيل في جسدِ الأمة العربية، ويقع عليهم دور هام في تعزيز الحِوار وتفعيله.

يقول الباحث محمَّد السَّماك في كتابه «مُقَدِّمة الحِوار الإسلامي – المسيحي»: «إننا كعرب مسلمين يجب أن نجذب إلينا المسيحيين العرب بحيث يكونون همزة الوصل بيننا وبين الغرب، وإنه يجب دعم هذه الفئة كي تلعبَ دَوراً بارزاً في التأثير على المجتمع المسيحي الغربي»[1].

---

١ - السَّماك، محَمد: مقدَمة الحوار الإسلامي المسيحي، دار النفائس، بيروت ١٩٩٨م، ص١٥ .

رابع عشر - دور علماء النَّفس والاجتماع

يقعُ على عاتقِ عُلماء النَّفس والاجتماع العرب أعباء جسيمة في المساهمة الفاعلة في مجالِ الحِوار مع الغرب، فمن الضروري قيامهم بإنجاز خارطة سيكولوجية عِلميّة لشخصيّة الإنسان الغربي، وتحليلها وفق كل التغيرات السِّياسيّة والفكريّة والاقتصاديّة والثقافيّة التي تَطْرَأ على المجتمع الغربي، ووضع الكتب في هذا المجال، الأمر الذي يُمَكِّنُ المحاور العربي وبجدارة من محاورةِ الإنسان الغربي.

كما يقع عليهم مسؤولية تعريف الإنسان العربي بشخصيَّة الإنسان الغربي، بقِيَمِه الإنسانية الرفيعة، وسجاياه الأخلاقية النَّبيلة، وَمُثلِه الاجتماعية العريقة، ومعتقداته الدِّينية السّامية.

خامس عشر - دور الرِّياضة والشباب

يعتبرُ الميدان الرياضي من أكثر الميادين تأثيراً في حياةِ الشباب، ولذلكَ لا بدَّ من توظيفِ الأنشطة الرياضية لخدمة قضايا التقارب والتفاهم والحِوار مع الشُّعوب الغربية، فعندما يصل فريق عربي إلى نهائيات كأس العالم، سيكون ذلك نَصراً إعلاميَّاً كبيراً للأمة العربية لا بدَّ من توظيفه واستثماره على أكملِ وجه لتقديم صورة حقيقية عن الإنسان العربي الذي يُساهمُ بفاعلية في بناءِ الحَضارة الإنسانية، فضلاً عن فتحِ قنوات الحِوار المباشر مَعَ الرِّياضيين من الدُّول الغَربيّة لبناءِ جسور التعارف والثقة والتفاهم والسلام.

ويمكنُ للمنظماتِ الشبابية العَربية أن تمدَّ جسور التواصل مع المنظمات الشبابية الغربيّة عن طريقِ تنظيم ملتقيات دوريّة للشباب، حيث يجتمعون مع بعضهم البعض للتعارف والحِوار، وكذلك يجب توعية الشباب بآليَّات الحِوار وثَقافته ودِيناميانه وآدابه.

****

خاتمة

وهكذا يكونُ الحِوار هو الخيار الأكثر أهميّة للعرب لمخاطبةِ الغرب وصولاً للتفاهمِ والتعاون وصناعة السَّلام للبشرية جمعاء.

لقد أثبتت تجارب الشُّعوب عبرَ التاريخ أنَّ المجتمعات البشريّة التي تعاونتْ وتحاورت أثْرَت الحضارة الإنسانية، وعلى النقيضِ من ذلكَ تقف المجتمَعَات التي تقوقعت على نفسها، فتخلفت ثقافياً واقتصادياً، ونمت بين ظهرانيها ملامح التخلف والتعصب وَالعَماء.

إنَّ الحِوار هوَ خيار الشّعوب المحبّة للخيرِ والتعاون والسَّلام.

لقد حاولتُ أن أُقدِّمَ في هذا البَحث مجموعة من الرؤى والأفكار الجديدة والشّاملة والمستقبليَّة، لما يجب أن يكون عليه حِوارنا الثقافي والإعلامي مع الغرب، مُغَرِّداً خارجَ السِّرب المألوف للبحوثِ الحِواريّة التي يغرقُ بعضها في التنظير النَّظري وبذخ المصطلحات الأبهيّة، فيستعصي على فهم السَّواد الأعظم من القرّاء.

كَما حاولتُ أن أبتعدَ عن تسطيح مَسألة الحِوار وتبسيطها، فَنَهَجْتُ مَنْهَجاً وَسَطاً يصلُ إلى مستويات القُرَّاء كافةِ دونَ أن يَخْسرَ مَضمونَه العِلمي والمعرفي والتحليلي.

وأملُ أن يُساهمَ بحثي هذا في دفعِ عجلة الحِوار العَربي معَ الغَرب إلى الأمام، من خلالِ ما يَطرحه من أساليب وخطط وآليَّات وتقَنيَّات واستراتيجيَّات عَمَليَّة مُستقبليّة مُتكاملة لحِوارنا مع الغَرب الذي عانى من الارتجاليّة والانتقائيّة والعشوائيّة. وَغايةُ ما أتمناه أن يَكونَ بَحْثِي هذا رِسالةَ مَحَبَة وَسَلام للإنسانيّةِ جَمْعاء. وآخرُ دَعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العَالمينْ.

****

ثبت المراجع

أ - الكتب:

١ - الدجاني، د. أحمد صدقي: في العرب والعولمة (ندوة)، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت أبريل ٢٠٠٠م.

٢ - إبراهيم، د. حسين توفيق: العولمة: الأبعاد والانعكاسات السياسية، مجلة عالم الفكر، أكتوبر - ديسمبر ١٩٩٩م.

٣ - أبو الفضل، د. منى/ عبود، د. أميمة / الخطيب، د. سليمان: الحوار مع الغرب، ط ، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٨م

٤ - الملقي، هيام: ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري، دار الشّواف، الرياض ١٩٩٥م

٥ - الجابري، محمّد عابد: المسألة الثقافية، سلسلة الثقافة القومية ٢٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٤م.

٦ - أبادير، نبيل صموئيل: حوار الثقافات، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ٢٠٠٥م.

٧ - النيفر، د. أحميدة / بورمانس، الأب موريس: مُستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٥م.

٨ - الهمادي، بدر الدّين العلاقة الثقافية بين الشرق والغرب، مؤسسة سعيدان، تونس ١٩٩٦م.

٩ - المبارك، هاني/ أبو خليل، د شوقي: الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦م .

١٠ - البخاري، د. محمّد/ فلحوط، د. صابر: العولمة والتبادل الإعلامي الدّولي، ط١، دار علاءالدين، دمشق ١٩٩٩م.

١١ - النجار، د. زغلول: الإسلام والغرب في كتابات الغربيين، ط٤، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٥م.

١٢ - البرازي، فائز هشام: الحضارات صِدام أم حِوار، دار حوران، ط٢، دمشق ٢٠٠٤م.

١٣ - النجدي ، د. إيهاب: صورةِ الغرب في الشِّعر العربي الحديث، ط١، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعري، الكويت ٢٠٠٨م.

١٤ - الميلاد، زكي: تعارف الحضارات، دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٦م.

١٥ - الأسد، د. ناصر الدين: حِوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، مجموعة مؤلفين، المؤسسة العربية عمّان ٢٠٠٤م.

١٦ – إسماعيل، د. زكي محمد: الأنثروبولوجيا والفكر الإسلامي، شركة مكتبات عكاظ، الرياض.

١٧ – الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، الموسوعة الإلكترونية، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، ج٤، الأردن ١٩٩٩م .

١٨ – الأخضر، العفيف لنراهن على ضبط تلامح الثقافات والحوار، مركز البحوث الاجتماعية، جامعة القاهرة ٢٠٠٢م .

١٩ – الببلاوي، د. حازم: نحن والغرب: عصر المواجهة أم التلاقي، دار الشرق، القاهرة ١٩٩٩م

٢٠ – الجابري، عابد : الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢م

٢١ – التنوع البشري الخلّاق، تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية، ترجمة وإصدار المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٧م

٢٢ – السّمّاك، محمّد: مقدّمة الحوار الإسلامي المسيحي، دار النفائس، بيروت ١٩٩٨م

٢٣ - أبو شبكة، إلياس: روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة، منشورات دار المكشوف، ط٢، بيروت بلا تاريخ

٢٤ – إبراهيم، حافظ، ديوان حافظ إبراهيم، دار الجيل، ج١ ، بيروت بلا تاريخ.

٢٥ – الماحي، محمد مصطفى . ديوان الماحي، مطبعة الإخاء، القاهرة .

٢٦ – الجارم، علي: ديوان علي الجارم، ط٢، دار الشّروق، القاهرة ١٩٩٠م.

٢٧ – إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدّولي، منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، نوفمبر ١٩٩٦م .

٢٨ – الشيخلي، خالد رشيد علي: الإعلام العربي واقعه وأبعاده ومستقبله، دار الحرية للنشر، بغداد ١٩٨١م.

٢٩ – النُّقَري، د. معن: العولمة (الكوكبة) وجوهها وأبعادها، مطبعة اليازجي، دمشق ١٩٩٩م.

٣٠ – التوم، د. عبد الله عثمان / أدم، د. عبد الرؤوف محمّد: العولمة، دار الوّراق للنشر، ط١، لندن ١٩٩٩م.

٣١ – التنوع البشري الخلّاق – تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية – ترجمة وإصدار المجلس الأعلى للثقافة ، ص٢٩، القاهرة ١٩٩٧م.

٣٢ – الزيدي، مفيد صِراع الحضارات وحوار الثقافات، دار الفرقان، عمّان ٢٠٠٥م.

٣٣ – بن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، الموسوعة الإلكترونية، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، ج٤، الأردن ١٩٩٩م.

٣٤ – بوجه، محمّد: منهجية تدريس القراءة، منشورات ديداكتيكا، ط١، ١٩٩٥م.

٣٥ – ثابت، أحمد: العرب بين الحِوار الثقافي والانعزال، الدَّار الوطنية الجديدة، دمشق ٢٠٠٤م

٣٦ – حنفي، حسن / الجابري، عابد : حِوار المشرق والمغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٠م.

٣٧ – خضور، د. أديب: صورة العرب في الإعلام العربي، ط١، دمشق ٢٠٠٢م.

٣٨ – خدوري، وليد: النِّفط ووسائل الإعلام الغربي، ندوة الصَّحافة الدّولية، لندن ١٩٧٩م

٣٩ – ربيع، محمَّد محمود / مقلد ، إسماعيل صبري: موسوعة العلوم السِّياسية، المجلد الأول، جامعة الكويت ١٩٩٣ – ١٩٩٤م.

٤٠ – زغبي، د. جيمس: بماذا يفكر العرب، مؤسسة الفكر العربي، لندن ٢٠٠٣م

٤١ – زكريا، زكريا هاشم: فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة ١٩٧٠م.

٤٢ – ساري، د. حلمي خضر: صورة العرب في الصُّحافة البريطانية، إصدار خاص ، عمَّان.

٤٣ – سعيد، د. إدوارد: الاستشراق، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨١م

٤٤ – شوقي، أحمد: ديوان أحمد شوقي، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٠م.

٤٥ – شومان، محمَّد: عولمة الإعلام ومستقبل الإعلام العربي، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرين، العدد الثاني، الكويت ١٩٩١م.

٤٦ – شتا، د. السيد علي. نظرية الاغتراب، ط١، دار عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٤م.

٤٧ – شتيبات، فريتس الإسلام شريكاً، ترجمة: د. عبد الغفار مكاوي، سلسلة كتب عالم المعرفة، العدد ٣٠٢، الكويت أبريل ٢٠٠٤م.

٤٨ – ضاهر، مسعود: مجابهة الغزو الثقافي الإمبريالي الصهيوني للمشرق العربي، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، المغرب ١٩٨٩م.

٤٩ – طه، علي محمود: ديوان علي محمود طه، دار الفكر العربي، بيروت ٢٠٠١م .

٥٠ – عبد الجواد، نورالدين محمَّد: ماذا يريد التربويون من الإعلاميين، ج٢، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض ١٩٩٤م.

٥١ – عبد الرحمن، د. عواطف: قضايا إعلامية معاصرة، القاهر ١٩٩٧م

٥٢ – عبد الحافظ، د. عبد الرشيد: الآثار السَّلبية للعولمة على الوطن العربي وسُبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٥م.

٥٣ – عثمان، محمَّد عثمان : محمَّد صلى الله عليه وسلم في الكِتابات الغربية المنصفة، إصدار خاص، دمشق ٢٠٠٢م.

٥٤ – غارودي، روجيه: حِوار الحضارات، ترجمة: د. عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت باريس ١٩٧٨م.

٥٥ – قائمة المشروع الجغرافي العربي ارتياد الآفاق تأسيس عام ٢٠٠١م، دار السويدي، أبوظبي.

٥٦ – مسلّم، د. سامي: صورة العرب في صحافة ألمانية الاتحادية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٦م .

٥٧ – محمّد بشير، تحسين: النشاط الإعلامي العربي في الولايات المتحدة، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٦٩م.

٥٨ – مجموعة مؤلفين، نظام التضليل العالمي، ترجمة غازي أبو عقل، دار المستقبل ، دمشق ١٩٩٤م.

٥٩ – مجموعة مؤلفين: مؤتمر الإعلام العربي الأوروبي، حوار من أجل المستقبل، مركز الدراسات العربية الأوروبية، بيروت ١٩٩٨م.

٦٠ – مجموعة مؤلفين : دورة شوقي ولامارتين، منشورات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م .

٦١ – مجموعة مؤلفين: مؤتمر الإعلام العربي، رؤية مشتركة، الجزء الأول والثاني، وزارة التعليم العالي، دمشق ٢٠٠٤م.

٦٢ – هلال ، د. محمد غنيمي: الأدَب المقارن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط٣، القاهرة.

٦٣ – هاغوبيان، إيلين ك: استهداف العرب والمسلمين، ترجمة . محمّد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠٦م.

٦٤ – هارالد، مولر: تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون، ترجمة: د. إبراهيم أبو هشهش، ط١، دار الكتاب المتحدة، بيروت ٢٠٠٥م.

٦٥ – هيجوت، د. ريتشارد: العولمة والأقلمة، مركز الإمارات للدِّراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، أبو ظبي ١٩٩٨م.

٦٦ – هاشم، عقيل: تخطيط الإعلام العربي، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٦٨م.

ب - الدوريات:

١ - مجلة العربي «الكويتية»، الأعداد: ٥٠٦، ٥٣٨

٢ – مجلة المعرفة «السورية»، الأعداد: ٢٥٧، ٥٠٧ ، ٤٨٩ .

٣ – المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، مجلد ١ ، عدد ٢ ، تموز – أيلول ٢٠٠٠م.

٤ – مجلة المستقبل العربي، الأعداد: ١٩٢ ، ٢٠٣.

٥ – مجلة الفيصل «السعودية»، الأعداد: ٣٢٢ ، ٣٣١.
٦ – مجلة أحوال المعرفة، العدد ٥٢ ، الرياض يوليو ٢٠٠٨م.
٧ - مجلة المعلم العربي، العدد الثاني، السنة ٦٠، دمشق ٢٠٠٧م.
٨ – مجلة كيهان، العدد ٢٨، طهران نوفمبر ١٩٩٥م.
٩ – مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٨ ، العدد٢، الكويت ١٩٩٩م.
١٠ – مجلة معلومات دولية، العدد٥٥، دمشق ١٩٩٧م.
١١ – مجلة الهداية، العدد الأول والثاني، السنة ٢٥، ٢٠٠٠م.
١٢ – مجلة البلاغ، العدد ١٤٦٧، أكتوبر ٢٠٠١م.
١٣ – مجلة شؤون عربية ، العدد ١١٦، شتاء ٢٠٠٣م.
١٤ – مجلة الوعي الإسلامي «الكويت» العدد ٤٠٦، أكتوبر ١٩٩٩م.
١٥ – مجلة العالم «السعودية» العدد ١٣، يونيو ٢٠٠٠م .
١٦ – المجلة العربية «السعودية»، العدد ٣٧٦، مايو ٢٠٠٨م
١٧ – مجلة الجزيرة، ملحق صحيفة الجزيرة «السعودية»، السنة الرابعة، العدد ١٥٩، ٧، ٣، ٢٠٠٦م.
١٨ – مجلة قضايا استراتيجية ، العدد ٧ ، سبتمبر ٢٠٠١م.

ت - الصحف:

١ – صحيفة الوطن «السّعودية»، العدد ٢٩٨، السنة الأولى، الثلاثاء ٢٤ يوليو ٢٠٠١م.
٢ – صحيفة الجزيرة «السّعودية»، العدد ٣٧٠٠، محرم ١٤٠٣ هـ.
٣ – صحيفة النبأ «المغربية» العدد ٣١.
٤ صحيفة «الأهرام المصرية» ٨ أبريل ٢٠٠٤م.

ث - المواقع الإلكترونية:

١ – موقع مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري: www.albabtainpriz.org
٢ – موقع قناة الجزيرة الفضائية: www.Aljazeera.net.
٣ – موقع أفاق حوار الحضارات: www.afaak.com
٤ – موقع رابطة العالم الإسلامي.
٥ – www.balagh.com

ثبت المحتوى

الفصل الثاني: أزمة الثقافة العربية

الفصل الثالث: تحديات العولمة

الفصل الثالث، آليات وتقنيات واستراتيجيات الحوار الإعلامي مع الغرب

الفصل الرابع: آليات وتقنيات واستراتيجيات الحوار الشامل مع الغرب

****





الكويت
2010